

مروى جوهر

عمارة آل داوود

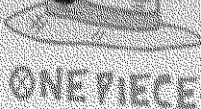
رواية

مستوحاة من أحداث حقيقية

دار دَوْن

مروى جوهر

عمارة آل داوود



رواية

BOOKS

دُون



للنشر والتوزيع

إهداء

إلى كل من تحرر بالدم فأصبح شهيداً غالى
بجيا في السماء ونجماً سبرته على الأرض
الأرض التي لم يتجلى الله إلا عليها
سلام من الأرض المقدسة.. مصر

مروى جواهر

BOOKS

في الساعة الثامنة والنصف مساءً، السادس والعشرون من يوليو ١٩٥٦، احتشد الآلاف في ميدان المنشية بالإسكندرية لسماع خطاب الرئيس «جمال عبد الناصر»، في احتفال الذكرى الرابعة لقيام الثورة، في كل ربوع مصر التف رواد المقاهي حول الراديو، وكذلك الأسر في بيوتهم، كما التف جميع أفراد أسرتي حوله أيضًا والصمت يطبق على المكان في وجل ورهبة...

اقترب جدي من محوّل الراديو في ترقّب:

- الآن يستمع العالم كله إلى الخطاب.. ترى ماذا كان يقصد عندما قال للأمريكان «موتوا بغيظكم»؟

«قرار من رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقنال السويس البحرية».

أصوات تصفيق وهتاف الجماهير وهتاف أبي وجدي وإخوتي، لم تتوقف حتى قاطعهم الرئيس:

باسم الأمة..

رئيس الجمهورية..

مادة ١: تُؤمّم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة

مساهمة مصرية، وينتقل إلى الدولة جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات، وتحل جميع الهيئات واللجان القائمة حالياً على إداراتها، ويُعوّض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكونه من أسهم وحصص بقيمتها، مقدّرة بحسب سعر الإقفال السابق على تاريخ العمل بهذا القانون في بورصة الأوراق المالية بباريس، ويتم دفع هذا التعويض بعد إتمام استلام الدولة لجميع أموال وممتلكات الشركة المؤممة.

لثلاث ساعات ظلّ «ناصر» يلقي ما يلقي من مفاجآت والكثير من كلمة «ديليسييس»، وأصوات التهليل والتكبير تزداد من جميع العماائر المُجاورة، بينما تملأ الزغاريد شوارع «عبادي» من الشُرَفات، وكذلك صياح رواد المقاهي لم ينقطع حتى مطلع الفجر وعمّت الفرحة أرجاء المنزل، ولم أفهم سبب انسياب دموع أُمي من فرط سعادتها!

BOOKS

٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ - بعد ثلاثة أشهر

وقفتُ أهُو وحيدةً أمام شقتنا عند الدرج الخشبي فور عودتي من المدرسة، أهدب ضفائر عروس من القماش الملون، عروس تشبهني صنعتها لي خالتي ليلة عيد ميلادي السابع الذي قضيته البارحة، ثم أتأكد من عدم انسداد ضفائر شعري السوداء الطويلة خوفًا من غضب أمي، أنتظر صديقتي بالمدرسة وجيرانني بالمنزل على مهلٍ كما نفعل كل يوم؛ فادية التي تقطن بالطابق الرابع والأخير، وتهاني التي تقطن بالطابق الثاني.

أما أبي - السيد «أحمد الدنون» - كان ما زال يُباشِر عمله في «مقهى الدنون» التي يمتلكها بشارع «المنيا وكسرى»، بينما أخواتي البنات الأربع يقمن بمساعدة أمي بعد عودتهن من المدرسة، في إعداد الطعام وترتيب البيت قبل عودة أبي، لم يحن بعد وقت عودة إخوتي الصبيان الخمسة من المدرسة، لا بُدَّ أنهم يمرون الآن على أبي في قهوته ثم على جدي لأبي في المسجد، وفي طريق عودتهم للمنزل يأتون بالحلوى من محل «جالك و ميتشو» اليوناني صديق أبي.

نحن عائلة كبيرة من اثني عشر فردًا، لسنا من طبقة أغنياء بورسعيد لكننا ميسورو الحال، فأبي يضع العائلة أولاً قبل أي شيء، يهتم كثيرًا بتلبية احتياجاتنا، ويهتم بأن ينعكس يُسر حالنا

على مظهرنا، وهو نسخة ثانية من جدي.

كان أبي طويل القامة، له هيئة شامية مُمَيَّزة، نراه كلَّما أقبل علينا بجلبابه المهندم الذي يرتدي فوقه دوَّمًا معطفًا أسودَ قاتم اللون.. ولا ينسى طربوشه أبدًا.. نفر من أمامه عندما يكون مزاجه عكراً.. نهاب الجلوس معه لمدة طويلة خشية أن نُخطئ فنُعاقب، كان لجدي حضورٌ قويٌّ ومهيِّب أيضًا، يُبجِّلُه أبي وينحني لتقبيل يده كلَّما رآه فنُفعل مثله على الفور، لكن جدي كان الأكثر طيبة وحنانًا، أما أمي فقد غلبت الطيبة على قسائتها رغم حزمها الدائم.. لمَاحة وقوية، حنون تتفانى في خدمة عائلتها، وزوجة مُطِيعَة تنفذ تعليمات أبي اليومية بالحرف دون مُناقشة.

كان «بدر» هو أكبر أشقائي وأرجحهم عقلًا ورزانة وأكثرنا جمالًا، يليه «صابر» وهو الأحن والأذكى بين أفراد العائلة، ودائمًا ما يعتبر نفسه الأكبر سنًا والمسؤول عنا بعد أبي، أما توأمه «نصر» فقد نُصِبَ المراقب الأول على تصرفات البنات بعد أبي، ثم يأتي بعده «مرتضى» وهو شخص عملي يريد أن يصبح تاجرًا كبيرًا، تليه «عايدة» في الترتيب وهي تمتلك دهاء ومكرًا وطيبة أيضًا، ثم «محاسن» وهي شخصية انطوائية ومُتقدِّة الذكاء، ثم «يسري» الذي يمتلك حسًّا فكاهيًّا وجاذبية تجعل كل من يراه يستلطفه، ثم «عصام» الأنيق حاد الهوس المثقف الطموح، ثم «هناء» الذكية الطيبة، ثم أنا.. حياة.

دائمًا أجد السعادة والطمأنينة في رائحة خبز أمي الصباحي،

وسمكاتها المقلية ظهرًا، والتي تأتيني بقوة عبر باب شقتنا المفتوح أثناء لعبي مع صديقتي.

كذلك كانت أبواب جيراننا في الطوابق الأربعة للمبنى الذي نقطنه، لا تُغلق إلا عند النوم، تختلط الكثير من الروائح والمشاعر طيلة اليوم، وتنطبع داخلي كل رائحة بشعور مختلف وذكرى عميقة، كان كل طابق يحتوي على شقة واحدة فقط.. العمارة ضخمة الحجم وعدد الشقق فيها قليل، يلتف «بلكون» كل طابق حول نفسه، وكأنه بلكون لعدة شقق وليست شقة واحدة، أما واجهة المبنى فتمتلئ بالمشربيات الخشبية متقنة الصنع المزينة بعدد ليس بقليل من أصاري الزرع، كنت أسمع أبي يُردّد دومًا «هذا المعمار الفريد لن تجده إلا في منطقة القنال».

ذلك اليوم كنت ألعب وحدي منتظرة «فادية» و«تهاني»، لكن بدلًا من رؤيتهما رأيت والد فادية «العم إبراهيم» يصعد مُسرّعًا، يطرق كل باب يمر عليه.. طرقات سريعة في كل طابق ويصرخ مُردّدًا:

- لا فائدة يا جماعة.. سيقصفون «شارع عبادي» خلال فترة

وجيزة.. لا فائدة.. اتركوا ما تفعلون بسرعة.. اهربوا.. لا بُدَّ أن نرحل الآن.. الآن وإلا سنموت جميعًا.

خرجت أمي وإخوتي من الشقة مذعورين وسط أصوات صاخبة غير مُنتظمة تأتينا من داخل العمارة وخارجها.. نظرت أمي إلى الطابق الرابع والأخير والذي يسكنه «العم إبراهيم» وسألته خائفة:

- هل تيقنت من هذا يا سيد إبراهيم؟

حينها رأيت «العم إبراهيم» وزوجته وجميع أبنائه يهرولون في ملابس البيت، والذعر على وجه فادية وقد شرعت في البكاء، خلع طربوشه وصرخ في عجلة وهم يهبطون:

- لا وقت لهذا يا «ست وداد»، الإنجليز سيدمرون الشارع بأكمله، أسرعي أرجوك.. لا فائدة من هذا كله..

كانت أخواتي الأربع يقفن خلف أمي يتغنين الحماية، بينا بات الذُّعر واضحًا على وجه أمي وهي تُتابع هبوطه وتسأله:

- إلى أين يا إبراهيم؟
صاح «العم إبراهيم» بصوت عالٍ وقد صار في الطابق الثاني:

- إلى شارع «الحميدي» فهو آمن الآن.
نظرت إلى الأسفل عبر استدارة الدرج الخشبي فرأيت جميع الجيران يهرولون إلى الأسفل ومعهم تهاني تُمسك بيد أبيها وتنظر إليَّ في هلع، التفتت أمي خلفها واحتضنت أخواتي وقالت في صوت مرتعش:

- اتركن كل شيء الآن.. هياً أسرعن إلى الأسفل.
باتت أصوات محركات الطائرات الحربية قوية وقريبة من مسامعنا، نظرت إلى قدمي وشرعت أن أدخل الشقة فجذبتني أمي من ملابسني فأوضحت لها قائلة:

- سأرتدي حذائي..
نظرت أمي إلى الصوت القادم من فوقها في ذعر وصرخت:

- الآن.. اهبطن الآن يا بنات..

هبطنا الدرج جميعًا في عُجالة حافيات الأقدام لا نملك إلا
ملا بس البيت التي نرتديها، كنت أهبط وعيني مُعلّقة بالأعلى على
مكان مولدي ومولد أحلامي الصغيرة، لم أكن أدري أنني أودعه،
لم أكن أتخيل أنها المرة الأخيرة، وكانت أُمي ممسكة بعصا خشبية
كانت تُقلّب بها السمك المقلي، بينما أمسكتني أُختي بدر عن يمينها
وأمسكت نحاس عن يسارها، وأمسكت أنا بدميتي جيدًا، في حين
تولّت أُمي أمر عايذة وهناء لتقودنا في اتجاه شارع الحميدي حيث
تسكن عمتي «هانم».

المنظر مهيب، أهل «عبادي» كلهم يهرولون مذعورين في
مشهد لم أستطع محوه من رأسي، الجميع يهرب من القصف المرتقب
يتحركون ذهابًا وإيابًا في كل الاتجاهات، أصوات الانفجارات
وصرخات بعيدة تُحدث صدى صوت يُلقى الخوف في القلوب،
طائرات قريبة ضخمة تلهو بأرواحنا، صوتها ينذر بكارثة، وكانت
أُمي تتلفت إلينا كل دقيقة خشية أن تفقدنا، وبعد دقائق قليلة بدأ
القصف.. وبدأت الأدخنة السوداء تكسو سماء بورسعيد التي
كانت آمنة منذ دقائق، أصوات القنابل جعلتنا نموت ألف مرة،
نسد آذاننا بأيدينا، ونستفيق لنُدرك أننا ما زلنا في عداد الأحياء
مجازًا، تلاحقنا الأصوات كأشياء تريد إنهاء حياتنا وإتمام ما لم يفعله
القصف.. وأقبض على دُميتي بقوة فهي كل ما تبقى من عالمي الآن،
ثم بدأنا في الصراخ مما جعل أُمي تفشل في إخفاء ذعرها فالتفتت
إلينا وهي تصرخ:

- لا تخفن.. ابقين بجانبى فحسب.

نظرت ورأيتي بعد أن سمعت صرخات مذبذبة فرأيت النيران تحاصر أميرة مثلنا، الأم غتضن أولادها وتحاول الابتعاد بهم من وسط دائرة من النيران مستغيثة، جذبتني بلور للامام بشدة فرأيت شيخا كبيراً اقلقى على الأرض وقد تمزقت عيامة من أثر حريق، فهوول ثلاثة من الرجال يحملونه من يديه وقدميه بعداً عن القصف، إضافة إلى أطفال كثيرين يصيحون وهم والول قائلين حتى أعلمهم وسط الزحام والفرج، وإذا بصوت هائل من هدير صهريج والصحاح مويحب وسفرت في نفس الوقت.

- أعيثولي يا لاسي.. النار أمسكت بابقي.. حبيب رحمتك.

نظرت خلفي مرة أخرى فوجدت صليبي قاذبة تصرخ لي هلع وقد اشتعلت النار بجسدي، وأما تحاول إطفاءها بينما العم إبراهيم يحمله رجلان ليضعاه على جانب الطريق! ضاقت أنفاسي ورحت أشعث وأزفر في سرعة والعرق يغزو جسدي، وشعرت بعثان ورجفة عنيفة تملككني، والتفت بعض المارة يحاولون إطفاء النار التي أمسكت بجسد قاذبة، ولم أستطع أن أعرف هل مات العم إبراهيم أم أصيب.

أصبحت أسير وسط الكثير من الحطام، والخرى على الأرض يترقون، نسير بحثي نلوة ثم نمرح لمحتني في مدخل إحدى البيات تارة أخرى، ظلمت أبكي رغماً عني وأحسني على أمي والخواتي وأفكر في جدي وأبي والآخرين، فأكاد أموت خوفاً وكفناً عليهم.

بقنا أخيراً على أعتاب بيت العمّة «هاتم» في شارع الحميدي،
بينما كان الناس يجمعون من القصف بالوقوف في مداخل البيّات
لحين انتهائه، وعندما دخلنا مبنى العمارة التي لم يختلف شكلها عن
عمارتنا كثيراً.. وجدنا عمّي تقف على أعتاب شقتها بالطابق الثاني
حيث كانت على علم مسبق كالعم إبراهيم بما سيحدث في المدينة،
وقد فوّت قدومنا بين الحين والآخر.

دخلنا بملابسنا المتسخة في محاولة نخرج عن النقاط أنقاسنا
من فرط اللدخنة، بكّت أمي وقالت:

- قلبي يكاد يطلع من الحوق على رؤسكم رؤساً هيناً.. وماذا
فعل عمي، يا ترى؟ أين هم الآن وهل يطمحون بها يحدث أم أنهم
سيعودون إلى البيت في عبادي؟

أخذت العمّة تختصنا وتهدي من روعتنا بينما كنا جميعاً نيكى
خائفين، وعادت أصوات مخركات الطائرات فوق العمار من جديد،
مع أصوات صرخات، سمعت من أماكن متفرقة بالخارج لا نستطيع
تفسير مصدرها، فهزولنا إلى البلكون لنرى طائرات حربية في السماء
والناس ما زالت تهول في الشارع لتحتمي بعائلاتهم، تساءل هل
سيقصفوننا شارع الحميدي أيضاً؟ أدخلنا عمّي وأغلقت البلكون
فجلسنا، ثم جلست هي بجانب أمي تهدي من روعها قائلة:

- سوف يأتون جميعاً إن شاء الله، أهالي بور سعيد كلها علمت
أن الإنجليز أولاد الحرام سيقصفون «عبادي»، إذ أشاع الناس أن
عناصر المقاومة تخبئ الأسلحة هناك، كما يقال إنهم اختطفوا جندياً

إنجليزيًا وخبأوه هناك أيضًا.

لم تهدأ أمي ولم تتوقف عن البكاء، ووقفت تنظر إلينا فجأة في دهول كأنها خارج الأحداث وقالت:

- أيقصون شارعًا سيكُن كبير بأكمله؟ عقلي لا يُصدق هذا.. لا بد أنه كابوس.. ما الذي فعلته بنفسِي وبأولادي يا هانم! سوف أعود إلى البيت فقد تركت السك على النار، الخش أن تحترق الشقة
توجهت الأنظار إليها وقد أدرك الجميع أنها قد أصيبت بشيء من الهذيان جراء المواقف، بكيت بحرقاء ثم سحبت طرفي لنا متابعًا على الباب فقالت: عني

- افتحي الباب يا حياة.
كان الطارق غالي السيد، نظر إلينا وزفر زفرة طويلة ومسح ما بقي من دموعه تحت نظارته السمكية ثم استند إلى الباب وقال وهو ينظر إلى عيني:

- سعيدة يا مس هانم!

- سعيدة مبارك.. تفصل يا سيد، وأغلق الباب وراءك.
دخل وجلس على أقرب مقعد وقد تهلجت أنفاسه، وأرسله السعال إثر الربو الذي أنهك رتيبه وقال في نبرة قلقة:
- توقعت وجودكم هنا الحمد لله.

هرعت أمي إليه وكأنها وجدت كنزًا وقالت:
- الحمد لله أنك قد أتيت.. نحفر إلى البيت يا سيد، أخاف أن يحترق وقد تركت مقلاة السك على النيران..

قاطعها خيالاً قائلاً ودموعه تنساقط في استسلام وأسى على وحشيته:
 - لقد قُصِفَ مُسَارِعُ «عبادي» بالكامل يا وداود... لم يبقَ هناك
 إلا الركاب والغيار والأدخنة... واجلث أيضاً... لنأمل أن يعود من
 نجوا سالمين.

نظرات نه أمي فاحلة لئلا ينسقط دموعها في كتابي سليم ثم
 تهافت أرقها فاقعة ألومي.



BOOKS



٢٩ ديسمبر ١٩٥٦ - بعد مرور شهرين

في ماضي كانت قاذية لا تكف عن الصراخ على الحوت،
الجثث في التواريخ تجلس وتبحث عن قتلها، التاهون عن يوم
يحملون السلاح معًا لقتل من قام بتحرير البلاد، وأنا أموي عن
فوق قصة عالية لأبعد نفسي في حرية نقل ملية بالبحث الشرة! في
طريقهم لدفن جمعي الصعوبة التعرف عليهم
لم تفرقي، التكويس، لكننا حظينا بفرصة أخرى للحياة رغم
كل شيء، وكان شعورنا يقهرنا باطمئنان مؤقت أن نعم الله علينا
بلم شمل العائلة من جديد، فقد تجا الجميع من القصف، ومكنا
عند العمدة إلى أن يتغير أي لنا منزلًا جديدًا.

انطلق صوت المطرية الشاذية عبر الراديو بشدة.

«أمانة عليك أمانة يا مسافر بور سعيد.. أمانة عليك أمانة

البرسلي كل يد حاربت في بور سعيد».

بينما يجلس أبي مغمورًا يتحدث إلى زوج عمي حين انتهاء
النساء من إعداد العشاء، وتُنصت إخوتي الصبيان له في أدب ولا
يعلمون إلا بأذن من أبي، بدا على حدي وحزن شديدان.
الضف رجال العائلة حول «طبلية» كبيرة من الخشب لتناول

الغذاء، بينما أصبحت أصناف الطعام محدودة للغاية، بعد أن كنا
نعم بكل ما لنا وطاب، ونتذمر من تكراره، أما الآن فوجبة الأرز
والعدس هي نصيبنا اليومي لنذرة الطعام في الأسواق.

بدأ أبي وزوج عمتي يتحدثان فقال أبي مُترعجًا:

- لقد سرى، أَسْرَى ضيق وعجز... إلى متى ستمش هذه
الأجواء؟ أصبحت المدينة أكثر اقترابًا من الركام والغيار، فالمعارك العنيفة
بورقوات العبدان والمقاومة الشعبية قد خلقت جثثًا لا حصر لها قتلًا
للسوارع، والأهالي يحتلون عن توهم المفقودين في الوعاء حتى إن
عص الجثث تعقت في الشوارع، أين إصرام الميت؟ الأصوات الشكلى
عصك الأذان، مياوات ودبابات العدو تحجب الشوارع ليلاً ونهاراً، لا
كهرباء ولا ماء ولا طعام... أخلقت محال ودكاكين البلد بالكامل إلا
المستشفيات لإسعاف المصابين، لا نستطيع أن نسير في شوارع بلدنا
بعد الخامسة مساءً! ما هذا الدل الذي وقع علينا؟

ردّ زوج عمتي:

- أولاد الأبالسة نالوا ثامن ملاحتهم البحرية والجوية عبر
خليج العقبة من قدام ميناء إيلات، واستولوا على محطة المياه
صطعروها عن الأهالي كي يستسلموا! الأموا قادم با حاج
سمعت عمتي تهمس فقال الله ولا فالله... بينما قال أخي
صابر لأبي قائلاً كمن ينقل الأخبار:

- رأيت البارحة بعض المارة يقتحمون محل بقالة في حي
«الإفرتيج» ويسرقون الأجبان والخبز الناس جالعة ومعلومة وقد أود
لواحل السلاح لأقتل المحتلين جميعًا وأنتصر لبلدي..
هنا صوت أبي قرقا:

- ومن الذي أدركك بالذهاب إلى الإفرتيج؟ إياك أن تفعلها
ثمة؟ لا أريد أن تبيل مصوري آخر في بيثي؟ هل تريد أن تُسحمني في
موتك؟ الأمور صارت مُعقدة بعد أن خطف رجل المقاومة «مور
هاوس» وتركوه يمشي جوعًا. نحن نعلمه جيدًا في شوارع بلدنا.
صحك زوجي فمضيت قائلًا:
- قل قريبًا ملكة إنجلترا قال..

لاح على وجه صابر الخوف ونظرت أمي إليه وقالت مُطاطئة
الرائحة:

- بعد الشر. أردته فقط أن يتنازع لنا العدس في أمان الصباح.
قطع جدي صمته وقال في حزم:

- أنسيت ما حدث هذا الشهر؟ نسيت توالي الغارات
وانطلاق الرصاص العشوائي في الشوارع لحصد الأرواح بلا قلب.
الكلاب هدموا المنازل وقتلوا النساء والأطفال بلا رحمة! كان لا بُدَّ
للمقاومة أن تثار. «مور هاوس» كان ضابطًا إنجليزيًا متعمرًا
سماحًا يستحق القتل. ومع ذلك، لم تقصد المقاومة قتله.. كانوا

يريدون استبداله بضباط مصريين أسرى لديهم، لكنهم لم يستطيعوا
الوصول إليه بعد أن شدد الإنجليز الحصار وحظر التجوال علينا.
لا أمان مع الإنجليز ولا شرف لهم، أبوكم سيحصر الطعام أو يروج
عصمتكم، الخروج من عتبة البيت يكون بحذر حتى تنكشف القصة.
أومأنا حية بالأيام دون كلمة زائدة. لم يروح عصي
طعنه وأمد ظهره إلى الأريكة الخشبية من خلفه وهو يقول مستهزئاً
- الله يرحم الشهيد اتبيل متصوراً، كان معي الولد ألب
عظ الإنجليز في معسكرهم وأحاطهم بالأنجب، فمارة بجو في مؤنهم
ومارة يسرق بلادهم، أذاقهم المر لكن لم يبال، فطأوا إليه وأردوه
ضيقاً.

قالت عصي في فخمة:

- يكفي أمله فخراً أن بفضل استشهاده، انتفض أهالي
دمرهم وتجمهروا في مظاهرة كبيرة احتجاجاً على قتله.

علقت أمي في أسى:

- كان الله في عروق أهله وربط على قلوبهم، نحن نعيش التحمل
على أعناق أولادنا وليس العكس يا هالم.
بدأ أبي يفكر جيداً قبل أن ينظر إلى عصي وزوجها وهو يداعب
شاربه ويقول:

- دعكم من هذا الحديث فالشهداء لا يكثر ثوبون له في معيهم.

هل علمتم أن الحكومة ستعطي تعويضات لكل من قُصفَ به؟
- نعم سمعت.

قالها زوج العمة في عدم اكتمال فصحح أبي كأنه سيلقي خطاباً سياسياً كخطب «ناصر».

- أريد أن أشكركم على كل ما فعلتموه من أجلنا الشهرين كاملين، لكن بلاننا معكم لن يبعد في الفترة القادمة. لقد خصصت الدولة المدارس كسكن مؤقت لكل المضربين حتى يقوموا بحضر أبحاثهم وبحثهم شتقاً سيكولوجية بديلة هي أسرع وقتاً، سعاداً وسأخذ فضلاً من فصول المدرسة للعائلة بأعمالها للمعيشة، سيكون الأمر طارفاً بلا شك. لكننا مستعدون حتى نتقل إلى منزل جديد في القريب العاجل، سيكون كل شيء على ما يُرام بالشيء.

فحبب العمة إلى جدي واحتضنته قائلة:

- إذا أردت هذا فإنه حقلك في التعويض، لكن أبي لن يعيش في مدرسة ومترواً مفتوحاً. شحكت معي يا أبي هنا حتى يتمكن أبي من تغيير أمر المنزل.

حينها نظرت أمي إليه في قلق أعلمها أنه لا يستريح لي صحة زوج العمة وقالت:

- ميا يا بنات، أكملن غذاءكن بسرعة وأسرعن لتخزين

الحياة، فنحن لا نعرف متى ستوفر مرة أخرى.

أجاب الجدل في بيرة هادئة دون أن ينظر لأحد، وأصابعه تلتف حول مسحة وكأنه قرأ عقل أمي:

- الآن نتعلم معالي الأشياء وقيمتها، ونرى بعضنا البعض من وراء حجاب العروسة، فكلنا نقدر وجودنا سويًا في الحياة، وتعامل كل تلك العم التي لم تلتفت إلينا يومًا. فبعد ترتيب الشهد من حبيده سوف نتعرف إلى القضاة. لا تقلقوا
لنكن مشيئة الله.



ONE PIECE

BOOKS



أوائل ١٩٥٧

بوجود إنشاء المدارس لا يرجع العائلات التي توفعت من البرد في
صغور المدارس لما يلاذون به على أرضية صلبة في مدرسة الراسية
من صقيع لا يهدأ

كانت المعرفة الأمريكية ترسل للمعلمين (من ملائيش) شويعة
ويشكروهم أي شيء يساهم بها في تعليمهم. كانت تصيح أمي بوجهي
كلما اعتصمت من ملائيشي

فلن يلاحظكم كان خطابك واسعاً أم ضيقاً ما يهم هو أنه
يحتك الدفء

◆ في الليل يُغلق أي تربية وقعة بقعة على باب الفصل من
الداخل، أتلحف الغطاء الرقيق جداً فوق جفوني، فالبرد ينهش
في عظامي دون رحمة. أنادي على أمي هناك لكنهم جميعاً يغطون
في نوم عميق يصلون إليه كل عدة أيام مرة واحدة تركتهم كي
يستريحوا من عناء الإحساس بمعيشة اللاجئين في بلادهم، وعناء
التظاهر بأن كل شيء على ما يرام كما يُرَدُّ أري في قاعة كل فترة

كانت ليثنا الأولى في المدرسة شديدة القسوة. ، يكينا كثيرًا سرًا
وفي صوت مسموع، حمد أبي الله أنه لم يجادل العمة في طلبها، وأن
جدي لم يخضع لهذه التجربة.

كان طابور المراهقين لا ينتهي، تقول عابدة إنها لا تحتمل
كثرة وقوفها في طابور، ولم حاض، لكن من والثناء لا يسمعا، وأنا
أيضا لا أستطيع أن اتحم في هذا الطابور، سأذهب إلى إحدى
الحالات لأتي قريبا، دعيت لعمتي وأبي جديهم شمر بالانكسار
وأي شديدين، وأنا لا أتحمل انكساره
كانت أمي تدعو الله ليلا ونهارا حتى تحلوا إلى يدي، علينا ما
للأقارب، لكنها لم استطع كنت صرخوا عندما بدأ الأقارب يتحركون
لنا بحلبهم وأعطيتهم وأدوات مطبخهم، فقد أعطتنا عمتي
«هانم» «وابور حاد» وبعض الأكواب، وجاءت الحالات بكل ما
يلزم لناكل ونشرب ونعيش! لكن أي حياة تلك؟

قدمت أمي الشكر المندوب المعونة الأمريكية الشهرية،
وتسلمت منه هبة ثينة كبيرة بها سمرا، لبس بودرة، جن «سيتر»،
حيز وحلاوة، وأشياء كثيرة تناولها على مدار الشهر، ثم ننظر
حصصنا الأسبوعية من «البطاطس واللحم بالصلصة»، اثنا عشرة
قطعة من اللحم، لكل فرد قطعة، بينما تلمع عين أمي كل دقيقة من
الانكسار والمذلة.

الشهور تنوأل.. أي يتردد على المسؤولين في المحافظة، تنوأل
الشهور ونحن نقرب من فقدان الأمل، وأي يتحمل ما لا تتحملة
الجيال، لكن أحدا منا لم يكن يتحمل بكاء جدي.

علا صوت أبي على باب الفصل في إحدى الليال بعدما
انقضت شهر العرس.

- يا واد.. جهزي الأولاد، سيقامونا إلى مدرسة أخرى
صباح الغد.

تنظر إلى بعضنا البعض في استسلام، سيقامونا إلى مدرسة
جمال يوسف، وهي مدرسة أصغر وأخس من التي يريدوننا أن
نتردد حتى نخطئ المكان الذي يليق بنا؟

كانت الأيام تمر بسرعة، الأسابيع والشهور تلتحق بهم، وترداد
أحياءنا وباتنا دون أن نشعر، وروء نذبل قبل أن نتضح.. لعن الله
العدوان الثلاثي.. لعن الله غدوهم جميعا.

ذات ليلة كنا نستمع للتوم بعد صلاة العشاء كما تعودنا ذوقا،
بعث الله بسمات هواء مُلمعة تخفف عنا وطيرة الجو، بينما أطفأت
أمي لمبة الجار للتوفير، المكتبة ما ترسله عامود نور قريب من ضوء
خافت يعيننا على رؤية طريقنا إلى المرحاض في منتصف الليل.

غفوت، في نوم عميق هائل لأول مرة منذ أشهر، لكنني
استيقظت فزعاً على صراخ «محاسن»، فلما تبادنا نتخبط في بعضنا

العض من فرط الفزع، فصرخها لم ينقطع، حتى وصل أخي صابر
المدة الجاز وأشعلها، والتفقا حولها يهتئ من روعها في قهول،
ومن ثم مسح أبي عينيه وسأله:

- ماذا حدث؟

- لقد رأيت أشعل في الجاز..

- مر؟

- نهيا لي أنني أجلس في فحامي وأطعمها، لكنني لم أشعلها مرة
ثانية، فمت وجلست مكانه وكتم جميعا بالدين ثم جدت منضت،
اعتقدت أنه قابوس بقرجعت إلى نور من
منهقت لمرى

- لمر؟

قال أبي في حزم:

- صمتا يا ودا.. ماذا حدث؟

- رأيت يقف بجانب اللبقة وأشعلها، ارتجفت وحيث أن
أمر من مكان أو أوقفكم، لكنه أمسك بها وهي مشتعلة واقتراب
منكم جميعا وأخذ يراقبكم عن قرب ويستم ابتسامة خفية وهو
ينظر إلى وجوهكم في شدة، ولما اقتراب مني أغلقت عيني، فكأن
أن يستعد لكن لموعى فضحت أمري، فاقتراب من وجهي مرة
أخرى.. وعندما فححت عيني رأيت وجهًا مفرزًا نحيفًا لرجل لم أر

منه من قبل قصرحت.

سألها أبي في غيظ:

- وأين ذهب؟

- اختفى! ورأيت الناحية في مكانها مشتعلة!

ذهب أبي يعتقد الترمس موجوده سلمًا، مع الباب وأخذ
حصتي في طريقة المدرسة لكن مع العائلات كانوا نائمين
بالقصور، إذ اقتراب ميعاد الفجر لكن لم يكن وقت الأفان بعد كما
تتوقع أحد! فعاد أبي بحال محاسن:

- أين ذهب؟

- اختفى يا أبي! اختفى فجأة. لا أدري أين ولا كيف؟

احتضنتها أمي في حضن وخوف، وأخذت تربت على صدرها
وتقبل رأسها وهي تهتم بأذعية وآيات القرآن الكريم، لم تنطق
بأى كلمة... اشتعل غضب أبي وأشعل سيجارة، راح ينقش دخانها
في غضب ويصيح في استهزاء:

- ما هذا الهراء، أين اختفى؟ هذا كايوس يلا شكت.

بكت محاسن أكثر.

- أقسم لك يا أبي إنه اختفى.. لعلي رأيتَه يطير لأعلى عند

استيقاظكم.. هكذا عيّل لي.

توجهت أختنا جميعًا إلى السقف وقد بدأ ينقش ظلام الليل

ليست قبل خطوط الفجر الأولى، وعلى هذا الضوء وضوء لمبة الجاز
وأنا بقعة سوداء هائلة لم تكن تراها بالأمس!

ارتسم الذقون والتعجب على وجوهنا، ونظرت أمي لأبي نظرة
ذات معنى، وهنا غلا أذان الفجر مدونا لفصل بين ظلمة الليل
واستعداد النهار للقدوم.. لم تدي أبي معطفه وخرج دون كلام، بينما
ظللت مستيقظين لما بقي من الليل وعقولنا تشعل للبهجة الحارة.

عاد أبي عند الظهيرة واجداً، وكانت أمي تلمس خلف أوبور
الحارة، تعد لنا العدى للعذاب، ثم أعلق باب الفصل وقال ما في
جاية!

- لقد قمت بجميع الظلم

صرخت أمي بكفها على صدرها شائعة:

- ماذا.. ومن أين تأكل؟

- الله سيضعنا كما يفعل الآن، كان العرض سخياً من أمك

وميشو... لم أقبله قبل العدوان، لكن في وقتنا هذا وبعدما صيرنا
ونقلنا بين المدارس وقصورها وحررها ويردها، يعز علي أن أرى
التي تبكي خائفة في منتصف الليل، كحنا مهانة، وسوف أتدير
الأمور، لم أتناول طوال الفترة الماضية في البحث عن شقة، لكن
الأسعار باهظة في المناطق الآمنة أو التي نطن في كونها آمنة، لكنني
بفضل الله وجدت مكاناً...

ثم صمت قليلاً وكأنه يستجمع ما يريد ثم تابع:

- وجدت حلماً قديماً، ما كان لي أن أبتاعه إلا ببيع المقهى
وكذلك ميراثي في بيتنا القديم بحي العرب لهانم، هاجر الأهالي
وتشتوا في القاهرة ودمياط والمنصورة وطنطا وغيرها... لكنني لن
أترك بور سعيد وأولدت حنة حامدة... لا تغلقوا سوق لعيش حياة
قويحة كحماهم عهدتنا بالمشة.

قامت أمي فربت على كتفي في حثاف

- لا تحمل الهم... سوف يعرضك الله من حنة لا حنة.

- يحملها الله من حنة.

● ● ● ONE PIECE

BOOKS

أواخر ١٩٥٧

وفي أواخر هذه كما يفعل دائما، وفي إحدى الصباحات المشرقة
وقفت أمام المدرسة أودع أياها مائة، وجاء صوت أمي مني
«حياة» في أي شيء، تاملين لا عيقتك أبوك إن لم تسرع
لصعدني..

انتهت فصحت الخطر على القبول، لكن مني هلت منته
على المدرسة، أمقتها وأمقت الإجليل، لمحت كل ما فهمت وما لا
فهمه، وأدعو الله أن يعبر كل هذا في بيتنا الجديد.

تحرك الخطر في شوارع بورسعيد الرحبة، وانحنى في بعض
شوارعها الضيقة في اتسابة عجيبة، وأودتني كثير من الأحلام
على صوت خطرات الحصان، ورأيت مدينتي الجميلة وقد بدأها
قصف العدوان، إن هذا العالم فيح لا يستحق كل هذه الأحلام،
هل صحيح أنني لم أجاوز الثامنة من عمري بعدا لأنني بتا أممر
أنني في السادسة عشر، لقد كبرت عمرا على عمري، ولم أعد تلك
الصغيرة التي تلهو بلصتها عند الفرج الحلي، وقد عشت بموت
«قادية» رغم كل محاولات أمي بالتشويش كلما سألت عنها.

وقف الخطر الألماني عند «حارة اليهود»، بين حي العرب
وحي الإفرتج، فتوقفنا وراءه، ومطنا في كتابع وبدأنا نخطو

خطواتنا الأولى لعالم جديد، أتذكر كلمات أبي في فصل المدرسة الآن حينما عاتبته أمي في اختيار المكان:

- تسميتها بحارة اليهود لا ينبغي أنها أرضنا يا واد.. هل تقع حارة اليهود هذه في الكيان الإسرائيلي أم في يهود سعيدي؟

كانت المرة الأولى التي أرى فيها حارة اليهود. كانت قاذية تزور فيها إحدى زميلات اليهوديات في المدرسة، لكن أمي كانت ترفض بشدة، ومع ذلك ترددت أن الطوبى له!



- أريد أن أذهب مع قاذية إلى إسرائيل بالبحر

- لا.

- أرجوك.

- قلت لا.. فلم مرة يعني أن أقول لا.

- ألاها يهودية؟

- حياة.. ألا تزين أنني أعد لكم الطعام، سأقوها للمرة الأخيرة.. ليس لأنهم يهود بل لأنهم صهاينة خونة.

الآن تتردد كلمة «صهاينة» في أفني ولا أعلم معناها، وهل تعلم أمي معناها أم تترددها وراء أبي فحسب؟

لم تكن الحارة صيغة جدًا قبضي الحارات، نظيفة ولها طابع خاص، وكانت المفاجأة للكثيري حينما وجدت جدي يقف فريحا أمام عمارة كبيرة حديثة العهد نسبيا من ثلاث طوابق، عليها يافطة كبيرة باسم «عمارة آل داود» وفوق اليافطة تحمة كبيرة مطموحة داخل الحائط لكنها واضحة في الوقت نفسه، دون أن أشعر عادت

الطفلة بداخلي فرحة برؤية جدي، فمعت عيني ومرت إلى أحضانها في امتياق وغرقت داخله. فزاد شعوري رائع بالأمان كدت أن أنساه.



مدخل العمارة واسع وأنيق، حيث الورد والملاحة والزراعة الكبيرة على جانبيه، بينما يزين الأرض بلاط من مربعات وسطيحة من قذاحة ملونة ومزركشة. وبعد صعودنا يصعد درجات وجلدنا حفاة وحيدة على الجانب الأيمن، صعدنا جميعاً إلى الطابق الثاني. رأينا أن كان بكل طابق شقان، أبواب الشقق طويلة، خشبية، معلقة الملوك، معلقة إلى درجتين، بها شرائط زجاجية طويلة، فتعبر الباب. وأبصر الشقة واسعة واسعة وأشار لنا بالدخول.

انشر إخوتي متقافزين في طرح يفتحون أبواب الغرف ويجولون بها. كانت الشقة واسعة. أكثر اتساعاً من شقة جادي، كان هناك عمر صغير هو المدخل للشقة كبيرة. وفي آخره ساحة ضخمة طويلة عميقة لها باب طويل زجاجي، وإلى اليمين مطبخ كبير وصالة الاستقبال، بينما يكسو الجدران لون أخضر من ورق خائط رسمت عليه ورود ذهبية ضخمة، وكانت هناك صورة كبيرة للرئيس جمال عبد الناصر على أحد الجدران.

كانت بالشقة ست غرف كبيرة.. بكل منها فراشان ودولاب، إضافة إلى حمام قريب من آخر غرفة في الطريقة، وبلكونة طويلة تحاوط الشقة كلها. كاملة حيث تلتصق كالميلاب حول صالة

الاستقبال مروراً ببعض الغرف والمطبخ، وكان السقف عاليًا، تمامًا
كشقتنا القديمة، ربما كان أكثر ارتفاعًا، بها أثاث مُستعمل لكنه
بحالة جيدة تمامًا، عالي وله فوق رفيع.

كان الفضول والدهشة تُطلان من عيون الجميع، أردت أن
أستكشف المكان كما خور، تجولت ببطء كأنني مسحورة، أصدق
في السر الذي للمرف، والنظر يشعشع إلى الأثاث المريح، لا أصدق
أن كل هذا الناحية أيام صغاري، وفي مدخل الطريقة انقلب كل شيء
من حولي في لحظة.

اختفت عائلتي فجأة من أمام عيني، ولم يتبق سوى دائرة يضاء
أمامي انظرت حولي فوجدت حواء كاملاً، برق ظلي بعنف وانحلت
أدري عليهم جميعاً فلم يسمعي أحد. بطريقة لا أفهمها انحنوا تمامًا
نظرت للأسفل فرائيتي أقف فوق حافة مشة على ارتفاع
شاهق... أجاد أن أمري للأسفل! كان الحل الوحيد أن أدخل
الدائرة لأحتمي من السقوط، دخلت الدائرة فقتلني لعالم آخر
في ثواني، بعيداً عن كل ما أعرفه، صرخت بأسماء أهلي لكنهم لم
يكونوا هناك لم يسمعني أحد؟ ارتعبت، ثم رأيت لقطات خاطفة
لبنائين يعملون في جد وتعب، حُلّى تتلأأ، رجل يجلس باكياً على
الأرض محسوراً، اقتربت منه بحرف لأسأله عن مكان عائلتي التي
اُخفت، فوأن أفترت منه فاجأني وجه شيطاني ظهر من اللا شيء
فحال بيني وبينه، صرخت وهزولت بعيداً، لكن إلى أين وإلى أين أنا؟
إلى الحواء... إلى الضباب! لا أدري من أمري شيئاً!

فجاء أميكت يد يدراعي تهزلي بقوة فصرخت وارتجبت
كل شيء من حولي وارتد لأصلي فوجدت عابدة تمسك يدراعي
وتقول:

هل فقدت حاسة السمع؟ تنادي عليك كلنا وأنت وتكأنك
في عالم آخر ما بك؟

لظننت حولي موحشني ما زلت في طرقة البيت لم أدخل
من العرفاء والمطيع يحسبون في نفسي أمانهم وقد توقفوا عن
الحكي وثبوا أنظارهم على النظر العابدة وانصتوا فصرخت إلى
معلمة وتوجهت معها لحث مجلس الجميع عن أن أمرد ما رأيت
رغم خوفي رأيت حدي يدخل من باب الشقة وكنت أعرف مكان
مجلسه وما إلى الشراخ في حليته على الأريكة حتى مررت إليه
أحضته وأطمن القربة

- هل في أن أشاركك غرفتك يا جدي؟

ربت على كتفي في حنان وقبل رأسي وأوماً مرافقاً وقالت
عابدة مستغرة:

- هل ستعود للمدرسة يا أمي؟

- بالتأكيد... أصعب لذلك في الغريب.

قلب اندعاش أمي كل شيء وهي تتأمل الحائط فقالت غير
عابدة بالحديث عن المدرسة:

- هذا أكبر مما كنا نحلم به بكثير... لكن شيئاً غريباً أن يعلق

اليهود صورة لعب الناصر في بيوتهم!

ضحك جدي وقال:

- بالطبع لا، لقد علقته يا ودا قبل أن تحضروا.

أشار أبي لنا للسمعة ووقف ليخطب فيها، لكن هذه المرة بدا صوته قويًا متهاينًا ومُخلِّقًا وكأنه يحقق حلمًا:

- أرى الفرحة في عيونكم جميعًا والحمد لله، انصت هذه الشقة كما تودون، يا أثلاثاء من السيفه معاني، أرفطه رجل أعمال يهودي ومريسته، قبل رجولها من مصر مثل بقية اليهود، لكنها ليست آخر اللهجات.

الاسم جدي، كنت على كفي مطبقًا، والسمعة عيون أبي واختوي استعدادًا لتلقي الأخبار، فأكمل أبي قسمة

- لقد بصر لنا الله بقضيه حقيقة لم تكن لأموضها، كان علي أن استغلها معها كان الثمن، لقد تبرع جدكم بكل ما يملك وأكمل عليه بيع المقهى وبيع ما بقي من ميراثي كما قلت لك...

وصحت مستجمعًا كلامه ثم تابع في بهجة:

- لأبناغ هذه العبارة، عليكم أن تعرفوا أنني لا أملك شيئًا

لأن غير العبارة آل داوود.

ففرقته أبي ومهمت:

نقصد أننا ملوك العبارة بالكامل الأور؟ أنا لا أصدق!

- من كان يصدق أننا سوف نمتلك العبارة آل داوود يومًا ما!

لم أصدق حديث الخوارجة ميتشو في بادئ الأمر، كان يعلم

أنني أبحث عن شقة فجاءني في المقهى ذات ليلة ينصع بشرائها

فضحكت من آخره، فحذر عرضه لشرائه المقهى وبضعف ثمنها.

- ولماذا يضاعف رجل مثل ميشو عرضه؟

- كنت أعلم أنه يريد المقهى منذ زمن، طلبت شراءه فأتيت،

فزاد السعر ضعفين وأكثر، فوافقت على الفور، السيدة جاري بعد

مقتل زوجها وسرقص أكلها الخوف على ابنها بعد أنه تقات

الأحداث ضد اليهود، نحن الآن الملاك الخدد لثلاثة طواقي وسبع

شقق، ثلاث شقق خالية وثلاثة ما زال قاطنهم بها، ونحن

- ولماذا لم يشرها هم؟

- ميشو يمتلك من العوائير ثلاث، وأنا قصيدة في شقة خالية

لكنهم مشغولون بالفعل، وهو يريد توسعة أعماله وتطويرها،

يبحث دوماً عن مكان واسع المساحة ومنطقة تسويق أعلامه

وهذا ما تفر في مقهى السابق المسمى الدنول، كان واضحاً أنه لم

يحب الدنول في يوروسعيد.

قال أخى صابر:

- متوجر الشقق الخالية إذا؟

- بالتأكيد فنحن نريد مصداً للدخل بأي حال، والشقق هنا

واسعة جداً كما ترون... لكننا متوجر المصيرين فقط، لقد عادت

العمارة بارضها لنا بعد أن استولى عليها اليهود في السابق... لكنهما

عادت لأصلها الآن.

قال يسري في فرحة:

- لا يهم اشتروها أم استولوا عليها، المهم أنني أحببت هذا

البيت أكثر من عبادي.. سوف أحبش وأموت هنا.

قال أبي حانقًا في حزم:

- لا هناك قارق.. وفارق كثير جدًا.. يجب أن تتعلم الفرق
بين الحقيقة والترف، لم تكن العبارة ملكًا لليهود في الأساس،
استولوا على اسم وضوا أسماءهم ونجستهم عليها وأشاعوا أنهم
من يرمونها.. ملكًا لغير الخلق.. وما يحدث أننا نسي كما نسي
كل شيء.. انتعلب الخلق مع الترف.



لم نهم أمي كثيرًا بخارج العبارة ومالات
- إذا فليس لأن لاد حسب من الشغل يا سيد أحمد
- كيف وهذه العبارة إنهم من يعلاني؟
- لكنا قلت إننا سنؤجر بعضها للمغرباء.. وأنت تعلم أن
الصهيانية يقطون البعض الآخر؟
انتم أبي التسامح والثقة قائلًا:
- المصريون ليسوا بغرباء يا واد، وأما اليهود فلن يصمتوا
كثيرًا.. سيرحلون جميعًا.

لازلنا في أواخر ١٩٥٧

منذ الليلة الأولى في «صلاة آل داود» ثم نسي حدثت المائدة
البيضاء وما رأيته فيها الصور المتقطعة العربية، أو هذا الوجه
الشيطان الذي صامه اقتراب من الرجل الباقي على الأرض، ولم
الم حادثة. مع ذلك لم أجروا على البوح على حديث أبناء على نكل
حالي أن يحدث في «أمر من هذا» تقول أمي أن عليّ بقل الكثير
من الجهد لكي أحمي عن مستوى جيد من الوعي، وأن هذا هو
السبيل الوحيد لتفادي تلك التويات التي تضيي من خيبي لأخرى،
أن أرى أناشأ لا وجود لم بيتا ولا يراهم غيري، وأن أرى أشياء
رأى حدثت بالفعل في الماضي!

مرّ الليل سريعاً وأفاقني نور الصباح الذي أحطت إليه، نحن
اجتأ قبل شروق الشمس، بحاسية ما زالت تخاف الليل ولا تنام
إلا في حضن أمي، ولم يكن جدي على فراشه من المؤكد أنه في
اللكون، فهو يصل الضجر ويطلب الكثير من الأذكار حتى نحين
صلاة الضحى، ذهبت إلى الحمام لأغسل لكتني شعرت بعدم
ارتياح ولم أعلم لماذا كان الهدوء يسيطر على البيت أكثر مما
يضيء، فلم أسمع صوت أمي تعادتها في هذا التوقيت وهي بعد
محين الحيرة لكتني أخيراً سمعت صوت أبي بالخارج فاطمأنت

وخرجت مُسرعة أنادي:

- أبي... هل ما زال جدي في البيت؟

وبدلاً من سماع رده سمعت حلبة بالخارج وأصواتاً كثيرة،
خرجت لأرى ماذا يحدث، فرأيت ثلاثة أطفال جالسين في صالة
الاستقبال يستيقظون من نومهم، وسمعت أصواتاً تأتي من المطبخ،
دخلت إلى غرفة أبي لأستألفها من هؤلاء، فلم أجدها بل وجدت
الرجل الذي رأته في حادثة الدائرة وهو جالس يركي على الأرض
تراجعت إلى الوراء وأمسكت فمي قبل أن أصرخ، عرفت إلى
الغرف واحدة تلو الأخرى فلم أجدها من مائتي مرة ثانية أين
ذهبوا؟ ثم رأيت الرجل يخرج من الممرحة متجهاً إلى حيث يتواجد
الأطفال ولا يزال، بقيت أراقبهم، دقائق ورأيت امرأة تخرج من
المطبخ تحمل أطباقاً وتضعها أمام الأطفال! هل باع أبي البيت؟ هل
عادوا ولم يلتفتوا أنني ما زلت قائمة؟ ما الذي يحدث؟

عزمت أن أخرج هذه العائلة وأسألمهم، فهم سيروني الآن أو
لاحقاً، استجملت قواي وخرجت فسمعت السيدة تقول:

- الفطور جاهز.. صبيح أنني لا أعلم عنه شيئاً لكنني لا
أرتاح إليه أبداً، كلما فكرت اسمه انقبض قلبي.

وقف الرجل وكأنه على وشك الانفجار يقول:

- لكنني لا أملك حقاً آخر بعد أن تراكمت الديون علينا، ما
الداعي للقلق؟ إنه عقدٌ صوري، أنتَ تدينين الرجل بمشاعرك لا
بعقلك في حين يريد هو المساعدة.. أنا لا أهتمك!

ثم نظر إلى أصغر الأطفال مُرتعباً وقد توقف عن قضم طعامه
وأشار نحوي.. فنظر الجميع إلى واقتربت منهم مُضطربة.. لم أدري
ماذا أفعل أو أقول.. تلعثت قائلة في رغبة:

- أنا حقاً سبعة.. أنا حياة أحد الدنوت، وأقيم هنا مع عائلتي.
لكنني لا أدري ماذا حدث لعائلتي؟ لم يقل أحد إنهم يأمروا البيت؟
هل لك أن تصلي يا؟

نظر الرجل والسيدة إلى بعضهما في تعجب، ثم بدأ الرجل
يقرب مني وكلمنا اقتربت تلك لوتة إلى رمادي.. وبدأت تتبدل
ملاصق أسرته ولوهم إلى شيء غريب، وبدأت حطراتي تراجع إلى
الخلف، والرجل يقرب وأنا أرغب أكثر.. هل أنا خرجت إلى عروفتي
وأغلفت الباب من الداخل بالمفتاح، وكاد قلبي أن يتوقف بعد
أن شل عقلي تماماً، وأصبحت مُلتصقة بالباب لأسمع لما يقوله
الرجل؟ وبعادة عم النور الغرفة ورأيت جدي واقفاً ورأيت ينظر
إلي متعجباً فصرخت بملء صوتي.. اقترِب واقترِبني قائلاً:

- سلام قولاً من رب رحيم.. سلام قولاً من رب رحيم..
ماذا بك يا حياة.. مالك يا حبيبتني؟ لماذا تقفين وراء الباب هكذا؟
تسمرين مكاناً وبدأت أبكي، من هؤلاء الناس بالخارج؟
وهل هذا جدي حقيقة لم يتبدل ملامحه أيضاً؟ نظرت إليه من
جديد فوجدته كما أعرفه فقال:

- لا أدري ماذا تحفبه عني، فلتحدث في الصباح ولنكلمي
نومك الآن.

حينها اندهشت وصحت:

- نحن في الصباح بالفعل.

- لا يا حبيبي... لم يؤذن الفجر بعد يا صغيرتي!

ذهبت إلى الستائر لأفتحها فرأيت الظلام! وبقيت أبكي ليلتها في أحضان جدي ولم أتحدث أبدًا.

جاء الصباح بعد أن نمت، لم تفرح حين في أحضان جدي، فمادمتنا بسيفط الجميع في الصباح الباكر، لتقط فوقنا لحن أمي بعد العجيب في المطبخ.

والخير راحة خير أمي قلا البيت في الصباح كما اعتدنا في منزل عبادي، تحب أمي أن تخرج بفسحة وتعلم أن كل قطعة خبز تحتاج حبًا وخبرًا واهتمامًا حتى تنضج وتصبح حياة بداخلنا. وتحول أمي أيضًا إلى الخبز في النهاية فن، لأنه يمثل تفاصيل الحياة من البداية وحتى النهاية، الحياة مليئة بالنور لكننا لا نراه في أوقاتنا العسية.

صوت القرآن الكريم يصدح في البيت كله، وكان أمي تعمدت أن يكون صوت الراديو عاليًا، جدي أول من يذهب للمحمام يليه أبي ثم إخوتي، بينما تساعد القتيات في إعداد القطور، ولا تهتم أمي لتلويح دراستنا قدر اهتمامها بتعليمنا أدق تفاصيل شؤون البيت، كنت قد بدأت أرتب الغرف وجدي فلم أعتقد صغيرة كما تردد أمي، وأثناء تنقلي بين الغرف سمعت أبي يقول لجدي:

- كنت قلقًا بالأمس ولم أذق للنوم طعمًا، جلست قليلًا في

صالة الاستقبال فرأيتها تعرفني بنفسها وتحدث إلى كائنني
عريب، وأن أهلها باعوا المنزل أولاً اقتربت منها فزعت وصرخت
وشخرت من أمامي إلى غرفتكما! لا أعلم ما بها يا أبي!

- ليست المرة الأولى يا بني.. يجب أن تفعل شيئاً في هذا الأمر..
هيا الآن لقد أعلوا القطور.

بعد تناولنا القطور أهدت لي القهوة لجليء الذي شرعنا ما
أحتل في السكون بالجريدة تصفحها باهتمام، وكثيراً من الجملة
حياة.. حذار أن تسكني قهوة حذرك.
حاضر.

وقفت أحتل القهوة في يدي التي بدلت برسم، كان العنوان
في أول صفحة بالجريدة.

«استمرار المعركة من بورسعيد»
ثم لمحت كلمة «الصهاينة» في عنوان آخر، حلم جدي نظارته
وابتسم ثم أخذ القهوة مني، وضعها على منضدة خشبية أمامه
ونظر لي ملياً فقال:

◆ - أشعر وكأنك صرت شابة قاضجة رغم مرور سنة واحدة
على العنوان.

ابتسمت فأكمل
- اجلسي يا ابنتي.. هل تؤدين قول ثمي؟ أشعر بك،
- أود طرح الكثير من الأسئلة يا جدي.
أخلق الحقيقة وأطبقها ثم ارتشف من قهوته القليل.

- كُلي آذان صاغية.. اسألي ما شئتِ؟

- أريد أن أعرف الكثير.. لماذا رفضتِ أمي الذهاب لحارة اليهود من قبل والآن تقطن فيها؟ لماذا يقول أبي إن اليهود صير حلوناً؟ ولماذا تسميهم أمي صهاينة؟ وماذا فعلنا يا جدي لكي تغمّر بلدنا بدميتنا وقوت الناس في الشوارع؟ لماذا هاجر الناس ولماذا بدّلوا في الرجوع الآن؟ وماذا عن المستقبل يا جدي؟ لا أستطيع لسان كل ما رأيت.. ولا أستطيع لسان صديقتي هادية.. ولا أستطيع كل لغة إلا أن أسأل نفسي كلمة واحدة فقط: لماذا كل هذا؟

امتلات حين جدي بالحزن وقال:
- لعن الله الحروب التي أفقدت الأطفال براءتهم، هذا ليس بسؤال يا حبيبتي.. إنها قصة طويلة سنرات وسنرات.. لكنني سأرويها لك.. سأرويها على مهل فلم استطاعتي.. ومنذ بدايتها وحتى الآن.



BOOKS

أرض جاسان - (وادي الطليمات) - مصر

١٦٠٠ قبل الميلاد

في ليلة صحت كغيرها من الليالي لم يتوقع أحدٌ أحداثها التي
عبرت بحري التاريخ، وقت أبناء يعقوب، أحماد متوحشين، ينظر
عصمهم إلى بعض داهنين، كانت لحظات لم تراود عقولهم من قبل
حتى حدثت، تبكي أرواحهم بصوت مسموع، مما صorf يحدث
عند وقتها، فظهر أن طال، وقت آتٍ لأحدالي قبله وقت يفت ورواحه
مسير مجهول، وتكونت مملكة الحداث.

كانوا ينتظرون أيامهم في أهل بقاع مصر (جاسان)، بعد أن
استدعاهم نبي الله «يوسف» ليعيشوا معه وقد غلبه شوقه إليهم،
وأحسن إليهم وأسكنهم أهل المسكن، وأعزهم بين المصريين
أصحاب الأرض وبين المكسوس المحتلين مثل أربعمائة عام،
فجعلهم يشتغلون بالتجارة ويتعلمون صناعة الذهب ويجرف
سيرة أخرى.. رحوا وازدهرت أشعثهم، وقد كانوا يسكنون

بلاد كنعان من قبل في قصر

رأوا كل ذلك سرعاً أمام أعينهم، فعلت علامات الفزع على
وجوههم، زبها أدركوا أن أيام مصر في عهد يوسف أيام لن تعود،
كان يوسف يوقد على سريره في إعياء، ينظر إليهم محاولاً رسم إنسانة
على وجهه الجليل، لكنه يعود فيؤثر الجدية ويقول في صوت واهن:

- هـ أنتم بقية أهل الله على أرضه وصفوته من صالح المؤمنين..
سكنت التأوهات وأصوات البكاء تباهاً وصغت القلوب إلى
يوسف فتابع..

- لقد أرسل الله تعالى يعقوب أباكم ومن قبله إسحاق
وإبراهيم دعاء لعبادته وحده وإتباع سبيل الحق والخير فكان
جداًكم إبراهيم خليل الله وآيا الأنبياء..

فأكذبت وساروس أنفسهم الآن بأن هذا القاء يوسف الأخير
والآخر ما يحدثهم به، نبضت القلوب في وجل وسالت الدموع لا
توقف، تحاول العقول أن تعي وتحتفظ قضية بني الله..

- هوها أنتم تعيشون في أرض مصر مكرهين وأنا ما زلت
معكم وبينكم، وإنني مشرف على لقاء ربي والإلتحاق بأبائي.. فإذا
وفاني الله وهذا حادث لا محالة، فستعرضون للمهانة والظلم
والعذاب فما عليكم إلا الصبر والتحمل بدينكم..

علت أصوات الدموع وحسرة القلوب من حوله فما كان منه
إلا أن أكمل مقاطعاً..

- وبعد زمن ليس بعيد سيأتوني منكم بخلصكم من جهنم
مراعاة مصر، ويتصر الله به الحق ويقيم الدين، وأعلم أن الله مع الصابرين..
ثم أسلم النبي روحه الطاهرة لله راضياً مرضياً فعلت أصوات
تتحب خرقه الفراق، سيما علقت أصوات أخرى تبكي مصرها
اليانس المحنوم..

«يوكابد بنت لاوي» مصر - ١٢٠٠ قبل الميلاد

وقفت يوكابد واسمها العبرى هريم، بجوار نهر النيل، تأمل
سريانه الذي لطالما انصبت على أسرارها، ثم بأحداث حثام هي
والجها فخران بن قايث بن لاوي من يعقوب المسترجع
عقلها ذكريات زواجا الفاجلة ليست أقل المآلما تعاصره الآن،
لكن معاصرها للأحداث جعلتها كائنات حية لا تنام ولا تهدأ
أمامها وكيف ما أن تهدأ وقد غابست أجيال بني إسرائيل الذلة
والهوانة من بعد عزة وكرامة وجاه في عهد يوسف النبي؟

فبعد أن حاد بنو إسرائيل عن نهج النبي يوسف جيلاً بعد جيل
ولسوا وحده، استغلوا المصريين واستكبروا عليهم وتحالفوا مع
الهكسوس ضدهم، تفاقمت الأمور وعاش المصريون في ظل تحت
أمر الهكسوس ولم يلقوا من بني إسرائيل ما توقعوه من إعزاز
لورد الخليل، حينها أقسم «أحمر» أن يعثر المصريون في عزة
أو يموتوا بكرامة، حارب الهكسوس وانتصر عليهم، وطردهم
حتى هربوا جميعاً خارج البلاد، ثم أراد الانتقام من بني إسرائيل
لحياتهم فصادر أموالهم ومساكنهم، وحرّم أولادهم من التعليم، ولم
يكتف بهذا فاستعبدهم ومنعهم من السفر خارج مصر، وثقلت

الآجيال بعده وكلما توارث أسر الأقدمين الحكم توارثوا الاستعباد
بني إسرائيل.

كانت يوكايد ترى كل ذلك كلما نظرت إلى النهر، تحترق فرعون
الذي أبت الرحمة ودخول قلبه عندما نشر كبير الكهنة حلمه مُخْلِراً
سيولد أصل من بني إسرائيل يزيل مُلكك على يديه، شاهد
الرضيع المذبحين وأبائهم المتعاضين، لا تغرق حشواً، حالت
دموعها وهي تتذكر وجه عمران البائس وهو يقف عاجزاً يشهد
دمعاً وليدما البكر وباقي المواليد فقط لأنهم ذكورا، تتذكر ياسر
عمران حين قال:

- يكفي ما حدث لا أريد أن نتجنب مرة أخرى.

لكن روحها المقاتلة أبت فردت عليه بألمه بالإصرار:

- بل متجنب مرة أخرى.

وتذكرت الله في نفسها فجفت دموعها وشكرته أن روحها
بهاروت في ستة العشر من قبل ثلاث سنوات.

حدثت في مياه النهر الجاري قرأت دموع عمران وهو يودع
رضيعها ذا الثلاثة أشهر منذ قليل، وتساءل عقلها في صمت: أما
كان لفرعون أن يفتق قبل أن يأتي غضب الله؟ أم أن موت جميع
أبنائه من لفرناوي وآسيا لا يوظف عظة في نفسه؟

أخيراً سحب يوكايد عبيتها التي توقفت في أعماق النهر
اجاري، ثم نظرت إلى رضيعها الأسر البهي الذي أحضته
بين يديها، والذي لا تعرف له اسماً بعد ويرادها وحي الله لها بأن

ولدها سيكون شأنه عظيمًا يومًا ما..

وَأَن أَقْبِلَهُ فِي النَّبُوتِ قَائِدُهُ فِي الْيَمِّ قَائِلُهُ الْيَمِّ بِالشَّاحِلِ
يَأْخُذُهُ عُدُوُّهُ رَعْدُورُهُ ۝

رفعت يوكابد نظرها إلى السماء ودعت باكية:

- «يا رب إلهي صانع كل ما أوحيت إليّ به وإلهي بك مني ما
تجعلني أفعل ما يمتدح الناس جلوتك.. يا رب لقد آثرتك أنت
رمّ إبراهيم ورسول يعقوب وإسحاق وإسماعيل، أما لك أن تعبد
إلهي من الآن؟ إن كنت قلبي نيت قلبي يا إلهي جعلت البارودي
وملائق علي إبراهيم أحمل الماء وأنا وأبائي على أبي».

ثم ألقت الصندوق في النهر اجلاني إلهي صنعه لها
محرّقات المومس يا إلهي من قلا فرعون، وألقت وراء قلبها
القطر ليراقبه نهرونا حتى أصيبت إثر انزلاقها على إحدى
الصخور فأمرت مريم بمتابعتها حتى لا تفقده فتعلم مصيره
صعلت.

ظلت الأخت الحنون تهزول وراة أحيها الرضيع، فلم يعرق
لم تأكله غماسيح النهر ولم يصبه مكروها بل ظل يسبح في سرعة
وقانه يعلم وجهته حتى صاحبت أخيرًا صاعقة بعد أن توقفت
- يا للهول! لقد ذهب إلى قصر فرعون!



- حاضر.

- لقد صرت في التاسعة من عمرك، عندما تزوجت كنت في الرابعة عشر.. جيل فاسد.

فتحت لمرآة الباب الزجاجية فوجدت جلال جارنا فضحت الباب.. لجلال الشاذلي ابن صابط المخابرات الذي أركبه أبي في المشقة المجاورة لنا منذ أشهر، كان يكبرني بثلاثة أعوام، أشبه جدي كثيراً وسرده له ما سرده لي من حكايات النبي إسرائيل التي كتبتها سوريا، فذهب لنفس المدرسة وتعلم كثيرا ويطمئن وعروب العجلة أحيانا في مدخل الشارع. حين أن رأني قال:

- كل عام وأنت بخير.. أعطي لأبيكم كيس تمر هذا.. قولي ما من عند الصمت البسة.. والدق.

أخذه مني وقلت في صوت خافت:

- هل تذهب معي للخواجة ميتشو ثم عم عيده الطرايشي في شارع الجيزة؟

حك رأسه ولمعت عيناه وقال:

- سأحاول لأمي لنأخذ العجلة.

- اتفقنا.. لكن دعني أريك طائر في الورقة الجديدة على السطح أولاً ثم نذهب.

- هل تعلمت اتجاه الرياح وكيف تجعليتها تطير كما علمتك؟

- سوف ترى.

صعدنا سوريا في حماس وفتحت باب السطح ودخلت قبلها.

رأيت رجلاً متوسط القامة، أبيض، شعره أسود أملس، يقف عند الزاوية ويملك برجاجة صغيرة بها سائل أحمر، ظل الرجل يرش السائل في جميع زوايا السطح، ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة يقرأ منها أثناء رشه السائل، ومن ثم جفف جيبه بمنديل، انضت إلى جلال وقلت بصوت خفيض:

- ماذا يفعل هذا الرجل الغريب هل سطحن؟

قال جلال بصحاح:

- أه من الرجل الغريب؟

- الرجل عند الزاوية اليسرى، ماذا يفعل هنا؟ هل أذهب

لأقول لأمي؟

قلت جلال ينظر حوله وقال متدهشاً:

- إذا كنت تقصد بين السطح فأنا لا أرى أحداً غيرنا!

- كيف لا نراه ونحن أمتار بسيطة؟ ليس وقت مزاح.

- أنا لا أمزح.. أنا حقاً لا أرى أحداً غيرك هنا!

كان الرجل ينطق حوله في توتر ولم يبدو أنه يرانا، اقتربت منه

فكر فلم يلتفت إليّ أو ينالني بوجوهتي، كان يتمتم بصوت عالٍ:

«لا أريد أن أناذي» يا إله خلّصني بالنهار والليل صرخت

«إمامك» فلتأتني قدامك صلاتي» «أولئك إلى صراطحي» لأن قد

شجعت من المصائب نفسي» «وحبائي إلى الهاوية ننت»

وقفت بجانبه وكان يبدو مترعاً يترقق، ثم هرع ناحية باب

السطح مُعَادِراً وجلال ينظر إليّ في يلاهة وقال:

- أين طائرتك الورقية؟ لا تريد أن تتأخر.

لم أبال بجلال وهرولت وراء الرجل ونظرت إلى الدرج فلم أراه! حدثت جيدًا لم يكن هناك! كيف مبط كل الدرج في نواحي؟ دخلت إلى السطح لأرى الرجل في الحارة فلم أجده أيضًا.. نظرت إلى جلال الذي بدأ يتأفف وسأله:

«كيف لم تر الرجل! لقد مر بجناحك الآن!

«والله لم أره! رجلاً ولا امرأة.. ما بك يا حياقة؟.. هذا الشعب

الآن واحكي لي عن الرجل الحفي هذا لاحقاً.

هبطنا للتخرج سريعاً. لكن عند مدخل العمارة رأيت الرجل الذي كان مع زوجته وأولاده في بيتنا خجماً حجاب مفر. تسمرت في مكان للحظات وقد بقي جلال. كانت السيدة تكي وتمسك بأطفالها وتقول:

- حذرتك من ألف مرة لكنك لم تسمعي وذهبت كل ما

ممتلكه!

لم يحبها الرجل ومشى منكس رأسه فخرجت وراءه مع

♦ الأطفال واختفوا!

لم أتحدث عن أي شيء. جلال لأنه يهزأ ولا يصدقني، فقط

ذهبنا إلى حيث أمرتني أمي.

قضينا كل الطليعات، ثم هورتا بعدها قليلاً بعجك في الحارة،

لكنني لم أنس ما رأيته أبداً، أتذكر كل شيء منذ دخولي الدائرة

البيضاء وحتى رحيل هذه الأسرة الغامضة، بعد أن هذا الجميع

في المساء، علمت أن جدي لم يفتح ثراه المواتيس لنا وبحلال
 أيضاً كان فانوسي النحاسي ويدخله الشمعة أميرهم، جمعنا جدي
 أنا وحلال وقد تبقى على ميعاد السحور ساعات قليلة فأراد أن
 يستغلها قبل أن يذهب جلال مع والده للمسجد لصلاة الفجر..
 سألتاه في صمت

- ماذا حدث لبيوتنا فوسى يا جدي؟

لتسم جدي في صمت وقال

- تمت اعلم انكم لم شهدا حتى تعلموا حق شيء، صمت تكلم

القصه الآن



ONEPIECE

BOOKS

العودة إلى مصر

لم يولد الفخير بعد في صحراء قاحلة شديدة العتمة قاسية البرودة، تصادق فيها الظلام والسكون بغموضهما الأبدى، أحلام موسى يقاوم برد الشتاء ويطمش روجت وأبناءه من حين لآخر في رحلتهم من أرض مدين إلى مصر، في حين تتجسد ذكرياته في الظلام أمامه برضا عنه، فقد قلبه شوقه إلى أمه وأبيه وإخوته مريم وهارون وشوقه إلى مصر التي ولد وترعرع فيها، لكن ذكرياته غلبت شوقه فتذكر لحوق الدائم من فرعون ومن قبله، يتذكر قلبه الأبرياء بنظرة واحدة يعجبها حاشيته، يتذكر أيضا كيف كانت «آسيا» زوجة فرعون وحبيبة به حلة الأمومة منذ أن تبت، وكيف صارحه الكاهن الأكبر بالحقيقة يوم غارت نفسه من ابن فرعون، والذي كان يعد ليكون ملكا من بعده إليه، في حين كان هو الابن الأكبر لفرعون كما اعتقد في طفولته. فقد التقطت آسيا من الماء وأقنعت فرعون بتربيته في قصره، بعد أن أحس وتعلمت به من النظرة الأولى، ثم يتذكر دماء أمه يوكايد وأبيه عمران فلا يشعر ببرد الصحراء وكيف رده الله مرة ثانية إليها حين رفض كل المرضعات، إلى أن أخبرت مريم أخت الملكة آسيا بمرضعة له فوافقت على إحضارها.

كانت هذه المرضعة هي «يوكايد» أمه فوضع ستها وحدها، ما أرحم الرحمن وما أطفئ، تذكر موسى كيف ترعرع في قصر فرعون

الطاعة ومع ذلك لم يسجد لصنم قط، كيف عاد إلى أهله وكيف
لقد عمروا الذين الحق من مخطوطاته التي توراتها عن آياته.

نظر إلى ابنه النائم على الدابة في سلام بينما يمسك هو بلجامها،
لم تذكر عذاب بني إسرائيل على أيدي جنود فرعون، استغاثتهم
الدائمة به والتي لطافاً قام تليتها في حنو وشفقة إلى أن أتى اليوم
المشؤم.. يوم احتفال المصريين بالإله مينا، والشوارع شبه خالية،
لقد وجد الرجل الذي استغاث به من بني إسرائيل والمصري
يصره بقسوة، فيما كان منه إلا أن وكّر المصري وكثرة وقع على أثرها
جثة هامدة في الحال!

تأثر موسى بها تذكر، لكن الذكريات في رأسه تجري كمجري
البحر الذي حط إلى قصر فرعون، إن الأحداث تقع بمقدار لا شيء،
يحدث عبثاً في هذا الكون، بالحزن يجري ذكرياته قبل عشر سنوات
إلى هذا الرجل مرة أخرى وأحدث نفسه يتكرر مع مصري آخر
ويستغيث به، لكنه يرجع إلى نفسه ويرفض معاونته هذه المرة فربما
كان هو من يشاكس المصريين، فيصبح الرجل وسط الملا غير عابث
بما يقول «يا موسى أريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس • إن أريد
إلا أن تكون حياً في الأرض وأنا أريد أن تكون من المصلحين»^(١)

ثم سمع صوت مصر قاله المذموم يتردد في أذنه ولا يعاثر رأسه
- اهرب يا موسى.. إن الملا يتآمرون عليك ليقتلوك.. لقد علم
فرعون كل شيء وبعث في إحضارك.. اهرب.. إن لك من الناصحين.

ويتذكر خروجه من مصر خائفًا يترقب أن يصل إليه جود
فيحول فيقتلونه، فرقد موسى بصوت مسموع في الصحراء ما قاله
لحزقيال حينها:

- «رب نجني من الغوم الظالمين»

نظروا إلى أمراته واتسم زعم ذكريات مرارة وحزن من مصر
بكون رايده بأقل من أوق الشجر، وضرب بمأخذه من ألام في أيام
كثيرة، تكورم أرجله وتتأذى في طريق وعرة حتى وصل لأرض
مدين والتي بأمراته، كان اللقاء متقدرا زعم ذلك أسقاء، كيف
مساعدها هي ولتقيتها عند البئر وكنت حيث أياها شعيبا
على استنجانها، فتكثرت في أرض قديم حشر حزين، تزدج فيها
باصفرارة وأنجب منها ولدين وساعد أياها في أمور الرعي
والزراعة وغيرها.

طلت ذكرياته تذهب وتعود حتى اشتد البرد عليهم فأوقفها
فوقف موسى وقد أدرك صحراء سيناء أنزل زوجته وأولاده من
على الدواب ليرتاحوا قليلا، لكن البرد اشتد أكثر فأراد أن يشعل
نارا يلتمس الدفء بها، لكن قوة الرياح خالت فوة ذلك.

نظر حوله وقد استوحش البرد فأوقف الدواب وتظر بعيدا
وكأنه اكتشف شيئا.



الوادي المقدس طوي - سيناء

فجاءهم وهم على الجبل فقال لهم موسى إلى ضوء نار عظيمة بجانب جبل الطور،
فخرج وقال لأهلهم

«انكثروا إليّ آتيت ناراً لمحلي آتيتكم معكم بقبس أو راجد على
النار هلوي».

فتركهم موسى (فذهب) فاتجهوا النار، فحارقت الحافوراء في
الحاه ولم تترسخا عما يرى.

وصل موسى إلى مكان النار فوجد ما تخرج من شجرة أوراقها
مخضراء، كانت الشجرة في جبل غريب من يمينه وتعجب من الأمر
بعد أن سكنت الرياح عن وادي طوي سيناء.

كان نورها عظيم، وطاق به ما جس أي تار أم نور؟ وقيل أن
يقطر اهتز الوادي وارتجت الأرض من تحت قدميه وسمع موسى
كصوت العظيم من كل اتجاه.

أيها موسى

ارتعب موسى وخضر في كل اتجاه

فقال عز وجل:

«إِذَا أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوي (١٢) وَأَنَا
أَعَزُّ مِنْكَ فَأَسْمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاصْبِرْ وَأَنْجِمْ

الصَّلَاةُ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُخْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمِي (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْتَوِي (١٦) (١٥)
 وَكَانَ خَوْفُ مُوسَى وَانْقَضَ جَسَدُ حَيَّةٍ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ
 هُوَ مَنْ يَتَكَلَّمُ مَعَهُ فَخَلَعَ تَعْلِيهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَمَا تَلَاكَ بِمِيتَةٍ يَا مُوسَى (١٧)

لَمَّا وَجَّهَ يَحْيَى أَنْ تَطُولَ لَيْلَةُ الْحَفِيفِ مَعَ اللَّهِ

قَالَ بِي عَضَائِي أَتَوَقَّأُ عَلَيْهَا وَأَقْشِي بِهَا حُلَّ عَنِّي فَبَدَأَ فِيهَا
 مَا رَأَى الْغَرِي (١٨)
 قَالَ:

قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى (١٩)

فَالْقَاهَا قَلْبًا فِي حَيَّةٍ تَسْمِي (٢٠)

فَخَافَ مُوسَى وَأَوْثَقَ أَنْ يَسْتَدِيرَ مَدِيرًا لَكِنْ تَادَاهُ اللَّهُ:

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِدَتْهَا بِرَبِّهَا الْأُولَى (٢١)

مَدَّ مُوسَى يَدَهُ إِلَى الْحَيَّةِ فَتَحَوَّلَتْ إِلَى عَصَا مَرَّةٍ الْغَرِي وَقَالَ اللَّهُ:

وَاجْعَلْهُمُ بَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ مَوِّ أَيْةٍ أُخْرَى

(٢٢) لِنُرَيْكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكَفَرِي (٢٣)

وَضَعَ مُوسَى يَدَهُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ فَخَرَجَتْ بَيْضَاءَ مِنْ تَحْتِ مَوِّهِ ثُمَّ

وَضَعَهَا عَلَى قَلْبِهِ فَاطْمَئَنَ وَسَكَنَ فَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى

فَقَالَ مُوسَى:

- رب إني قتلت نفسي من آل فرعون وأخاف أن يقتلونني.
والحي هارون هو أقصع مني لساناً فأرسله معي.
فاستجاب الله له وقال له:

«سشد عضدك بأهلك وتجعل لك سلطاناً فلا يصلون إليك بآياتنا. أنت ومن أمركم الأغالبون»^(٢٨)

ودعا موسى الله مرة أخرى فقال:
«رب اخرجني مني» (٢٥) «وسر لي أمري» (٢٦) «واخلط خلقة
مرا لساني» (٢٧) «تلقهوا قهراً» (٢٨) «واجعل لي من آل فرعون أهلاً» (٢٩)
«هارون أخي» (٣٠) «أفعل به أمري» (٣١) «والسر قل لي أمري» (٣٢) «فني
أصحبك قهراً» (٣٣) «وتدعك قهراً» (٣٤) «إنك قسيت بصبراً» (٣٥) «
... قال قد أوتيت سؤالك يا موسى» (٣٦) «ولقد منّا عليك مرة أخرى»
وبعد أن تقبل الله دعاءه أوحى إلى هارون وقتها فعلم هارون
الامر كله قبل رجوع موسى إلى أمته ثم أخبره الله بقصته منذ
ولادته إلى أن قال:

«وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي»^(٣٧)

رجع موسى بعد لقائه المبارك مع ربه ، رجع إلى أمه شارداً الذمير
يستعمل عليه الوقت ودمعه وقد نيت نبوته التي تنبأت بها يوذايد منذ
أن أنزلت وحي الوهاب ، رجع وقد حمل بالأمانة... وعليه أن يؤدبها.

• • •

(٢٨) سورة القصص، الآية ٢٨

(٢٩) سورة القصص

(٣٠) سورة القصص، الآية ٣٠

الخروج من مصر

جلس فرعون على مقعده الذهبي في غرقه الفخمة حائراً
 يفكر في طلب عبد بني إسرائيل بأن يقدّمهم بالخروج ليحتفلوا
 بعيد من أعيادهم، تتدفق الأفكار في رأسه فلا يأتى بهم لشركوا
 ضراً واحداً فقط، فكيف له أن يأتهم حتى يخلوهم البحر الأحمر؟
 له يأتهم حياتهم لأبد الفرعون الأكبر وافقهم مع بضعة أهلهم
 لمزعجة الأمن في مصر وبالتالي رزعده الحكيم، وقال لك يتحملون
 من دفع الضرائب لمصر مقابل الحماية، وحيث لا يستطيع الفرعون
 الأكبر حاية حدود مصر، فيهربون منها إلى فوجهم بفلسطين، لكن
 أباه كان يعلم بالملكة فحارب قبائل فلسطين وتكل بهم أشد
 تشكيلاً، ليكوتوا عبرة للتوهم في مصر.

هب فرعون واقفاً في حتى عظمتها تذكر للمرة الثانية تحالفهم
 مع المحيين ضد الفرعون الأكبر، أولاً أن الفرعون فطن للمملكة
 الثانية وأرسل بمعاهدة سلام للمحيين ليقطع جهائل الشر التي
 تلقىها بنو إسرائيل حول أمن مصر.

حيثما دخلت زوجته الجميلة «آسيا» غرقته فلم يشعر بوجودها من
 الإغراط في التفكير، كانت «آسيا بنت مراحيم» من بني إسرائيل إلا أن
 فرعون أحبها حباً كبيراً، فطت لكونه مُشغلاً وكانت تعلم بأمر طلب

العبيد مُسَبِّحًا، تَحْتَضِرُ أَسِيَا وَتَحْتَضِرُ أَمَامَهُ وَقَالَتْ فِي رَحَاءِ:

- مَوْلَايَ... قُلْنِجْعَلِيهِمْ يَذْهَبُوا الْعِيدَ هُمْ.

لَتَبَّهَ قَرَعُونَ لَهَا وَكَانَ يَعْلَمُ انْتِخَارَ مَا إِلَيْهِمْ، فَجَلَسَ وَهُوَ
يَذْأَعِبُ فَمَقَّه شَارِقًا نَجِيهَا وَكَأَنَّهُ يَحْدُثُ نَحْبَهُ

- أَلَا أُنَعِّبُ... مَنِ الْعِيدِ مِنْ عِيدٍ؟

نَظَرَتْ لَهَا أَسِيَا وَقَالَتْ مَبْصُورَةً:

- اَتْرَكْهُمْ... هُمْ لَمْ يَرْتَابُوا أَمَّا رَسِي وَلَمْ يَحْتَمِلُوا قَطْلَ بَايِ عِيدٍ
مِنْ أَعْيَادِهِمْ

تَغْيِيرَ وَجْهِ قَرَعُونَ وَنَجَسَ تَمَ قَامَ مِنْ مَعْمَدَةِ نِكَاهٍ لَا يَحْتَمِلُ
مَا تَقُولُ، تَوَجَّهَ إِلَى شَرْقَةِ الْقَصْرِ وَهَرَّةٌ تَأْتِي وَتَحْدُثُ وَكَأَنَّهُ
يُحْدِثُ نَحْبَهُ

- إِنْ هُوَ لَاءَ الْعِيدِ يُضَايِقُونِي فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

قَامَتْ أَسِيَا مِنْ مَكَانِهَا وَقَعَتِ وَرَاءَهُ تَصَحُّهُ:

- إِذَا اَتْرَكْهُمْ يَرْتَابُوا قَلِيلًا وَلَسْتُ رِيحَ قَلِيلًا أَنْتَ كَذَلِكَ.

ظَلَّ قَرَعُونَ يَفْكُرُ هَوْنُ أَنْ نَجِيهَا هَذِهِ الْمَرَّةَ قَامَتْغَلَتْ أَسِيَا
مُحَرِّصَةً لِكُتْمَلٍ مَا يَدَانَهُ

- إِنْ أَعْمَالَ الْبِنَاءِ تَبَاطُطَ هَذِهِ الْأَيَّامِ... اَتْرَكْهُمْ يَحْتَفِلُونَ حَتَّى

إِذَا مَا عَادُوا وَجَدْتَهُمْ بِحَالَتِكَ وَقَدْ بَنَاءَ

زَهَرَ فَرَعُونُ فِي تَحْيِيْقٍ وَهُوَ يَغَادِرُ الشَّرْقَةَ وَيَخْرُجُ مِنْ بَابِ الْعَرَفَةِ

الْخَشْبِي الْكَبِيرُ:

- إِنْ هُوَ لَاءَ الْعَبِيدِ مَقْرُوزُونَ.

قضى فرعون ليلته يفكر في أمر عبيد بني إسرائيل، يتأرجح عقله بين الرفض والإيجاب بعدما يتذكر نصيحة أسبالة.

في صباح اليوم التالي بعث فرعون في رؤفة العبيد، اضطفروا على جانبيه مدخل قاعة الملك يتظرونة في خوف وإجلال وحذر، حتى إقامخل حرموا له مساجدين واحدا تلو الآخر، حتى وصل إلى ترمسي العرش فجلس في عظمة وفخرو وأشار إليهم في استعلاء:

« لقد أدنت لكم لتحريموا وتحفظوا إلهيكم.

هليل العيد في قبح وعظمة لم يشهدوها أبدا دخل البلاط الفلكي ولا خارجة.

— شكرًا لك يا إلهنا — شكرًا لك —

ONEPIECE



BOOKS



حلت مع إخوتي البنات وأمي حول إناء نحاسي كبير يملؤه
العجين، بالمدحجه لصفا صغيرة وبعلامة أمر كيف يشتهي الكملك
في اليد، وكيف بلوم بدقه وراحه في صحن قهقهة، وهي تغني
مع مشوقتها السيدة «أم كلثوم» غير الرثيد:

- يا ليلة العيد استجيا وجددتم الأمل قبل ما ليلة العيد

نم تنظري إلى

- أدخلني المكنى بعد ادخل المكين جينا يا حياة

- حاضري

تهدت أمني

- الحمد لله أنهم سمحوا أصاير بزيارة ليلة العيد، فالجهازية

هذه الأيام صعبة للغاية.

قالت هناء:

- هل صحيح أن الملك فاروق في أيامه كافأ الست أم كلثوم

على هذه الأغنية يا أمي؟

- صحيح.. أنعم عليها بوسام الكمال وأساها «صاحبة

العصمة» في سنة ١٩٤٤، لكن الست قامت بقتالها في سنة ١٩٥٠.. يا

ربي لا أصدق أن عشرين عامًا قد مضت!

ذهب صاير ومرتضى تحبزان ما صنعتاه، بينما عصام وسري

يتظران ما نعهده الآن، وقف يسري أمامنا متأففاً.

- متى ستذهب إلى القرية؟ ستضيع الليلة وأصحابي يتظرونني
للتعب الكرة؟

- ستذهب حين تنتهي يا يسري وابن تلعب الكرة الليلة.
العائلة أولاً هل سمعتي؟

نعم يسري، الكثير من الكلمات غير المسددة، نظرت أمي له في
توعد قلبها بعيداً، اعتادت أمي على صنع كميات كبيرة لتغطي طبقاً
لكل شقة من الجحيم الذي تم إعطونا هم بدورهم لا صنعوا، ومكثوا لا
تضع الأطباق الدارة في الأهم العائلي وجميع مناسم البيت.
وفجأة سمعنا صوت ارتطام الباب وجاء صوت أبي فرحاً
- يا دانا، دانا.

نظرت أمي، لا شيء، تحدثت نفسها ثم أحابت في عتوية:
- خير اللهم اجعله خيراً، نعم يا سي أحمد.
قامت أمي فعملت يديها لتخرج لأبي، لكنه كان أسرع لجاء
إليها كأنه يحمل يسري عظمة فالتفت حوله يسري وعصام.

- ألم أقل لك إنهم لن يصبروا أو يصعدوا؟
- من؟

- من غيرهم؟
ثم لوح بمفتاح في يديه بقرعة قائلاً:
- أول عائلة مغادرة من الثلاث عائلات، عائلة مشاوي.
سيرحلون بعد الغد إلى إسبانيا.

صاح يسري:

- هذه شقتي .. سأتزوج فيها.

نهرته أمي:

- قلت لك مرة لا تقاطع أبالك.

ثم التفتت أمي إلى أبي وقالت في حدة:

- أراهن عمل أنهم شاعيون إلى إسرائيل.

صاح أبي بغضب شديد:

- قلت لك ألف مرة لا يوجد شيء اسمه إسرائيل يا واد.

يل الكيان الصهيوني .. ثم إلى وجهتهم لا تهمني .. أما الآن فأحلي

مفتاح الشقة أمانة لديك .. ولا يُدْلقُ لسانك لتواجه أبناء رحيلهم

لنأخذ من سلامة الشقة.

أخذت أمي منه المفتاح وأخرجت حرايا صغيرا من صدرها

قدسته فيه، نظرت إليه للمحطات قليلا وجهها التورق عادت إلينا

بعد أن ذهب أبي .. فجاء صوت جدي:

- يا حياقة .. اجلسي بعضي الكعك الذي أرسلته والدته تهان

مديقتك لأتذوقه.

وبقستي أمي في ضجر وصاقت عيناها لعلها أنه لا تريد

شيئا .. تركت المعجين هم وشئت يدي في فواقي.

- خالاً يا جدي.

دخلت العريقة فوجدته يضحك وينظر إلى الباب وكأنه يطمش

أنا وحدنا، فقلت بصوت خافت:

- أمي ستقتلني .

- أعلم هذا .. وأعلم أنك لا تحبين عمل المطبخ .

- أصحيح يا جدي سأتزوج بعمر الرابعة عشرة مثل أمي ؟ إذا

تفرد لي أربع سنوات فقط ؟

- إلهي كيفك فقط لتصبحي ست بيت شاعرة وأنا أعلم أنك

ستكوني .. لا فامر لكل هذا العناء المبكر .

عاش جرس الباب وانتار جدي .

- إنه جلال .. استدعته .. مر شهر تقريباً لم يجلس فيه سويلاً .

ما أكمل لكها الحكاية الطلة .

دخل جلال يقبل رأسي جدي كعادته ، قال لي أياك مرة أنه

يسمى أن جدي هو أيضاً جد له لأنه يقتد أحفاده المين وحلوا في

من مكررة له ، جلسنا بخاب هلت .

- أعلم يا جدي أن عائلتي موردحاي وواكيم بعثوا لنا

بأطباق الكعك ، وأمي سوف تبادلهما الشيء نفسه ، لكننا فريحت

برحيل عائلة شافول الآن ! أختار في فهم أمي كلها راقبت أفعالها .

- لا داعي للحميرة يا صغيرتي ، أمك تعمل بوصية الرسول

وتحس للجار ، وهم في حقيقة الأمر يعاطفونها بالحسن مرد

الحسن ، وسوف تعلمين بعد انتهاء قصة الفرق بين اليهودي

والصهيوني جيداً .

الت أصوت ضحكات أمي وإخوتي مع صوت «نومة»

فأغلقت باب الغرفة بهدوء .

نظر إلينا جدي وكنا مترقبين لحديثه في شعف شديد.. ظل صامتاً ولم ينطق ففهمنا أنه يداعبنا لعلمه يترقبنا الشديد.. قلت له:
 - هيا يا جدي أرجوك، أريد أن أعلم ما حدث بعد ذلك.
 وتابع جلال على كلامي مؤمناً:

- أرجوك يا حبي، فلتكمل لنا الحكاية.



BOOKS



خليج السويس / العقبة - البحر الأحمر «الخروج الثاني لنبي الله موسى من مصر»

تأهب بنو إسرائيل للخروج من مصر بعد أن مر قواوا واستعاروا ذهب المصريين قبل الخروج، والذي انظروا له المعقودات مملوءة، الخروج على يد موسى يرحلون فيه الرخاء من عذاب فرعون، حتى وإن لم يمتوا يرب موسى قبطاً، وإن لم يتخطوا من آيات العذاب التي أنزلها الله على فرعون وقومه من أجل هذه الملة.

خرجوا جاثقين في نبوة موسى، بل يشككون في وجود الرب وكل معجزاته، آيات الغيثان والجراد والقمل والضفادع والدم التي شهدتها أنفسهم، فقد أشاع فرعون أن موسى ساحر، وكذلك صدقت قلوب العبيد إلا القليل منهم، وأخيراً ضرب الفقر مصر بعد دعاء موسى عليهم حتى وصل إلى القصر الملكي.

وفي ليلة الخروج التفقت قلة من المؤمنين حول موسى وهارون، خائفين على نبي الله لا يملكون من أمرهم شيئاً.

كيف ستخرج بنا من مصر يا موسى ولم يؤمن بك إلا القليل منا؟
إننا نخاف عليك من العبيد، إنهم ياترون لا يعبدون شيئاً إلا أنفسهم.
طمأنهم موسى أن الله قد أمره بالخروج وأنه لا يعصي الله أمراً.
وفي وقت قصير تجمعوا يعملون أمتعتهم في الظلام، ظهر

موسى وهارون يتقدمان الجميع، خارجين من عيسى مناسين طريقاً قد أرشد الله كلمته موسى إليه.

حلى فرعون مع حاشيته يشاور في أمر ملاحقة العبد بعد أن علم حقيقة الأمر، وقد استشاط غيظاً، تصحى البعض بتركهم لكنه أصر على إذلالهم وإلحاقهم بالقوة، حتى فاقده الجيوش وهابانه الخوف من كافة أنحاء مصر، وتقدمهم في ملاحقة موسى والصفاء بعد أن رسم أعطته هبة. قاد البيان الطريق في ثبات، بينما ظل بنو إسرائيل يتقدمون ويتشككون في عبادتهم، وحين رأوا البحر أمامهم لم يجر منهم عبور فرعون ورايههم ولم يجدوا منفراً فقالوا:

- «إلهنا للموت»

وفي هذه اللحظة استبحروا مشقة السفر والحر وب من فرعون وتقدموا على ما فعلوا، واتعبوا من عذاب فرعون ظم وبدأوا في الصراخ فرغاً ولوم موسى على هلاكهم المترقع.

قال موسى في اطمئنان وثبات:

- «كلا إن معي ربي سيهدين»^(١).

بدأ فرعون وجنوده ورايههم بالاقتراب، فاقرب يوشع بن نون وسأل موسى في أدب:

- يا كلم الله.. أين أمرت؟

نظر موسى تحت قدميه وقال:

- ها هنا.

(١) سورة الشعراء، الآية ٦١

(٢) سورة الشعراء، الآية ٦٢

كبح يوشع لجام فرسه ودخل به إلى الماء فغرست حوافره في
مكان شديد العمق فرجع إلى موسى يتأكد:
- يا كلميم الله.. أين أموت؟

أكد موسى:

- ها هنا.

نظر يوشع إلى الماء وما دون الكفة فترسب الفرس في الماء أكثر،
فذهب العبد يصحواك مثله فلم يقنوا، وهنا أوحى الله إلى موسى
أن يضرب بعصاه البحر ففعل، وانفلق البحر إلى جيلتين من المياه
لرافعهما عظيم، بينما يمر في مشهد عظيم.

وقف العبد مستدعي لا تصدق أهليهم ما رواه، عبر موسى
ومازول البحر والعبد متحجرون في أماكنهم حتى صاح أحدهم:
- هيا.. ماذا تنتظرون.. هيا تقدموا.

بدأوا في العبور متاملين راهمين المياه الواقعة على الجانبين في
تصرخ، يدعوا كأنهم داخل حلم وليسوا الخوف من فرعون بعد أن
كاد قلبهم يتخلع من صدورهم.

وصل فرعون وجنوده إلى البحر فوقفوا عنده يظنون في
تعجب إلى انقسام البحر وقد انقلب إلى جيلتين شاهقين من المياه
ليعبر بنو إسرائيل، حتى إن البعض أنكروا ما يرى وقالوا إن هذا
سحر موسى يخدعهم به، عندئذ وقف السامري ينظر إلى مكان ولا
يستطيع أن يربح نظره عنه، ثم اختفى وقتاً قصيراً وعاد إلى مسيرة
العبور.

تراجعت خطوات حيل وجنود فرعون إلى الوراء في رهبة،
لكنه حثهم في حماس وعناد إلى الركض وراء موسى والعبيد وكان
أول العابرين في عربته الملكية، ففعلوا تنفيذاً لأوامرهم.

جاوز موسى وكثير من بني إسرائيل البحر في أمواج ووقفوا على
الشاطئ الآخر ينظرون في رعب إلى فرعون وجنوده واستحوذ عليهم
الغرق وأخذوا يحثون موسى أن يفعل شيئاً ليخلصهم، صاح أحدهم:

- اضرب بحصاة البحر مرة أخرى.

لكن موسى رفض وأكد أن الله يأمره بأن يترك البحر على حاله ساكناً
وعندما عبر البحر أخيراً شخص من بني إسرائيل انتصف
فرعون وجنوده طريقهم في البحر، طافوا بجواربهم في
شعاع غضب وشهق عليهم من كل الحام وتكلمهم بهضبة تنقيداً
لأمر ربهم، تنطق الملك الفرعون وجنوده الذي ظن نفسه إلهاً
وعندما أدركه الغرق قال: «أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو
إسرائيل وأنا من المسلمين» لكنه غرق وجنوده أجمعين، ولم يقبل
الله توبته بعد أن وصلت روحه للحاقوم.

واقب جسد بني إسرائيل في فصول ووجوم صراخ الجنود وصهيل
الخيول وسط الماء، حتى طافت الجثث الملعونة على سطح المياه، وأباهم
موسى أن فرعون وهامان وكل جنودهما قد هلكوا جميعاً فقالوا ما هلك
فرعون أقامه الله البحر بلطف جسد فرعون على الشاطئ،
فلما وجدوا جثة فرعون مملوءة حليمة وحليمة مزرعة المعروف به تحفظوا
بأنفسهم لعلهم يتداولون ويلومون.

(١) سورة يونس، الآية ٩٠

نُصِبَتِ الخيام في الصحراء وانهمك موسى في الصلاة لله حمدًا
وشكرًا على النجاة والنصرة وأقام بنو إسرائيل احتفالهم بهلاك
فرعون وجنوده.

ثم أكملوا مسيرتهم وتوَقَّلَ موسى بهم في الصحراء، حتى
وصلوا الجنوب قرب سيناء فمروا على قرية هاريف المأدوم،
متابعين الخطى ثلًا أعينهم الضيقة من رؤية أهلها ساجدين
لأصنام حدة، يقدّمون قرابينهم لها في حشود، التفتوا إلى موسى
وقالوا في حاسّة:

- يا موسى، اجعل لنا إلهًا كما لهم آله، فربنا إلهنا وراء.

غضب موسى وهالة ما سمع بعد يحيى ساردا من معجزات
وَقَالَ فِي أَسَى وَتَعَيُّفٍ:

- إِنْكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. (١)

فلما رأوا غضب موسى أكملوا المسيرة وفي نفوسهم رجس عظيم.



سار شاؤول وعزرا وسط القباطل في مسيرة الصحراء يحملان
المتعتما، يندو عليهما آثار التعب يتقدمهم جميعًا نبي الله موسى
وهارون، حتى جاوزت المسيرة القرية وبلغت صحراء سيناء عند
جبل الطور، وحينها نظر شاؤول إلى عزرا في شك وقال:

- هل تصدق حقًا أن موسى نبي الله؟ أم أن كل ما رأيناه سحر

ضيق؟

- أنا لا أصدق إلا أن يجعل لنا وطنًا مثل بقية شعوب الأرض.. وقتها فقط أو من به.

توقف موسى وأمرهم بنصب الخيام مرة أخرى، وبعد أن فعلوا نظر إلى أخيه هارون وأوصاه في حنية:

- الخلق في قومي وأصلح ولا تتبع سبل المقدسين.

وبدأ موسى رحلة الصعود على جبل الطور، يداها بالصوم عن الطعام والآنام والكلام والخطوة، ليعلق باب الدنيا ويأس في ضجة الرب، والقرم هارون بوصية أخيه الصعود وظل يعلم بني إسرائيل ويرشد لهم، فقال إليه بعض منهم:

وبعد مرور أيام، وفي إحدى الحميم لم يجدوا عقل عزرا من كثرة التفكير، لا يستطيع النوم في ليلة كنية على قلبه، انتهت زوجته فسالته في حنو: بعد أن اطمنت أن أولادها نائمون:

- ألم تتم بعد يا عزرا؟

- وكيف أرتاح وقد ألقى بنا موسى في الصحراء عثًا.

نظرت خلفها مرة أخرى لتطمئن على أولادها وقالت في ثبات..

- إن نبي الله موسى يعلم ما يفعل، وهو لا يفعل إلا ما يأمره الله به، لقد تجانا الله من عذاب فرعون ألا نتذكر الأمس القريب؟ والله إنني أخاف أن يسمعك أولادنا فيملاهم الشك صدق صغرهم..

كيف تعلم أولادنا تعاليم موسى وأنت لا تؤمن بها؟

- لقد مثمت ما يقوله موسى، ولا أبالي بإيمان أولادنا الآن،

والى لأشواق لعذاب فرعون الذي أعلمه، فهو أهون علي من انتظار

ما لا أعلمه في هذه الصحراء القاحلة.

ثم خرج عزرا من الخيمة يتأفف وظلت زوجته تدعوه له حتى حلت ثيابهم الفجرة، فخرجت مع قبائل بني إسرائيل إلى بنو قريظة يملؤون أوعيتهم من الماء، واصطفت مع النساء فرأت امرأة تلتفت وتساءل مع باقي النسوة:

- أم تلاحظن اهتمام هارون الزائف بنا؟

قالت احدها:

- نعم تلاحظه. إنه ليس القول ومين الطبع على مكبي موسى الذي يأخذ كل شيء بحدة ويغضب غلبا لبعض أو أمر به.

رفعت الأولى حاجبها وحكت كفها وارقت ملامح الشك على وجوها وسألن:

- أم تلاحظن الخفاء موسى! لقد طال غيابك! إنني على يقين أنه قد هرب ولن يعود. وقريبا يلحق به هارون.

مهمت بعض النسوة:

- نعم أين هو كل هذه المدة؟

وقدت النسوة الحديث حتى تعدت به كل القبائل، وبينما يحكي هارون بين الخيام يتفقد أحوال بني إسرائيل استوقفه احدهم تسائلا:

- أصبح يا هارون ما يشاع من أمر هروب موسى ولحاقك به قريبا؟ أتركانا هنا في الصحراء ضائعين؟

فيقي هارون بهدوء مؤكدا ملاقة موسى في جبل الطور

فيسألونه في إنكار:

- أما كان لربه أن يلاقيه في مكانه دون أن يصعد على الجبل؟

ويصيح أحدهم:

- ومتى ينزل موسى من الجبل؟

فيقتلهم هذه. هارون وصبر مرة أخرى ويخرج لهم إلى
يعلم. ووجد محبة، ونظر العبد إلى بعضهم البعض ففكر من حديثه
لقول أحدهم غاضباً:

- إذا كان الأمر هكذا قالت لا تصلي يا هارون خلوة
موسى، أنت مثله وتحب تلك امرأة

فتركهم هارون في سلام ويحمي في طريقه
وفي إحدى الليالي انطلق موسى، كان يحس قتيامين و
وشالوم في خيمة أحدهم، يتحدثان سرّاً وقال قتيامين:

- أرايت ما يتحمل هارون من العبد؟ إنه مكين بما يلاقه
منهم بعد ما رآوا آيات الله بأعينهم، فلو لا رحمته معهم هلكنوا.

- إنهم يظنون أن موسى قد هرب، ويتشككون في كل شيء
ولا يفقهون ما يقولون.

- لقد أمره موسى بأن يستخلفه لكنه لا يرتاح ليلاً أو نهاراً،
هذا صرق ذاك وتلك صديقها في الصحراء ومشاكل لا تنتهي
أبدًا.

- أصدقك القول، هؤلاء العبد لا يخافون إلا من موسى
وإن كانوا يحبون هارون، لكنه طيب القلب وهم لا يستحقون

طيت هذه.. فلتدعوا الله السلامة حتى يعود إلينا موسى.. واتصبر
كما يصبر هارون على جهالة قومه.

صام موسى ثلاثين ليلة ثم زاد موسى عشرة أيام صوماً.. ولما
صعد موسى الجبل طلب من الله أن ينظر إليه وقال:

«ربي أدرك أنظر إليك»^(١)

قال الله له:

«لئن تراني.. ولكن انظر إلى الجبل فإن مستقر مكانه سوف
يكون»^(٢)

ولما تحمل الله الجبل صباراً دحماً وخبر موسى صفاً.. فلما أفلق
موسى قال:

«صحائفك ثبت إليك وأنا أول المؤمنين».

وأنزلت الألواح وتلقاها بكل ما جاء فيها من تعاليم التوراة
والوصايا العشر. وقال الله:

«يا موسى إنني اصطفتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ
أقنعتك وتك من الشاكسين»^(٣)

...

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٣

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٤

صوت ههجات عافت، كالتسايع التي كنت سمعت من
 شفق الخيال لسان كل جمعة وصباح كل سنة الصوت يتصاع
 شيئاً فشيئاً

• إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام رفيعي •
 سمعت الصوت في الطريقة فسمعت بوضوح •
 • إلهي في النهار أدمع ولا تستجيب في الليل أدمع فلا تدع •
 لي • وأنت القدوس الجالس بين تسايح إسرائيل • عليك التكل
 أباًؤنا •

عند غرفة أبي وأمي انبعث الصوت بقوة وانبعثت معه أبحرة
 كأنها ضباب، ورايت سيده حامل تصرخ صرخات متقطعة،
 ترتدي قميصاً أبيض وترقد على فراش أمي، يستر تصفها الأسفل
 ملائكة تبكي وتنظر إلى سيده عملاقة ذات ملامح حادة أمامها،
 ترفرف نفثاً عميقاً وأنتك بمقص على دماء وتقول:

- ولادة عسيرة -

ناولتها سيده أخرى إناء يتصاعد منه البخار، فقد كانت
 الأبحرة تتصاعد بكثافة لدرجة لم أعد أرى إلا أطيافاً، لكنني رايت
 الرجل الذي رأيته من قبل على سطح العمارة يجلس على الكرسي

الضالين لهم مُسَكِّمًا بِكِتَابٍ يَقْرَأُ مِنْهُ بِصَوْتٍ عَالٍ:

• اَتَكْلُوا فَتُحْيَتُهُمْ • إِلَيْكَ صَرَخُوا فَتَجَوَّا • عَلَيْكَ اَتَكْلُوا فَلَمْ
يَجْرُوا • أَمَّا أَنَا فَلَدَوْنِي لَا إِنْسَانًا • عَارٍ عِنْدَ الْبَشَرِ وَتُحْتَظَرُ الشَّعْبَ • كُلُّ
الَّذِينَ يَبْرُونَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي • يَفْعِرُونَ الشِّفَاءَ وَيَنْغَضُونَ الرُّؤُوسَ
قَائِلِينَ اتَكَلَّ عَلَى الرَّبِّ فَلْيَنْجِهْ • لِيَقْذَرَهُ لِأَنَّهُ سَرَّ •

ثُمَّ وَضَعَتْ عَلَى الْخَائِطِ لَحْمَةً فَلَدَوْنِي عُرْدَةً قَاتِنَةً تَشْتَمِلُ !
• لَا أُنَاكَ أَنْتَ حَلَيْتَنِي مِنَ الْبَطْلِ • جَعَلْتَنِي مَطْمَئِنًا عَلَى لَدْيٍ
أُمِّي • عَلَيْكَ الْغَيْبُ مِنَ الرَّحِمِ • مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَلَيْتَ أُمِّي • لَا تَتْبَاعِدْ
عَنِّي لِأَنَّ الضَّيْقَ قَرِيبٌ • لَا تَلِدْ لِي شُعِينَ •
صَوْتٌ صَاحَ قَلْبِي ثُمَّ نَكَاهُ طِفْلٌ وَضَمَّ لِحْظَيْهَا زَغْرُودَةً !
وَصَوْتٌ مِمَّنِ الْإِثْنَانُ يَقُولُ :

- وَلَدٌ حَمِيلٌ .. لِيُبَارِكَ الرَّبُّ .

حَلَّ الرَّجُلُ الرُّضِيعَ وَتَأَمَّلَهُ فَاتَّسَمَ وَقَالَ :

- أَتَقَدَّ مِنْ الرَّبِّ عَلَى جَدِّكَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْقُدْسَةِ ، كُنْتُ

أَتَقْنَى لَوْ يَحْضُرُ الْيَوْمَ لِبَرَاكَ .

◆ حينها بدأت الأبحرة تقطع ، لم أتحالك ذهني لرؤية ولافة
لأول مرة في حياتي ، عَطُرَتْ دَاخِلَ الْعُرْقَةِ ثَانٍ أَحَدًا يَدْعُمُنِي
فَلَمْ يَتَبَهَّرْ ، وَفَجَاءَ النَّفْتُ إِلَى الرَّجُلِ وَاحْتَضَتْ ابْنَتَهُ وَتَوَجَّسَ
مِنْ خَيْفَةٍ ، وَأَعْطَى الْمَوْلُودَ إِلَى السَّيِّدَةِ الْعَمَلِيقَةِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى وَبَيْتِ
مُرْتَبَعَةٍ ، أَرَدَتْ أَنْ أَهْرَبَ لَكِنْ قَدَمِي قَدْ تَسَمَّرَتْ فِي الْأَرْضِ ، الرَّجُلُ
يَقْتَرِبُ ، وَأَنَا أَحَاوِلُ أَنْ أَزِيحَ قَدَمِيَّ عَنِ الْأَرْضِ ، أَرْفَعُهَا إِلَى أَعْلَى فَلَا

ترافعان، كيف نُبت قدماي في مكاني وقد كنت أسير منذ ثوانٍ؟
الرجل يقرب مني وأنا أرتعب أكثر ولا أمالك غير دموعي
التي تنسال دون توقف، باتت المسافة بيننا قريبة جدًا فأخذ يُحدّق
في وينظر خارج الغرفة، الرضيع يصرخ وأنا أبكي.. مسح بكمفه
على رأسي وقال:

- ما الذي أتى بك إلى هنا الآن؟ ولم اليك؟

- عاتقة

- من من؟

وشعرت بقدمي تُضكان بشكل مريع فخرجت دموعي
وتكأنه أبى ثم قال:

- هل لي أن أعرف لماذا الخوف؟

لم أستطع أن أصف شعوري لكنني أشرت له عليه.. ثم
أشرت بإصبعي على عائلته لكنهم قد احتقوا! تصرخت.. نظر
الرجل وراءه فلم يجدهم جميعًا.. ليس هناك امرأة تلد ولا رضيع
ولا سيدتان.. خرج إلى الفرائش في ثوانٍ وأخذ يتلفت حوله صعبًا،
ثم نظر إلي وقد تبدلت ملامحه وصاح في صوت ملأ بالترعب:

- أين ذهبوا؟

- لا أدري؟

- أين ذهبوا؟ لم يخرجوا من الغرفة! لقد كانوا هنا منذ لحظات.

- لا أعلم.

أمسك الرجل القصص المعطى بالدماء وبدأ يقترّب من جديد.

فهرولت خارج الغرفة أبكي وأصرخ وأنادي:

- أمي .. أمي .. أنقذيني .. سيقتلني فلانك الرجل.

وفجأة أمسك بي أحدهم فأغمضت عيني وصرخت بلا

القطعاع، وسمعت صوت جدي يقول:

- الله أكبر .. الله أكبر .. ماذا بك يا حياة؟ ماذا حدث لك يا ودا؟

فتحت عيني فوجدت جدي يصرخ، فلقا وأمر وأبى عطفني.

أمي تبكي وأبى ينظر إلّا في ذهشة وشفقة، قال جدي:

- حسنا، دخر مالي، لا تكلفني حياة اليوم بلّي محول يا ودام.

تعالى يا حبيبتى مع جلدك.

وبعد أن هدأت الخ جدي أعرف ما كان حدث، فكتبت أصررت

ألا أتحدث في هذا الموضوع أبدا، لا أريد أن يتهموني بالجنون .. بعد

أن طال صمتي قال جدي:

- لن أصر لأعلم ماذا حدث .. لكنني سأنتظر أن تحكي كل

شيء لاحقا.

أومات له بالإيجاب فقال واسمها بسمه قلقة:

- اذهبي واحضري جلال سنمضي اليوم كله سويا، سأحكي

لكما اليوم حكاية ما حدث مع السامري .. وبقيّة ما حدث لني

إسرائيل.

قمت وأحطت وشعرت بأمان يغمرني لا أريد له أن ينتهي ..

نم جريت إلى جلال لأحضره ..



السامري

كان السامري يسير في إحدى الليالي بين الخيام، فسمع امرأتين من بني إسرائيل يتحدثان في ضجرا فوق شجرة، فوقف متحسنا لحدثهما الذي اتا فصوله وانتهى به القول:

- كنت أظن أن امتلائي للذهب يجعلني بيعة حرة لا عبدة كما كنت في مصر، سرقنا مولاتي والخمسة ما سرقنا بعدما بعثت من امر الخروج من مصر، أردت صلاحها: ONE

- أنا لم أسرق ما معي من ذهب لكني استعنته من مولاتي ولومتها أنني سوف أرق بعد الاحتفال بالعيد هذا حتى على سنوات خدمتي لها، لكن ماذا يفيدنا الذهب الآن وقد أصبحنا عبيدا لموسى وربه؟ إنني على استعداد أن أضحي بكل ما أملك لأرى إلهي وأقدم له القرابين كما يفعل الناس - نعم نعم.. وأنا أيضا.

حك السامري ذقته ولعت عيناه وابتم في حبي وظل يفكر ليلة وحيدا، حتى جاء الصبح فوقف وسط خيام العيد يصيح فيهم: - يا عبيد بني إسرائيل...

الثق حوله من سمعه خطب فيهم

- لو أنكم تحبون رؤية إلهكم وإلى موسى فأتوني، يا تملكون من شعب..

نظر إليه بعض العبيد في شك وسألوه:
- وكيف ذلك؟

- أصبحوا أولاً فأصنع منه الإله. فإذا أفرغوا عدي فافعلوا ما شئتم.

أفرغ العبيد بدمهم المروق في رضاء وطمع وترقب. ثم انصرفوا يملؤهم الشك والأمل.

احضر السامري الخشب وأشعل النار، ثم احضر إناء كبيراً والقي باللهب على الخشب، ثم تأكد أنه وحده في الظلام فاحضر شيئاً مكفه من جعته وألقاه مع الذهب، وظل بجانب الإناء متأملاً فيه وبدأ يستعد لصنع جسد عجول ذهبي، ثم جعل له ثقباً في ذب، وأخر في قمة، إنه الإله الذي يتعناه بنو إسرائيل والذي يشبه الألهة التي يعبدونها المصريون.

فرغ موسى من تلقي الألواح واستعد لتزول الجبل فأخبره الله بقصة السامري الفروغ، وبدأ موسى صوِّط الجبل بحمل الألواح عاصياً من شرك قومه، لكنه تفكر في قضاء الله في القصة ليعلم من آمن ومن كفر.



وقف السامري في شمس الصحراء الشديدة يتشم مُتصَوِّراً،
وبجانبه شيء ضخم عليه قطعة كبيرة من القماش ثم صاح:

- يا قوم.. الآن اسطيع أن أوتي بعهدني أمامكم.. هيا.. هيا..
بدأ تجمع العبيد من كل صوب ناحية صياحه، فابتسم السامري
ورفع الغطاء عن صجلي دعني ضخم له خمر أذمل العيد لظنوا
بما تحزن فيه فرحين.

قال سامي:

- ما هذا الشيء العجيب؟

قال السامري:

- تدعي الإله لا لا العرف ما هذا؟

فقال الرجل:

- ما لهذا العجل.. علاقة بالإيمان يا سامري!

أشار السامري بسابته لسامي في استعلاء:

- إنه إلهك وإله موسى وإله بني إسرائيل.. الآن تروته أمام

أعينكم.. ألم تظنوا من موسى أن تروا الإله من قبل؟

قال سامي:

- اتق الله يا سامري.. هل تريد أن نعبد وثناً مثل المصريين؟

إن هذا الشيء صعدت أنت بيدك من ذهب العيد.. ثم تدعوه إلهاً!

صاح السامري في نفقة:

- إنه ليس بوثن.. لقد ظهر لكم بعد أن رضي عنكم يا بني إسرائيل.. إنني صادق.

رد بنيامين في حسرة:

- يا لك من خيال يا سامري.. سوف ترى الحقيقة عند عودة موسى.

ذهب السامري قدمه في الأرض وأجاب بإصرار:

- عتدنا يا بني موسى شريعة الإله.. سوف ترون جميعكم

قال عذرا:

- إذا كان هذا ربه موسى فكيف يصعد جبل لبلقية؟

قال السامري:

- لقد اختلط الأمر على موسى.. الرب هنا أمامكم أعينكم

وسوف يعيده موسى معكم.

في هذه اللحظة هبت رياح الصحراء قوية ودخلت في ثقب

شبر العجل وخرجت من ثقب في قمة، فانطلقت نيران عالية جعل

العبد تذهل أمام ما يسمعون، صاح السامري مؤكدا:

- ها هو ربكم يؤكد ما أقول.. اسجدوا لربكم ولا تعصوا يا

عبي بني إسرائيل.

فسجدوا للعجل كل من كان حاضرا فرحين.. وظلوا له عاكفين،

فذهب بنيامين وعزرا أسرعين إلى خيمة هارون ينادونه عن بُعد:

- يا هارون.. يا هارون.. اخرج لترى ماذا فعل السامري

بالعيد.. لقد أصلهم بعد أن هداهم الله.. فسجدوا للصتم وركعوا
له.. لقد فتتهم بالعجل.. فلتقذهم من صلالهم.

خرج هارون مشرعاً بعد سماعه ما قالوا وعلى وجهه صدعة
وحزن، ودفع معها إلى السامري فوجده يعتلي صخرة ويأمر
العيد بتقديم القرابين (المحروقات للإله)، وما إن رآه أتيا حتى أشام
إليه وصاح:

- لقد جاء هارون لكي يسجد معكم للإله
ضد هارون من مولا ما رأينا وسمع وصاح في العيد:
- أيها العيد إنه عمل شيطاني صنعه السامري لكي يضلكم،
إنه ليس بالإله.. أتريدون أن تتركوا بالله بعد أن هداكم؟
علا صوت السامري:

- أنت تعلم غام العلم يا هارون أن هذا إلهك وإلهنا جميعاً..
فلماذا لا تسجد له؟

قال بنيامين في ضجرة:
- لقد من الله علينا بالكثير.. أبعث كل هذا تريد أن تُصل العيد؟
أجابه السامري:

- هذا الكلام حرام عليك وسوف ترقى غضب الإله،
وقف شالوم أمام العجل ونظر إليه فقال:
- إن كان هو الإله حقاً.. فليحرنا كيف خلق الكون؟ كيف

ثم انضمت إلى القبائل الملتصقة فقال:

- يا بني إسرائيل.. انصتوا جيداً.. إن هذا ليس بملككم فلا
تصلوا أسواء السبل.

بدأ العيد بظنكم ذلك في كلامه فأوسع السامري

.. لا تنصتوا إليه.. هارون وهاذان الرجلان يريدون أن
يصلواكم حتى تكونوا تحت إمرتهم، تخشوا خطيب الإله يا بني
إسرائيل.. ما هو بخور مرة أخرى.. انصتوا..
صباح أحد القوم وهو يتحد:

- قلبي يجفئني أن هذا هو إلهي، الآن تراء ويحدثنا أمام أعيننا،
كنت أريد أن أراه.

وقع يده السامري وخطب فيهم بينما ينظر هارون:

- اسجدوا مع هذا العيد الصالح، أما أنت يا هارون فاذهب
معبداً أو اسجد للآله قبل أن تقتلك.

فرقة العيد تهدده هارون فتركهم ومن معه في أسى، وعكفوا
على هذا اليوم على عبادة الصنم والتضرع له في كل أمورهم.

• • •

في كل صباح يقف هارون على الصخرة يخطب في عيد بني إسرائيل:

- يا قوم.. استغفروا الله.. إن ربكم الرمح قاتعونه وأطيعوا امرئي

ظَلَّ هَارُونَ يَدْعُو الْعَبِيدَ لَيْلًا وَنَهَارًا أَنَّهُ يَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
وَيَسْتَغْفِرُوا، وَيُرَدُّ أَنَّ هَذَا الْإِلَهَ الْمَزْعُومَ مَا هُوَ إِلَّا صُتَمٌ صَعَمُهُ
السَّامِرِيُّ مِنْ ذَهَبِهِمْ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ لَكُنْهُمْ لَا يَتَوْبُونَ وَلَا
يَتَذَكَّرُونَ فَظَلُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَاسْتَضَعَفُوهُ وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ، إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ لَا يَتَوْبُونَ.

وَلَا يَرَى أَنَّ مُوسَى سَيُخَلِّصُهُ مِنَ الْعَجَلِ، وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ يَشْغَلُهُ،
وَيَذَكِّرُهُ بِعِلْمِ أَمْرِ الْفِتْنَةِ وَمَا حَلَّ بِهِمْ.

جَلَسَتْ امْرَأَةٌ عَزُوزًا فِي حِمَمَتِهَا بَيْنَ خُرُوجِ وَجْهِهَا تُبْصِرُ
الْحُطْبَ قَاضِيًا حَبِيبًا يُعَكِّرُ كَيْفَ يَقُصُّ امْرَأَةً بِأَلْيَانٍ بِالْعَجَلِ
وَعَلَى وَارِدِ أَنَّ يَحْلُلَهَا فِي لُطْفٍ يَعْلَمُ أَنَّ تَسَاجِرَ مَعَهَا مَرَاتٍ عَدِيدَةً.

- أَلَمْ تَعْبُدِي النَّظَرَ فِي عِبَادَةِ الْإِلَهِ مَرَّةً أُخْرَى؟

صَحِكَتْ بِاسْتِهْزَاءٍ وَقَالَتْ:

- إِلَهًا؟.. آيَ إِلَهٍ.. تَقْصِدُ الصُّتَمَ؟

- إِنْ الصُّتَمَ لَا يَحْمُرُ.

- وَهَلْ يَحْمُرُ الْإِلَهُ؟ وَبِأُتْرَى مَاذَا يَقُولُ الْخَوَارِزْ؟ أَنْتُمْ تَعْلَمُ

صَلَالُ ثُبَيْنَ وَسِبْلَقُ السَّامِرِيِّ صَحِيحًا أَمْوَدُ بَعْدَةِ مُوسَى.

- لَكِنْ مُوسَى تَوَكَّنَا وَهَرَبَ.

- مَبْعُودُ مُوسَى وَتَلْفُزُ عَقَابًا قَاسِيًا.

- يَقُولُ السَّامِرِيُّ إِنَّ مُوسَى لَوْ عَادَ سَيَسْجِدُ مَعَنَا لِلْإِلَهِ.

- يا لشقاؤكم.. لقد أضلّكم السامري لأن قلوبكم اعتادت
الشرك بالله ولا تتعظ عقولكم، لقد أضد فرعون نفوسكم
- إني ذاهب إلى ربي.. سأتركك على ضلالك كما تشاين،
فأبلغ العجل أنني أنتظر معجزاته.
- ظلّ القوم يحدون ويتهلون إلى العجل في تضرع، والسامري
على الصخرة يحثهم على تقديم القرابين والعجل يخور بحالهم.
- أيها المؤمنون، أقبلوا على إلهكم بفيض طيبكم وبركتهم.
- ويشأ يتحدث إليهم والاحتفالات بالآلهة تملأ المكان.. ويحد موسى
بعصاه في سيناء والأنوار في يساره يقف أممته قبته، صاح خائفًا:
- لقد عاد موسى! لقد عاد موسى!
- فرّد العبيد وأحدًا تلو الآخر.
- لقد عاد موسى، لقد عاد موسى..



عودة موسى من الجبل

وجد موسى العبد ما جدين متصارعين في الجبل فغضب غضباً شديداً. أما العبد فاحموا أحداً خائفين، وتوراى الساعري عن أعين القوم والندى وسطهم خائفاً، فصرخ موسى في غضب: - بلن ما خلقتكم لي من بعدى.

جاء هارون حزيناً يظن أن موسى في الغيب، فالتفت موسى بالأرواح من يديه وذهب إلى هارون وأخذ يصرخ أمامه ولحيتة وحذبه في غضب شديد. وهارون خائف يرتعش خوفاً على ركبته... بينما موسى شرارة الغضب تشتعل في قلبه.

- يا هارون... ما فعلك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني؟ أغصت

أمري؟

قال هارون في وهن يستعطف أخاه:

- يا بن أُمي... لا تأخذ بلحيتي ولا براسي.

وسأل موسى لماذا لا يدمر هذا الصمم؟ لقد افترق معهم هكذا

في الخطأ.

أجاب هارون:

- إلى خشيت أن تقول قُرُوت بين قوم بني إسرائيل... يا

بن أُمي... إن القوم استضعفوني وقادوا يقتلونني فلا تُثمت لي

الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين.

جاء بنيامين إلى هارون يؤازره:

- نعم يا موسى، لقد فعل هارون كل شيء ليعيدهم إلى عبادة الله، لكنهم كادوا يقتلونه لو لا فضل الله عليهم. أنت تعلم أنهم لا يخافون هارون.

والله شالوم قسرياً

- لقد دعاهم ليلاً وساموا ولم يتركهم في سلامهم، لكنهم لم يسمعوا ولم يفكروا بوقا فيما يقول، ولقد ضلوا بعد خيانتك. أذكرك موسى ظلمه لأخيه فترك راحته وملكه، فقام هارون ووقف بجانب العبد الفسق موسى إلى العهد في مطلب شديد: يا قوم، ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً، أطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم مواعيدي. نظر العبد إلى بعضهم في خوف ورهبة وحجل ولم يجيبوه، وعدت امرأة عزرا من موسى وقالت:

- إنه قلب السامري يا موسى، لقد أضلهم بصنع هذا العجل بعد أن صهر الذهب، إنه سيب كل ما حدث.

غضب موسى أكثر وقال:

- إن الذين اتخذوا العجل سيهلكهم غضب من ربهم وذلك في الحياة الدنيا.

أطلق عبيد بني إسرائيل ويكوا ونظروا إلى الصخرة التي يقف عليها السامري فوجدوها غداوية، فثقلوا حوزهم وصاحوا في تنابح:

- أين السامري؟ أخرج يا سامري.. لقد أضللتنا.. إنها فتنة السامري يا موسى.

قالت امرأة عزرا:

- أخرج يا سامري لترى ما صنعت.. وتشجع العجل ينطق

الآن.

أخرج السامري من بين العبيد خائفًا يرتعش، تقدم من موسى إلى المذبح فلا وجهه ثم جثا على ركعته وتكبر راسه، قال موسى:

- ما خطبك يا سامري؟

رفع السامري عينيه الغيب:

- بصرت أنها لم يصر وأبه.. فسمعت قصة من أثر الرسول

صنعها وكذلك سولت لي نفسي.

وقال موسى:

- فاقف فإن لك في الحياة أن تقول لا سامري. وأن لك

موعدًا لن تخلقه.

- وانظر إلى إلهك الذي ظلمت عليه عاكفًا لحرقة ثم لتسفه

في اليوم نسخًا.

فذهب موسى إلى العجل فحرق أمام العبيد حتى إذا انصهر

وأصبح رمادًا نثره في البحر. فطأير أمام أعينهم والتفت للعبيد

وقال:

- إنها إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء. عبده.

وقف موسى وسط العبد يتفحص وجوههم الياكية الخائفة
وقال حزم وغضب:

- يا قوم، إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل، فتوبوا إلى
بارئكم فاقتلوا أنفسكم، ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم
إنه هو الغواب الرحيم.

وبدأ كل من سجد للعجل يقتل أخيه، وعمداً إلى الظاهر
يطعنون بعضهم بعضاً، حتى قُتل عدد كبير منهم، فبقي العبد
وصروا يركبون.

- يا موسى، استغفر لنا ربك، نرسل إليك، أرحمنا، لقد
أضلنا السامري وندمنا على ما فعلنا.

فأوحى الله إلى نبيه أنه قد غفرتهم بعد ندمهم.
دخلت امرأة عزرا خيمتها فوجدته يجلس حزينا، فهلت في
فرح:

- لقد عاد موسى، لقد عاد نبي الله
وقف عزرا وقد ضايقه ما سمع:

- ألا تكفي قليلاً؟ أعلم جيداً ورأيت كل ما حدثت
ولم يدافع السامري عن نفسه ولم يدافع إليك عن عمه

فذلك وموسى يحرقه ويشره في البحر.
لقد أضلنا السامري.

- نصحتك مراراً وتكراراً.
كل ما أردته هو أن أرى إلهي بعيني - هل ملأ كفي؟

- يَلِ الْكُفْرَ مِنْ قَوْمٍ ضَالِّينَ. لَا تَصْلَقُون إِلَّا مَا تَرَاهُ أَعْيُنُكُمْ،
أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيَاتِهِ فَرَاسِمَهَا ثُمَّ ضَلَلْتُمْ وَكَفَرْتُمْ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

ثَاقِبُ عَمْرٍاءَ مِنْ قَوْمٍ وَخَرَجَ مِنَ الْخِيَمَةِ فِي الظُّلَامِ فَطَلَّتْ تَدْعُو
هُدَايَتَهُ.

وَقَالَ السَّامِرِيُّ يَا لَيْسَ لَكَ مِنَ الْعَمَلِ وَاحِدًا نَافِقًا مُنَافِقًا،
لَا يَلْقَى إِلًا أَحَدًا وَلَا يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ عَدَاةً لَهُ عَلَى مَا فَعَلَ بَعْدَ أَنْ
سَجَدَ لِلَّهِ دَعْوَةَ عِيسَى.

وَحُكِمَ اللَّهُ بِحِلْمِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَعِدُ أَنْ
عَصُوا أَوْامِرَ رَبِّهِ اللَّهُ يَدْخُلُ أَرْضَ طَلْعَتِهِ وَيُخَارِجُ أَعْدَاءَ اللَّهِ
وَكُتِبَتْ عَلَيْهِمُ الصِّيغَةُ وَالرُّوْثُ.



BOOKS



صيف ١٩٦٢

كانت حدي يريد أن يضع رعيه وخبرته وحكمته في راحة
لستقي منها، وكان يدرك أن هذا مستحيل، أرغى قبضته قليلاً
فلما لا أمك من العمر إلا التي عشرة سنة فقط، لكنه قال يذكر
أن عمري قد زاد أعزاً من العدو أن مقارنته بجميع الحق.

لحست أحوال العائلة، فقد تدر إلى إنجار مقهى صغير
لكن كافي لعيشة كريمة، وأضى صار خدمة الميترية وعمل
هيئة القناة. حيث الإنجليز ليلاً وسواها لأنهم لم يعطوا المصريين
المناصب الوظيفية المرموقة في السابق، ثم نحمد الله أن القناة قد
رُدت إلى أصحابها بفضل جرأة عبد الناصر وشجاعته، ثم يدعو
الله أن تُرد البلد كلها إلى أصحابها وتحيا الثورة.

أما نصر فقد هاجر إلى أستراليا لياسه من تغيير الأوضاع
السياسية في مصر، وتزوجت بنت وكانت هي وزوجها يتمان
لأمور حياتهما بعيداً عن أحوال الحرب والبلد.

الآن تعلمت كيف أصنع القهوة الحدي في الصباح وأحملها
دون أن ترتعش يدي فأسكبها، أسمع صوت «مبروكة» بالخارج:
- سعيد يا نبي.. العواف يا أهل البيت.

عندما تأتي مبروكة فلأنها تدخل لأمي المطبخ كي تعطين ما
جاءت به وتعطئها حقها، ثم تتحدثان حديثاً سريعاً مُقَدِّماً،

تعتمد عليها أمي في نقل الأخبار وتصرفها أكثر من النشرات
الإخبارية بالراديو، ولا مانع من مساعدتها في إعداد الطعام في
المناسبات وبخبر الثقة ورؤيتنا أيضًا.

أجابتها أمي مُرحبة:

- ادخلي يا ممره حقة إلى المطبخ.

يجب أن أسرع لأفصح لها الطريق، ثم يا ممره ورفقة بوجتها
المبيع الضاحك وقوامها الضخم وتمول.

- اللهم صل على النبي... اسم الله عليه فبنت وأحلوته.

فترة أمي.

- كلها كانت سنة وتبقى عروسة.

لم أفهم رغبتها في التخلص مني أبدًا، لكنني أنفهم مبروكة لأن
استها تروجت في سن الخامسة عشرة، تركتني نظرات مبروكة لما
رأت «السلامة» فقاطعت أمي.

- اللهم صل على النبي... مبروكة عليكم يا أم صابر... برزقكم

خيرها ويكفيكم شرها... الآن تحفظين اللبن والبيض والحب
القريش.

- يبارك فيك يا ممره... ماذا لديك اليوم، هيا يا حياة اذهبي

بالقهوة إلى جدك.

شعرت يا أمي ومي تصرفني فتلكأت قليلًا لخارج المطبخ،

شعرت أن الأمر يخصني، فسمعت أمي تقول بتيرة قلقلة:

- هل تذكرين ذلك اليوم الشوم الذي أنت فيه حياة إلى عرقي

وبكت وصرخت في وجه أبيها؟

- نعم أذكره... قُلتَ إنها رأتَه كهية شخصٍ آخر.

- الأمور لم تتوقف بشكل نهائي، وأنا أخاف على حياة يا

مروة.

- تلمس يد أبي وورثته عنك الحاسة أياها؟

هو كذلك، تلمس أن السيد أحمد قد تحمل الكثير معي
وهو الغميع وأنا لم أحمل نفس لقب العائلة ما كان لي صدقني أبداً، أما
حياة فهي مستحبة... أياها مختلفة، لا أريد لها حياة تعب، من
سيصدق أنها ترى أمات وأحداثاً من الماضي؟

- لكن كيف يا ست و دادا؟ أنت مررتها من أمك وحياة
ورثتها عنك، وظالم ورثتها فقد ورثتها، لن نستطيع أن نتدخل
فوقف الأمر عند حد معين.

- أخاف على ابنتي مما عانيتُ لسنوات طويلة، الأمر ليس
سهلاً يا مروة.

- أعلم يا ست و دادا، رينا بعينك... وله حكمة.

كان ما سمعت أمي يدخلني تلك الدائرة البيضاء من جديد،
صباح كثيف ولا شيء آخر، تذكرت جدي وخلال المذهب
سقطتني في الهلكول فأسرعت إليهم فسرده، ما إن رأني جدي
حتى قام سريعاً بإخطاء شيء ما وأغلق صحيفته ثم قال:

- أين توقفتنا المرة السابقة؟

نظرت له في لوم وأنا أنظر لمكان جلوسه قد خيأها لنوء.

- لا أريد أن أثقل عليك يا حدي.. فأحوال صحتك لا تعجيني.

ارتفعت ملامح طفل على نجاحه ووجهه التي أضيقها وقال:

- ألم أقل إنك ما عُدت طفلة منذ العدوان.. لقد تكافأت نفسي

قطعة حلوى صغيرة بعد ما أُنهِينا قصة بني إسرائيل حتى سنوات التسع.

- أنا فقط أحبك عليك.

• لا عليك.. اليوم أنا على استعداد للمرافعة.. جاهزون؟

- بالطبع.. لقد تمّ قضاؤه يا ريس.. لنكلم يا حدي.

• • •

في باريس ١٧٩٩ م وقف رجل أبصر الضوء دفين الملامح
موسط القامة حليماً ذراعاً وراء ظهره طفل من نافذة العرفة على
اللا شيء.. يفكر وقد عقد ذراعاً وعقله متصباً على شيء واحد
فقط احتلال العالم وتحليل اسمه بين العظماء، نحاول معالجة قتله
في اقتحام أسوار تركيا استحوذت عليه فكرة القضاء على بريطانيا
وتوسعاتها الاستعمارية كحل أمثل.

استدار نابليون بونابرت وجلس يكتب رسالة إلى يهود العالم
كتبت في الأرض، وقد طن أنها ضد مصالح بريطانيا العظمى
التي توسعت مستعمراتها حول العالم لكنها أبداً لم تكن كتب
قائلاً:

«أيها الأسرائيليون.. انهمضوا فهذه هي اللحظة المناسبة، إن
مرسنا تقدّم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، سارعوا للمطالبة
باستعادة مكانتكم بين شعوب العالم».

وجعل تايليوندا نداءه عبراً رئيسياً في كل الصحف الفرنسية، ومع ذلك... فزوم لاحقاً تايليوندا، ولم يبق من ذكره في عكا سوى حسم يقف على تلة سُميت باسمه، لكن فكرة تايليوندا بإنشاء وجود يهودي بالمنطقة لم تمك.



سألت جدي عندما سمعت ووجهته شرقاً قليلاً!

- إذا كانت بداية فكرة وجود الأسرائيليين في ذلك الوقت؟

فردّ جدي وهو ما زال شارداً:

- يبدو كذلك... لكن الأمر لم يكن هكذا بشكل حقيقي إلا

بعدها بأربعين عاماً.

سألت جدي في يومٍ ما:

- وماذا حدث بعد أربعين عاماً؟

نظر جدي من السلكون وبدأ وكأنه سيكمل شروعه... ثم تابع

مكمل:

- في عام ١٨٤٠م أي بعد أربعين عاماً أعادت بريطانيا الفكرة

عند علي توحيد محمد علي، مصر وموريتانيا حيث أن البارون الشرقي

«إدموند روتشيلد» أقنع وزير الخارجية البريطاني «بالمرستون»

بشجيع وتأييد هجرة اليهود إلى مستعمرات يهودية في الأراضي

المقدسة فلسطين، لتكون حاضراً لمنع قيام وحدة عربية في المنطقة.

على غرار ما فعله محمد علي في توحيد مصر وموريتانيا منذ شهور.

كتب «بالمرستون» إلى سفيرة في إسطنبول:

اعليك أن تقنع السلطان وحاشيت بأن الحكومة الإنجليزية ترى أن الوقت أصبح مناسباً لفتح فلسطين أمام هجرة اليهود.

لم يزد عدد اليهود في فلسطين آنذاك عن ثلاثة آلاف، استجابوا للمبادرة البريطانية، وكان على رأسهم «إدموند روتشيلد» قزار فلسطين أربع مرات للأطلاع على فرص الاستثمار فيها، وموّل بأكثر من أربعة عشر مليون فرنك لإنشاء ثلاثين مستعمرة يهودية، من أهمها مستعمرة «الرشيدية» في «بيكون».

بعدها في عام ١٨٨٥ ظهر لأول مرة بمصطلح «الحركة الصهيونية» على يد الكاتب النمساوي «ثانين سيبورغ»، وحدد فيها الأساسي الاضطكان في فلسطين، وكلمة «الصهيونية» منقطة من كلمة «صهيون» وهي أحد تلال القدس.

ورفعت مستعمرة «ورشون» في «بيكون» العام الخاص بها والذي حل لأول مرة في التاريخ «الحمة داوود» بينا فلسطين لا تزال تحت الحكم العثماني.

كان جدي يستطرد في الحديث لأهناً وقد شعرت أنه بدأ يتوتر القفا... ريثاً على يديه وقلت له:

- براحنك يا جدي.. أشعر أنك تريد أن تحكي كل شيء في لحظة واحدة.

ابتسم جدي بحزن وقال:

- لا يا حيتي.. إنها هي الأمانة التي يجب أن تُنقل منا إليكم.. حتى لا يضيع الحق.. ولكن..

ثم اعتدل وعاد من شروده وارسم عليه التركيز الشديد وقال:
- دعونا من الشرود والمقاطعات... لنكمل.
- لنكمل يا جدي...

- من المهم جدًا يا أحيائي أن نعرف أن الطائفة اليهودية في
فلسطين قبل ذلك كانت تحت الحكم العثماني... لم تكن صهيونية
أبدًا، فقط كان بها يهود محليون، لكن يهود شرق أوروبا الذين
رحلوا إلى فلسطين أواخر القرن التاسع عشر كانوا يطمحون إلى
خلق يهود آخرين.

وكانت تربة جدي قد بدأت تأخذ هذه العصبية واضحين...
وعاد الشرود. قال له جلال:

- هل تذكرت شيئًا ما يا جدي؟
تشهد قائلاً:

- تذكرت والذي رحمه الله عندما أخبرني أن الصحفي
الصهيوني «نيودور هرتزل» قد نشر كتابه «الدولة اليهودية» باللغة
الألمانية في عام ١٨٩٦، لكن يهود أوروبا كانوا يتحدثون حلمهم في
الهجرة إلى أمريكا، وهذا ما جعل الطبيب «ماكس نوردر» المساعد
الأيمن لـ «هرتزل» يرسل اثنين من كبار رجال الدين اليهودي إلى
فلسطين، وبعدها أرسل خطابين من مطر واحد فقط جاء من
«المروس حيلة جدًا... ومستوفية لجميع الشروط، ولكنها
متروكة بالفعل».

قال جلال عاضبًا وقد انتقل غضبًا جدي إليه من الحكاية:

- وهكذا فهم «نوردوا» أن فلسطين ليست أرضاً بلا شعب كما
ذكر «هرتزل»، وإنما لها شعب يعيش فيها منذ آلاف السنين،
قلت وقد فهمت لماذا تغيرت نبرة جلدي..

- وبالطبع لم يبالوا بالشعب، أصحاب الأرض الحقيقيين.
رد جلدي بحزن..

• وأكثر من ذلك بدأ حياة.. في ٢٧ أغسطس ١٨٩٧ م شارك
«نجوم» و«نوردوا» برنامجاً «هرتزل» في المؤتمر الصهيوني الأول
في مدينة «بازل» السويسرية، وتلى المؤتمر «سبين» و«مير» لليهود
مُعترف به في فلسطين.. وكان «هرتزل» قد بدأ بالفعل في «أجرة» عملية
سعيًا لأوروبا التي تكملة «الاستيطان»، وكان يعد «مصالحة» و«دية»
«كل دولة» من الدول العظمى على حدة، شرط «حماية» الكيان
الصهيوني..

قال «جلال» في حلقته:

- أولاد الأفاعي.. لكن كيف اقنعوا الدول العظمى بذلك
وقد تعارض مصالحهم؟

◆ هذا سؤال ذكي يا «جلال».. وقعت الدول العظمى في شرك
أن الدولة الصهيونية في العالم بقوله «الكاذب» الدائم لكل منهم
على حدة.. «سأكون معكم ضد الدول الأخرى إذا كنتم دولة»
«أمر النيل».. «سأؤمن مصالحكم ضد الدول الأخرى».. عندما أخذت
«إنجلترا» مصالحها في قيام دولة يهودية، عندما صرح «رئيس» وزرائها
«كاميل باتيرمان» بأنه من المهم إقامة «حاجز قوي» على «الجسر» الذي

يربط البحر الأبيض بالبحر الأحمر قائلًا: «يتعين علينا أن نضع في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة معادية لأهل البلد وصديقة للدول الأوروبية».

وكان اعتقاد الأوروبيين حينذاك أن اليهود أقرب إليهم من العرب، لذلك كان منيحي بناء كيان قريبتا لهم، وصيانته، وهذا الكيان هو صحت طاحرلة.

دخل صابر فحالة نوح أن يشعر بحرقه من حرق استغراقه في القضية، كان هائلًا من العمل، وقال معلقًا على حوارنا: «على فكر أولاد الأفاعي كما سمعتم من شرجل عائلة وأكتم عماء، يقولون إنهم مسلحون بأفراد العائلة في فرنسا».

قلت: - خيرًا.. كانوا قريبين.

قاطعتني جلال:

- تاذيخهم أسود وكلهم مشابهيون.

رد جدي مذكرًا:

- مع ذلك تذكروا القلة التي آمنت بأنبياء الله موسى وهارون.

تركنا صابر فنظر جدي إلى كليتا في حزن قائلًا:

- اقترينا من سنوات جامعة وحاسمة عام ١٩٥٧ توجه

إلى فلسطين لأول مرة عالم الكيمياء البريطاني وعصو الحركة

الصهيونية العالمية حاييم وايزمان، يؤسس شركة تطوير أراضي

فلسطين في يافا بدعم من عائلة «روتشيلد»، وكان الهدف شراء

أراضي فلسطين بطريقة منظمة.

قاطعنا من بعيد صوت «مروكة» وهي بالخارج:
- فُتُكُم بعافية.

نظر جدي إلينا وقال:

- يجري الوقت ومريت ساعتان بالتمام والكمال. حضرات
مروكة ووداد لا تقل ولا تزيد عن ساعتين. ميا لهذا لأعمالكما
هي لا يصح اليوم.

وجاء صوت أمي من بعيد متأدبا:

- يا حياة، خالك مبروكة مشعشر اليوم ومعه قبل
العرب لأقربك، أعدني المسفرة.

ONE PIECE

...



شتاء ١٩٦٢

كُنْتُ أَسْتَمِعُ يَوْمَ عَمِيقٍ، إِلَى أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَ رَجَّةٍ وَاصَّةٍ
بِالْعُرْفَةِ، كُنْتُ وَالنَّجْمَةُ حَلِيَّةٌ عِنْدَ أَوْقَاطِي مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَمِيقِ..
قَصَصْتُ، صَبْرًا، مَرَجَدَتِ النُّجْمَةُ وَالْوُودُ الْمَحْرُوقَةُ بِالسَّقْفِ، كَانَتْ
النُّجْمَةُ قَرْنِيحًا.. قَصَصْتُ الْعُرْفَةَ بِأَكْمَلِهَا، قُتِبَتْ فَرْعَةُ قَلَمٍ أَحَدُ جَدِّي
وَفَرَاثَةُ الْقَابِلِ السَّرِيرِي، وَكَانَ الْإِرْتِجَاجُ بِرُؤُوسِنَا لَا أَطْلَعُ مَاذَا
أَعْمَلُ! مَهْمَتِي إِلَى الْقَوْمِ فَرَجَدَتِ بِيَدَيَّ وَقَدَمَيَّ قَدْ قَبِلُوا بِالسَّرِيرِ،
فَرَعْتُ بِشِدَّةٍ مَهْمَتِي أَنْ أَصْرُخَ أَوْ أَتَأَذِي عَيْنَ جَدِّي لَكُنْ صَوْتِي
حَبَّرَ فِي حَلْقِي، وَلَمْ أَسْتَطِعْ، ارْتَجَحْتُ الْعُرْفَةَ ثَانِيَةً وَوَجَدْتُ نَجْمَةً
وَالْوُودَ الْمَحْرُوقَةَ فِي السَّقْفِ، قَدْ أَصْبَحَتْ كُتْلَةً نَجْمِيَّةً مِنْ حَدِيدٍ
مُشْتَعِلٍ.. ثُمَّ انْهَالَتْ عَلَيَّ النُّجْمَةُ الْحَدِيدِيَّةُ سَاقِطَةً فَوْقَ رَأْسِي
وَوَجْهِي فَهَشَمَتْهَا.

صَرَخْتُ وَقَعْتُ فَرَجَدَتِ يَدَيَّ حَرَّتَيْنِ وَصَوَّلْتُ كَذَلِكَ،
جَلَسْتُ وَنَظَرْتُ إِلَى يَدَيَّ وَقَدَمَيَّ وَالسَّقْفِ فِي دَهْشَةٍ، أَيْنَ قَدَمِي
جَدِّي فِي مَتَصِفِ الْمِيلِ؟ أَعْلَهُ يَقْصِي حَاجَتَهُ قُتِبْتُ لِأَطْلُعَ عَلَيْهِ
فَرَجَدْتُ عِنْدَ السَّاعَةِ الْعَتِيقَةِ فِي مَدْخَلِ الْبَيْتِ يُغْلِقُهَا.. سَأَلْتُهُ:

- ماذا تفعل يا جدي؟

رَدَّ مُتَفَاجَأً:

- حَيَاةُ السَّاعَةِ اللَّعِيَّةُ تَقِفُ نَوْمًا لَا أَدْرِي لِمَ ذَا، أَحْمَدُ.

عليها لأعلم ميعاد القجر كلما استيقظت في الليل.. ولكن لماذا أنت
مستيقظة في هذه الساعة المتأخرة؟

لم أحبه فقط أنتي لست بخير.. اتسم لي حثاته المعتادة:
- حياة قلبي تحتفظ بالأسرار.. حسناء ما رأيك بترفة صاحبة
عند القجر بغير.. أنا وأنت وجلال فقط.. قبل أن يستيقظ الجميع؟
اتسمت وحاولت استعادة روح الطفولة التي أفتقدتها بشدة
ولم أأت موافقة.. فقال:

- إذا قلت حصري جلال بغير لك عند السرور..
الذهبت لمعرفة حدي بطريقي في الجحاد بجلال عبر الليلكون
المجاور لنا فحلت به.

●●● ONE PIECE

عمل الأريكة الخشبية في «حديقة فريال» بحي الإفرنج جلسنا
نظر إلى الأشجار الوارفة من حولنا، نسمع بهسات، مُتعة ونتناول
فطورنا الذي أعدّه جدي، تذكرت الكابوس فزفرت أنفاسي
وكأنني أنفص الحرف عني، تأمل جدي الهدوء من حولنا وأصوات
خبر الحديقة وقال:

- رحم الله أبي.. كان يقول: «كلما ضاقت عليكم أنفسكم
استمعوا لصوت الصمت، فالصمت يقول الكثير».
تذكرت الكابوس فنظر إلى عيني وكأنه شعر بما أخفيه عنه
وأردف:

- لماذا تغلفيني صليتك يا حيتي.. أحكي لي ما بك..

توتر جلال وتظر إلى مسعها في تعجب وكأنه فطن إلى أنني
أخفي عليه شيئاً لا يعلمه.. وأربكني ذلك كثيراً.. رددت على
جدي:

- أنا بخير لا تقلق علي.. هل تكمل لنا الحكاية، لقد وقفا في
عام ١٩٠٧.. ثم ماذا بعد ذلك؟

- فلأكمل قصتنا الطويلة.

قال جلال.

- نعم يا جدي، فلأكمل لنا ما الذي حدث بعد ذلك؟
نظرت جدي في قلبي وأصبح ثم استطرد بمسألة الحكاية.

كانت القصة عامية نوع سهل «مريج بن عامر» وقت
العروب في النصف الأول من عام ١٩١٠، اصطف الأخوان
«حليم وداوود ناحوم حمرا» بجمالان أوعيتهما بالقرب من بحيرة
صغيرة بالية، ليحصلوا على حصنها اليومية من الحليب والخبيرة
نظر داوود في اتجاه الشمس وأظلم عينه بكفه وقد بدت عليه آثار
المسقة، كان طابورا طريلاً من الفلاحين، التفت داوود إلى حليم
وقال في صوت عالٍ..

- حقاً لا أصدق ما دعمه عن إقامة وطن لنا بعد الشتات؟
اجلوبنا من شرق أوروبا النصف من أجل قصات تسبها جوحنا
في هذه الشمس الحارقة؟ أمدا ما اقتعني به لترك بيتنا؟
نظر حليم بظرف عينه إلى داوود في ثبات:

- لم يكن يشأ بأي حال من الأحوال، ولم تكن بلادنا يا داود وما نحن نعلم أننا مشهود في جميع بقاع العالم وإن تظاهروا بأن ما نعيش فيه أوطاننا، وأنت تعلم هذه الحقيقة. لا تجدد نفسك، هنا نجد حلم الوطن الحقيقي، والحلم يلزمه الكثير من الصبر.

- هراء، هربت من اضطهاد في أوروبا اليهودية في فلسطين.

فاطمة حليم في مصر

- لا تقل فلسطين.. بل قل إسرائيل.. دولة الحلم اليهودي.. الأرض المقدسة، ألم تنقذ إلى وطن وقد صوّت في السابعة عشرة من عشرين؟

- وهل تصدق أنت ما يقولون به وأنت في العشرين من عشرين؟

- أنا على يقين.. سوف تروى يا أخي، ألم تعلم أن الصندوق القومي اليهودي قد اشترى بالفعل أكثر من مئتي ألف دونم شمال فلسطين أي على هذه الأرض؟

هنا نسائم عطلة عليها بعد أن توارت الشمس، نسائم جفت عرقها وجعلت الجو صافياً فأظهرت خضرة الأشجار. جعلت حليم ييشم في التصار لداود وأكمل شاملاً ما حوله.

- ألا تحب هذه الأرض الغنية المقدمة؟

- هذا يجعلني أعجب كيف يا عها أهلها؟

- اشتراها الصندوق اليهودي من عائلة أمريكية اللبانية الثرية في أوروبا، وكانوا قد اشتروا الأرض مسبقاً من ضباط عثمانيين.

- تعني اشترأها الصدوق بالخيلة وطرد أهلها.

جاء نور داوود قمد وعاده إلى الرجل القابع وراء قدير كبير،
فضلا وعاده بملعقتين كبيرتين من اللبن الدسم المغطى بالأتربة، ثم
أعطاه رجل آخر بجانبه رقبة خبز كبيراً فخرج من الصف، وانتظر
حاييم حتى أخذ حصته أكملًا سبرها إلى المسطحات اليهودية،
فضم حاييم قطعة كبيرة من الخبز وقال وقد تبهر القنات من قمع،
- لم يكن أي شيء في سبيل تحقيق الحلم.

أردف داوود في تلك:

- لكنهم قالوا لنرحل أكثر من سهل الحب فلاح فلسطيني
هل يرضى الرب عن هذا؟

- في سبيل تمويل أرضنا هذه الأمور لا شئ.

- أنا لا أبنى حلمي على خداع.. لقد اتخذت قراراً بالذهاب
إلى مصر.

- مصر مصر التي اشبع فيها أجدادنا حتى أخرجنا منها موسى
بالمعجزات؟ هل نسيت ما ورنناه أياً عن جذ من روايات قاسية؟

- الآن يعيش فيها اليهود في سلام، وأنا كل ما أريده أن أحيا
حياة كريمة بعيداً عن هذا الشقاء.

قال له حاييم بغضب:

- سوف تندم يا داوود.. تذكر هذا سوف تندم.

اقتربا من الخيمة فمطر حاييم في ظهر لرجاله تحمل البنادق
مهاة ترتدي زياً عسكرياً فقال:

- انظر.. هؤلاء الحرس «الهاشميين» يحرسوننا.. لقد جاء من
اليمن الآن تبدأ لم الشمل من جميع بقاع العالم، قل لي.. هل يوجد
حرس لليهود في مصر؟

بدا داوود مُنعمًا يستمع في اهتمام ولا تبدو عليه علامات
رضا أو غضب.. حتى طفا خيمتهما فدخلتا يحضرنه لتناول الطعام
ثم اليوم، تبدأ رحلتها من حديد في وراثة الأرض في صباح اليوم
التالي.. فتم داوود بصوت هادئ:

- اذعوا الرب، أن يجتمع شمل الشتات.

•••

كنت أسمع حديث جدي وأريد أن ينهي القصة كلها في
حصة واحدة، فقاطعتها في ضعف:

- وهل اجتمع الشتات حقًا كما تمنى داوود؟

- صبرًا، فللقصة بقية، في عام ١٩١١ م تظاهر حاخام مع
اليهود للاعتراف باللغة العبرية في ظل هيئة الدولة العثمانية، ومع
ضعف العرب آنذاك إلا أنهم كانوا مدركين تمامًا المعنى الحقيقي
لصهيونية.

- أريد أن أعرف معناها.

- هي ببساطة «حركة عنصرية تبحث عن رأس مال لاستثمار
أرض وتوظيف البُعد الديني لجعلها وطنًا لمن تبقى من يهود العالم»
لإنشاء هوية وكيان ومستقبل سياسي، وهي التي يؤمن بها حاخام
شليح داوود، هذا الإدراك والوعي قلل عندما أصدر الصيلاي

«نجيب نصار» صحيفة «الكومل» في حيفا، ليحذر الفلسطينيين والعرب من مطامع الصهيونية، وكان يؤكد فيها: «الدولة اليهودية ستكون خنجرًا سامًا في حاصرة العرب».

سأل جلال:

- وهل نشر نصار هذا الوعي؟

كانت «الكومل» صحيفة صغيرة يعمل فيها «نصار» مع زوجته «ساذج نصار» لكن العثمانيين لم يتركوه ليشر هذا الوعي ولم يسلم من قمعهم، فلا حقوه وسحبوه وحلوا بهم.
صالت وتكررات العدوان تتداعى أمامي وقد لاليت ظم لثي من جديد.

- لماذا كل هذا الظلم يا جدي؟

- مهما فعلنا ستظل بعض أسئلة العمر بلا أجوبة.

- هذا العالم قبيح لا يستحق كل هذه الأحلام.

- استكمالاً للمقبح قامت الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤

التي أثرت تأثيراً مباشراً على مصر، وتركزت تفكير بريطانيا إلى موقع فلسطين وقرنها من قناة السويس في مصر.

اشتدت الشمس علينا فارتدق جدي طاقته وتظر في ساعته واستدّ واقفاً على عصاه وقال:

- لا بدّ أنهم يبحثون عنا الآن.. هيا إلى البيت تكمل القصة لاحقاً.

المطر ينهمر بحرارة في طعني شديد في رعدة أصوات الرعد
 المزوجة بأنوار البرق المتقطعة تحدث في نفسي رعدة وشغفًا
 لا تشاف كل ما لا أحسه، أنا وجلال على من قد بلغ حدتي لتكامل
 قصته، لكن جلال لم يأت بعد وجلي لم يترك البلكون في النظارة،
 صنعت مشروبنا الشجري المفصل، وفي طريقي من المطبخ إلى
 البلكون لمحت شيئًا يجري في فجأة ثم اختفى، وكأنه طيف، وقفت
 لمرهة أدقق النظر فلم أجد شيئًا، ممتد أن أمشي ثانية فرائيه
 يجري ويختفي في لمح البصر مرة أخرى، تجددت مكاني... وضعت
 المايروب جانبًا، كانت هذه الرؤى قد توقفت لشهور عدة، حسبت
 التي ارتحت بعيانها أو أن كان مرضي جهيزات واختفى.

لكنها ها هي تعود من جديد، قد أكون استثنائية كما تقول
 ميروكة لامي، لكنني ستمت من رؤية أشخاص لا أعرفهم ولا
 أعلم ماهيتهم.

هنا عاد الطيف يجري أمامي مرة أخرى... ظننت أنه توارى
 خلف أحد الكراسي، تحول بصري في صالة الاستقبال سريعًا، لم أجد
 شيئًا، لكنني متأكدة أنني رأيت يجري، قررت أن أتجاهله وأمسكت

بمشروب حدي لأذهب إليه، لكنني لمحت شيئاً يلعب في الأرض،
حدقت النظر فوجدت وراء كرسي حذاء طفل صغير يلعب!

منهقت ونراجعت للوراء خطوة.. فسمعت صوت
ضحكات طفل! ثم بدأت تظهر من خلف الكرسي أصابع يده
الصغيرة.. ثم أظهر نفسه شيئاً فشيئاً، طفلٌ رسيمٌ يده في الخامة
من حمراء! لكنه يرتدي الزي المدرسي الخاص بالمدرسة في هذا
السن! الخاكت الكحل والقمص الأبيض، ربطة العنق الحمراء
والسروال الرمادي القصير وحذاء أسود.

وضعت مشروب حدي ولم أشعر أنني بخائفة.. ربما لكونه
طفلاً.. لا أدري حقاً، حدقت فيه بعقول فظهر لي في براءة
وضحك ثم يجري مرة أخرى!

أخذت أجري وراءه.. لكنه كان قد اختفى. صرت أبحت عنه
 فلم أجده.. فجاءت سمعت قهقهته: "يياً لي! أنه كان في حيا لاني لم
أحده! كأنه يلاعبني! من هذا الطفل وماذا يريد؟ لا بد أن أعرف..
ظللت أبحت عنه ولا أسمع إلا صوت ضحكاته تترقت عن
أبحث وعقدت ذراعي وقلت:

- من أنت؟

ضحك الطفل وصمعت صوت قدميه يجري إلى مكان بعيد
- إذا ظهرت أعدك أنني سألعب معك.

توقف الطفل عن الضحك، وجالت عيني في كل الأركان
لأراه دون جدوى، بدأت أبحت عنه بشمعي شديد، إلى أن خطر

ببالي أنه من صُنع خيالي، وفجأة شعرت بشيء بارد يندق على ظهري أفلتت مني صرخة وارتحفت للمحطات، ثم استندت في بطة وتلُتُ من الرعب.. وجدت الطفل أمامي ينهم، لم أصدق كونه طيباً أبداً، لأن من رأيتهم جميعاً أبدوا انزعاجاً من وجودي، فما قصة هذا الطفل؟ استجبت لشعاعتي وقلت:

مرحباً.. من أنت؟

حقوق الطفل في ذمور وقال:

من أنا؟ أنا صاحب البيت.. من أنت؟ أنت صديقك غريبة

قليلاً؟

صدمتني إجابته ولم أعرف ماذا أجاب، ولكنني لم أكن تعلم

ONE PIECE

فأكمل هو:

- تقول أمي لا يجب أن نتق بالغريباء هنا لكنها دوماً تأتي بهم

إلى البيت!

ظلمت أنظر إلى الطفل ومددت يدي لألمسه فبدأ يتلاشى وهو

ما زال ينهم..

أفاقتني ضربات الرعد المتلاحقة، ورأيت جدي في البلكون

وهو يرتجف قليلاً من شدة البرودة، التفت إلى الطفل فلم أحده!

حدثت عنه حينها ولكن لم أغير من أي لأمر له! حدثت مشروب

جدي ودخلت البلكون.. نوسلت إليه قائلة:

- اشترك البلكون يا جدي أرجوك..

اتسم جدي للبحار المتصاعد من مشروب الكاكاو وقال:

- مشروب ساخن في توقيت قياسي؟

اتناهي الدهشة لظني أنني تأخرت ولم يعد المشروب ساخنًا
سألت:

- حقًا يا جدي؟ لم أتأخر؟

- لم تأخر في الحس، فائق في صفة، من تأخر حقًا عن ميعاده
هو جلال، ترقى أين ذهب.

ثم نظرت من البلكون بتفكره وبعد دقيقة صراع

- أخيرًا ما هو - مثالي - نظري، يضاهي حجم الباطنات بلوانية

لروح لنا جلال من الأشغل صاحتك فقلت:

- حسنا، لنظره في الداخل يا جدي أرسلتم

- أريد مشروب الكاكاو الساخن قبل أي شيء.

صعد جلال بعد قليل وجلسنا حوله في غرفتنا وجدي يرمق

نظرات الشغف في أعيننا وسألنا:

- أين توقفت؟

رد جلال:

- عند قيام الحرب العالمية الأولى، الكلي أريد أن أعرف مصير

الأخوين حاييم وداوود عزراء.

ربت جدي على كتف جلال وقال:

- داوود لم ترق معيشة الشغف في المستوطنات اليهودية، شعر أن

الامر سيلزمه الكثير من السنوات لكي تصبح فلسطين وطنًا لليهود.

لأعبك عن أنه لم يؤمن بمداخله بضرورة إقامة هذا الوطن من الأساس.

كان يريد أن يعيش في سلام، وفي رفاة أيضاً، أراد أن يتزوج وينجب
الأبناء في حياة طبيعية بعيداً عن الحروب، ترك الحلم اليهودي وجاء
إلى مصر في عام ١٩١١، وكان اليهود في مصر يعيشون في سلام كما
كان يعلم جميع العالم، عمل في كل ما يعمل فيه الأجانب في هذه الفترة،
إلى أن استقر قصبي في محل صاغة وأثبت كفاءته.

سألت جدي

- وما الذي حدث لحاييم؟

- حاييم كانت عقيدته تمل عليه ألا يتراءى فلسطين أبداً، وأنها
الأرض المقدسة له ولقرمه.. فظل مكانه في المستوطنات بجهد في
عمله، بشئ الكثير من العلاقات وتدرج في الأعمال.. واستخدمه
قناة الصهيونية.

يعود إلى الحرب العالمية الأولى.. اتجه تفكير بريطانيا إلى موقع
فلسطين وقربها من قناة السويس في مصر، فكان لا بد من التخطيط
لضعف المنطقة حول فلسطين بأكملها ليضمنوا سيطرتهم الكاملة
عليها دون خوف.

وفي عام عام ١٩١٥ م قُدمت مذكرة سرية إلى مجلس وزراء بريطانيا
عمرال مستقبل فلسطين، كتبها أولاد وزير صهيون يهودي يصل إلى
مصب وزير بريطاني مهم بروت صموئيل، جاء في الوثيقة:

«الوقت الحاضر ليس مناسب لإنشاء دولة يهودية مستقلة،
لذا يجب أن نضع فلسطين بعد الحرب تحت السيطرة البريطانية،
لنعطي تسهيلات للمنظمات اليهودية لشراء الأراضي وإقامة

المستعمرات وتنظيم الهجرة، وعلينا أن نزرع بين الحمليين ثلاثة
إلى أربعة ملايين يهودي أوروبي..

سأل جلال جدي متعجباً:

- كيف علمت يا جدي بأمر هذه الوثيقة؟

- هذه تقوم على خاصة يا جلال.. بعدين تعرف.

قلت لجدي:

- أكمل.. وماذا حدث بعد هذه الترقية؟

- بناء على ذلك تم الأخذ بتوصية «صموئيل» المقترحة في عام
١٩٢٦ م والتي جمعت بين بريطانيا وفرنسا لتنظيم سوريا الكبرى.
و«لوقت الوثيقة باسم «عهد سيناء» البريطاني «شارك سايكس»
والفرنسي «جورج بيكو»، ووضعت الاتفاقية «سايكس بيكو»
فلسطين تحت سيادة مشتركة للحلفاء، لإعطاها للدولة اليهودية.
كان سايكس صديقاً مقرباً إلى «حاييم وايزمان» وقد أوضحت
المراسلات بينهم دعم سايكس للحركة الصهيونية العالمية، كما
تزوج «حاييم عزرا» من مهاجرة فلاحية من شرق أوروبا.

سأل جلال، وهو يتفكر:

- وماذا فعلت بريطانيا يا جدي؟

- في نوفمبر ١٩١٧ م وافق مجلس الوزراء البريطاني برئاسة
«ديفيد جورج» بإصدار وعد بريطاني بإنشاء وطن قومي لليهود في
فلسطين، كتب الوعد على صيغة رسالة وزير الخارجية «آرثر بلفور»
إلى اللورد الصهيوني «ليونيل والتر روثشيلد» بعد أن شارك في

تعديله وصياغته «حاييم وايزمان» والذي كان يلعب شخص اللوبي الصهيوني، أما «حاييم عزرا» فقد أنجب «ليني حاييم عزرا» في نفس السنة، وقد بات يعمل مع القيادات الآن بعد أن أمضى مع سوات يتنقل بين كثير من المهام، وبعد أن قدم نصائحه لبعض مساعدي القادة، والتي كانت مثقلة لشدة إيمانه بقيام كيان إسرائيل.

وفي النهاية احتل في لندن كل من روثشيلد وصموئيل ومابكس ومن وراءهم حمتا حاييم وايزمان، والإبحار الصهيوني - سنة عجيبه .. هل هناك أحداث أخرى في هذه السنة؟

- احتل الجيش البريطاني بقيادة الجنرال إدمووند ألبلي القدس في ديسمبر ١٩٤٧، دخل مع الجيش قسطنطين الذي تم تدريبه وتوجيهه على يد وزير المستعمرات البريطاني «وينستون تشرشل»، كان أحد أعضاء هذا الفريق «ديفيد بنجوريون»، كان معه أيضًا «آني إيف جابوتسكي» و «إدوارد صموئيل» ابن «هيربرت صموئيل» و«نحميا رايبين» والد «إسحق رايبين».

قلت له:

- وانتهى العام على ذلك؟

- نعم يا حياة.

- إذا بدأ العام ١٩٤٨ الآن..

- بل نخلد للتوم لأن الوقت قد تأخر بالفعل .. لا تتعجلا

السوات، متريان العجيب فيما تبقى.

أوسط أجواء احتمالية وتحتات حد الأضحية أمك أبي
 يساطور كبير وأخذ يختبر حذتها، وأقرب من أقل العجل كأنه
 عتته، هذا العجل ورشح دون حركة أخرى فسحبت أبي يردده
 في صوت عالٍ:

- بسم الله - الله أكبر -

وشعرت بدوار وأنا أقف في البلكون بجوار حدي فأغمضت
 عيني ورجعت خطوات الخلف فقال حدي:

- اجلسي يا حياة... لقد علمتكم مغزى الأضحية منه ومن...
 صار عمرك أربعة عشر عامًا.

- لا أتحمل مشاهدة الدم..

- تقصدين دم شهداء عدوان ١٩٥٦؟

كلماتي جعلتني أتذكر العدوان وما رأيت فيه. هل لبيت أم
 تناسيت كل ما حدثك حقًا؟ وهل يمكن أن ينسى أحد؟

انتهى الجميع من توزيع لحم الأضاحي وجاء كل من أخواني
 مع زوجهما فأزدهم البيت عن آخره، ومن المطبخ ظهرت رائحة
 اللحم واختلطت بكثير من الروائح الشهية، وجلس أبي مع

جدي والسيد شاذلي في الطكون، أما إخواني قد جلسوا مع جلال
بحلالهم البيضاء التي لا توحى إلا بالفرح، أحب العيد وأحب
لمته. حقاً.

استحب جدي من بين التجمعات وأشار إليّ وجلال، فتبعناه
إلى عرفتنا وجلس ليكمل قصته التي بدأها قال جلال:
- والله يا جدي كنت أشعر خداه.

• جلس لوقت قصير قبل العشاء، أتدرك لنا في العام
١٩٦٨... حقاً الوقت أقبل ما نملك.

- مصبوط يا جدي، لتكمل لنا ما الذي حدث مع حاتم
عمر.

- بل أحكي الغم ما الذي حدث لأخيه داوود - أنسيتم أنه
جاء إلى مصر في ١٩١١، واشتغل بالصاغة

ولدت على جدي
- بالفعل لقد تسببا مع الأحداث... تروي ماذا جري له يا

جدي؟

تزوج داوود عزرا في ١٩١٨ من فتاة يهودية ولدت بمصر
لأبوين من جنسيات مختلفة، بعد أن أسس علاقات جيدة في
المجتمع آنذاك، لم يكن وقتها بالأمر العسير على يهودي لأنهم كانوا
في تسع المجتمع، الفتاة كانت ابنة صاحب عمل الصاغة الذي
يعمل به، أخته الفتاة وشعر والدها أن داوود سيكون له شأن كبير
في التجارة لشغفه بها، تم خطبة سريعة اطمان أهل العروس له

فكان الزواج سريعاً أيضاً واعتمد داوود على نفسه لكن حماه كان قد أمن لابنته سكناً يليق بها حتى يدبر داوود أمره.

- ثم ماذا؟ ما الذي حدث له؟

- ثم نعود للقدس أولاً يا جلال.

قالها جدي وهو يتسهم.. كان يعلم أننا نموت شوقاً لإكمال الحكاية في جلسة واحدة.. لكنه كان يتعمد أن يلقننا كل شيء يعرفه كما كان يردد دومًا: «إنها الأمانة التي يجب أن تنقل إلينا».

تابع جدي قائلاً:

- لنعود للقدس.. في يناير ١٩١٨ م استقبل الجنرال «ألنبي»

في القدس صديقه الحميم «حاييم وايزمان»، واحتفى به وسط الجنود المحتلة أشد احتفاء، كان عدد اليهود في فلسطين حوالي خمسين ألف مقابل نصف مليون عربي، أي شكّل اليهود نسبة أقل من عُشر السكان.

أردفت قائلة:

- نسبة لا تُذكر.

- كانت.. فمع انتهاء الحرب العالمية الأولى وأثناء الإعداد

لمؤتمر السلام في باريس، أرسل الرئيس الأمريكي «ويلسون» لجنة برئاسة الدكتور «هنري كينج» والسياسي «تشارلز كرين» إلى الشرق الأوسط لدراسة الوضع، وقدموا تقريراً جاء فيه:

«إذا أردنا تطبيق مبادئ العدالة الأمريكية، فإن أمانى الشعب الفلسطيني هي التي يجب أن تقرر مستقبل فلسطين، لأن تسعة

أشار أعداد السكان يعارضون مشروع الصهيونية، وهذا شعور عام في جميع موريتانيا، لقد أكد كل مسؤول بريطاني قابلناه أن مشروع الصهيونية لا يمكن تنفيذه إلا بقوة السلاح، وأن هناك حاجة إلى ما لا يقل عن خمسين ألف جندي، للبدء بتنفيذ هذا البرنامج، وهذا يحد ذاته دليل على ظلم برنامج الصهيونية للشعب الفلسطيني. ولذلك تم سحب التحليل عن جعل فلسطين كدولة يهودية، قال جلالة في سكون.

١ - وبالطبع لم يحدد تقرير «كبيج كرين» أيًا من أهدافه.
٢ - بالطبع «فريديريك» ١٩١٩ شارك في مؤتمر السلام عن بريطانيا «ديفيد لوي جورج» و «آرثر بلنهور» و «هراس» الوفد الصهيوني «عازيم وايزمان» المعروف بخريطة توضح مساحة الوطن القومي لليهود، وكانت تشمل فلسطين وغور شرق الأردن، وغرب لبنان وصولاً إلى صيدا وصور وكذلك القيطرة السورية، بحدود تسير بمحاذاة خط سكة الحديد الحجازية.

- ماذا فعلوا في هذا المؤتمر؟

١ - في المؤتمر أحاط كل من «آلبي» و «ديفيد لوي جورج» بالأمير «فيصل بن الحسين»، ووقع «وايزمان» مع «فيصل» اتفاقية عرفت باسم «فيصل وايزمان»، لكن مهنتها الحقيقية كان الكولونيل البريطاني «توماس إدوارد لورانس» والذي كان معروفًا بـ «لورانس العرب».

وقع «فيصل» لكنه تحت خط بخط شخصيًا على الاتفاقية «لن يتم

الاتفاقية إلا إذا نال العرب استقلالهم.

تغيرت ملامح جدي واشتم وهو يقول:

- ولا ينسى التاريخ ودود أعمال شعب بورسعيد الباسلة

في ١٩١٩ عندما علموا أن اللورد «ألني» سيمر من خلال ميناء

بورسعيد إلى القدس، ساء لها من مدينة عظيمة.

- ماذا فعلوا؟

- تقول الرواية الشعبية إسم الظن والامرور حفته وكانوا قد

حجزوا دبة كبيرة من القماش على ميتة وغطوها بسعة وطاقوا بها

في شوارع بورسعيد في موكب مهيب، على سبيل التحرس ذهبوا

ما للميناء على هذه الحالة وأحرقوها أمام عينه وأثناء مروره

وكانت تزامناً مع ليلة تم السيم... وأصبحت تقليداً وتكراراً

لعمى إلى الآن رضا للظلم والطغيان.

- هل هناك أحداث أخرى في هذه السنة العجيبة؟

- است الحركة الصهيونية مركزاً استخبارياً لها وبدأوا

في جمع معلومات سياسية عن الرأي العام، وهل سيوافق

ال فلسطينيون على المشروع الصهيوني أم لا، أين الأراضي الخالية

وهل يمكن بيعها لليهود أم لا؟ معلومات عن مقاومة الشعب لهم

في مستعمراتهم وهجومهم عليها.

- ولا تنسى ثورة ١٩١٩ المصرية يا جدي..

ضحك جدي قائلاً:

- من يستطيع النسيان لقد ولد والدك يا حياة يوم الثورة

كنت حائزاً هل أترك زوجتي تلك أول ابنتي وأنضم للمسيرات
التي ظلت تحتف بالاستقلال التام أو الحرة الزوام أم أتركهم
لأستقبل أول ابنتي في حصتي.. وقد غلبت الأبوة حينها.
مرت لحظات ونحن تفكر ماذا تفعل لو كنا بموقفه، لكنه
قاطعنا:

- تذكرون ساييم وداوود هورا؟

- طبعاً يا حدي

- في ١٩١٩ أنجب داوود ابنة هورا في مصر، وفي
١٩٢٠ عُيِّنَ ساييم حراً من بين مساحيس «إدموند روتشيلد»
بعدما اشهر بإعلامه وتغاييه لقيام الدولة الصهيونية، كما عُيِّنَ
أولاً حاكم بريطاني لفلسطين، ووقع اختيار الحكومة للمص
الدوب السامي البريطاني على اليهودي الصهيوني هوربرت
صموئيل، وجاء صموئيل ليطبق ما اقترحه قبل عدة أعوام
وهو تهيئة فلسطين لتكون دولة يهودية.

قال جلال:

- هؤلاء الصهاينة لا يسرون ما يخططون له أبداً.

- أنت عث في هذا، كان صموئيل صديقاً لآلني، وأظهرت
مراسلاتها تقاعداً كاملاً بهما، وكانت المادة الثانية من بتود صك
الالتداب والذوي وافقت عليه الأمم حينذاك تنص على «تكميل
بريطانيا بوضع البلاد في حالة سياسية وإدارية واقتصادية تسمح
بإنشاء الوطن القومي اليهودي».

منذ اللحظة الأولى اعتبر صموئيل اللغة العبرية لغة رسمية
لجانب الإنجليزية والعربية، وأضاف إلى كلمة «فلسطين» بالعربية
ألفاً وياه كرمز «ارتس إسرائيل» أي «أرض إسرائيل».

- وبالطبع لا بُدَّ من عمل شيء هنا... إنهم لا يُقدِّمون على
خطوة بلا مدفع.

فتح للمرة الثانية يا جلال... وضع ما يزيد عن مائة قانون
يسمح لليهود بخراب الأراضي إليهم، وهم من جعل لليهود نظام
تعليمي منفصل عن نظام الحكومة الفلسطينية، والشرطة، والقوة
وإدارة الطاقة لعمل خطط تجريب، وإدارة العقار، وإدارة مياه
خاصة بهم فقط، والأهم أنه جعلهم هم جيلهم فقط.

أخرجت عن سميتي الصويل قتلت.

- بداية منظمة، ولو لا رعاية بريطانيا للصهيونية منذ البداية ما
كان اليهود يفعلوا كل ذلك بمفردهم. بالأسى.



BOOKS

671807

يناير ١٩٦٥

ملأت الفرقة والأشجار الملونة والورد الحارة والعمارة
وسطحها على السطح تشدو صباح على صوت متروبول وأما هنا
هنا يا بين الحلال... لا عابرة جاء ولا تفر مالاً يدخل صوتها كل
البيوت وغيا عن سكانها.

لرنديت فتاتي الأذرق ووقت عبد الفرج أرافت حركة
الكثير من العمال وهم يحملون الكراسي والأشجار الملونة لجهيز
السطح، استغللتهم كثيرا لفرس عابدة ونحاسن الليلة، دخلت
الطبيع أثرب كوتا من الماء سمعت أبي وأمي يتحدثان، بدا أبي
من تالها فحكة زواج أخوتي في ليلة واحدة، كذلك أمي التي قالت
له وهي تقرأ نصا طويلة.

- الحمد لله.. حلصنا منها في ليلة واحدة.. في أيامنا تزوجنا
بغير الإمكانات، الناس تصرخ هذه الأيام من جهاز عروس
واحدة، لقد أعانك الله على تجهيز عروستين سويا، لذلك كان
مرار الذبح في الحارة فراراً سليله العديدة سعد عين الحاسدين.

- الحمد لله على سيرة البنات، سوف أفنقدهما كثيرا كما أفنقدهت
بدر من قبلها.

- ونصر.. أم تفنقده نصر؟ أم أنك تفنقده البنات فقط؟

- بالطبع أفقده يا ودا، لكن هذا حال الدنيا، يتزوج الأيتام،
ربما يسافرون، ويصير البيت خاليًا يفقد لم شمل أصحابه.
- هذا حال الدنيا.. عقبال الباقي!

سألت نفسي هل يُعقل أن تفصلني وأنا مازلت في الخامسة
عشرة؟ وهذا في السادسة عشرة فقط؟ على أي حال هي لا تترى
لديت مكانًا مُثلت إلا بيت زوجها.

فدلة الجميع البيت وبقيت أساعد جدي في استعداده بعد
برهة سمعت زغاريد كثيرة بالخارج، فخرجت لأجد حاسن
وعائدة تبدوان كأنهما في ردهاتهما الأبيض الواسع، ثم كان
بدواعي زوجيهما أثناء صعودهما إلى السطح وهما يدر وهما
لمسكان بالشمع الأبيض الطويل المشتعل في بهجة، كان لا بُد أن
أكون بجانبهما لولا أنني فوجئت بوجود حاضنات كثيرة حولهم!
الزغاريد لا تتوقف من الأقارب، وأمي ومبروكة لم تتوقفا عن رثن
الملح وقراءة القرآن والصلاة على النبي.

صعدت إلى السطح مع جدي وقد سبقنا الجميع، توالى أخاقي
صباح وحليم وفايزة أحمد، نظرت إليهما في الكوشة وبدأت أتقبل
البيت بدونهما، لن يكون البيت عامرًا بعدهما كما قال أبي، وسأكون
وهنا تحت مراقبة أمي الصارمة بلا شك.

جلس جميع إخوتي وكذلك جلال أيضًا إلى منضدة واحدة،
قام أبي واستقبل عائلة يوسف موودخاي وزوجته يوناء مع ابنتها
الوحيد ذاتيال وزوجته حتى أجلسهم، حضر الكثير من الأقارب

والحترقت فرقة السمسم المبهجة الأجواء وصاروا يشدون
بصوت عذب:

«أول دخولنا الجنة»..

لطالما تجمع الوسيقي الغريباء وتقربهم من بعض. وكانت أمي
تراقب هذه فرقة الأساير، ثم تصطمع أنها لا تم هذا، مضت
السمسمية ومضى الوقت لطيفاً ساحراً، لا صوت سوى ضحكيات
منقطعة وأغانيه الكثير من الحاسلات ولم الحصى كلمة مخالفة أو
جماعة. مع اقتراب نهاية الليلة تحولت في المكان وحلت الشربات
الجدي وحلت بجانبها فقال لي:

- بالرغم من برودة الطقس إلا أنني أجد هذا الجو لم يُنظر.

- لم يُنظر لي الجو.

- اسمعي.. أذهبي وأخبري جلال بعد نهاية السهرة ألا
يحبرك من هذا مجلس ثلاثنا في هذا الجو المتع قليلاً أكمل
الكتاب من القصة.

- لكن أمي لن تتركني.

- دعي وداخلي أنا.. هيا أذهبي.

تقدمت من جلال في ثقة ولا حظت أنه يوارى نظراته عني، كما
لاحظت بريقاً مختلفاً في عينيهِ اليوم. هذه فقد كانت تلك هي أول
مرة يراني متأنقة، أخبرته بأمر جدي هامة فأومأ موافقاً سعيداً.
لم أذهب إخراجي لعلمهم مدى ترابط العائلتين، ومدى قربنا من
بعضنا البعض كإخوة! لكن هل حقاً نحن كذلك؟

ذهبت لأودع محاسن وعائدة كأنني لن أراها ثانية، وانطلقت
السيارتان خارج الحارة، ووجدت جلال أمامي يعطيني منديله
الفاش الأبيض لأجفف دموعي متعجبا.

- ما كل هذا البكاء؟

- لماذا كنت ألم برحل من أمنا.. لا أتقبل العيش بدونهما..
لأنهما وجدنا من يكملان معهما حياتهما.. الأجداد..
نفرحي لهم يا حبيبة...

لا تقل غيبالك أيتها حبيبتي..

ضحك جلال مرصفا.

- حسنا لن أقول.. إنما أريدك أن تعرفي في وقت الفرح..
إني موجود هنا ولن أغادر.

نظرت إليه وكأنني أختبر شعوري إذا ما تزوج جلال عيني..
لم أدت عيني فيه دولا أن أشعر فقال:

- حياء.. هلا تتوقضي عن الشرود؟

- هل تريد أن تتزوج يا جلال؟

- بالتأكيد سيحدث.. لكن أمامي الكثير لأفعله.. وأمامك
أنت أيضا الكثير.

- ليس كثيرا.. فأني تسيطر هناك ثم سترع معي.

- حسنا.. أمامك يقع سنوات أخرى.. من يفري ماذا
سيحدث فيهم؟

معتت حينها أنني أريد في حبال بأي شكل ولا أستطيع

فراقه، نظر إلى فوق وقال:

- انظري... جديك ينظرننا.. هيّا لنصعد.

- هيّا بنا.

في مدخل العمارة أوقفني ونظر في عيني قائلاً:

- قبل أن تصعد هنا أن أقول إنك تبدين المزمع كمنزلة.

اتسمت وخلق قلبي كلامه يخفق من قبل قائلاً:

- لو أعلم أن كلامي سيجعلك تبسعين عوفيا عن البكاء

فعلت...

اتسمت ابتسامة الخمر وسعدت. عندما رجعت كان الجميع

قد احتسني والتعالي يتفنون كل شيء. لا أنظر إلا جدي ينظرنا

وحيداً قلماً وقد حفر مقعدس لنا. اختصته فقال جلالاً:

كأنت تبكي كثيراً وأتعبني لكي تكف عن البكاء.

أحد جدي زامني في يديه ونظر في عيني وقال:

- تغير الحال هو الشيء الوحيد الثابت في الحياة. عليك أن

تقبل التغير وتقبلي صامدة في وجه كل ما يملقك.

أومأت له بالموافقة وقبّلت رأسه وجلست أمامه فجلس جلال

بحاسبي، يقظ أنه ينظر لي دون أن يراه جدي، تلمع عيناها مثل ضوء

القمر الذي يرقبنا جيت في هذه الليلة القريفة، أردف جدي:

- بأسرود لكم سريعاً بعض السنوات في تاريخ الصهيونية.

وصلنا إلى العام ١٩٢١ الآن، مع استمرار الدعم والتحيز البريطاني

للشعوب واستمرار طرد القلاحين الفلسطينيين من الأراضي، نشأت

مجموعة من التوار في المناطق الريفية، ونظموا مظاهرات حاشدة ضد حجرة الصهاينة، وكانت القيادة السياسية الفلسطينية تقليدية في ذلك الوقت، قائمة على توارث مناصب الزعماء، فتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل، وكان مفتي القدس السيد أمين الحسيني قد وراث هذا المنصب في عمر الخمس وعشرين عاماً بعد وفاة أخيه كامل الذي خلف والده طاهر الحسين مفتي القدس وتوارثت هذه القيادة منذ أوائل العشرينيات في وعود إلى لندن ليحت العنفة الفلسطينية، يرى بعض المؤرخين أن الحكومة الفلسطينية أرادت أن تحتفظ على المساعدات البريطانية وفي نفس الوقت حماية الحرية الصهيونية وكأنها تريد الصفاء والشفاء من فتن الأمر مستحيلاً أردف جلال.

- الحاجة تدل يا جدي، والصهاينة من جعلوهم كذلك بعد أن استولوا على أراضيهم، ليجعلوهم محتاجين إليهم دائماً.

- بالفعل يا بني، في سنة ١٩٢٥ لعبت بريطانيا لعبة خبيثة جديدة، فجاء تقرير حكومتها إلى عصبة الأمم عن إنجازات لانتداب السامي البريطاني في فلسطين يقول:

«سهل حجرة ثلاثة وثلاثين ألف وثمان مائة وواحد يهودي، ومنحهم الحسبة الفلسطينية، أي ثلاثة أضعاف أعداد العرب السابق».

«شاء ثلاث عشرة مستوطنة يهودية جديدة، تنظيم المستعمرات كقائمة للمعامل اليهود تحت إدارة «ديفيد بن جوريون»».

منح البلية «قل أبى» استقلالاً محلياً، الافتتاح الرسمي
للجامعة العبرية بحضور الجنرال «التي» والحاكم «صموئيل»
«ضيف الشرف» آرثر بلقور» ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية
«حاييم وايزمان».

وحمل بنصره هتفا على وايزمان وزار عدداً من المنظمات
اليهودية، واجتمع مع النبي في القدس لتحديد الخطوة القادمة في
الخطوة الصهيونية.

لم أتقبل موقفه لعل البلد من قبل هذا القهر محال جدي
- وماذا فعل الفلسطينيون المتهورين حيال ذلك؟
«أضرب الفلسطينيون ورفعوا الأمواج السوداء» ووصفوا
بارة بلقور بالزبان المشؤومة، وتبوا في جريدة الشورى وكانت
حريدة سياسية.

«إلى اللورد بلقور

لماذا جئت إلى بلادي؟

هل جئت لرى البؤس والشقاء الخاليين بقومي بواسطتك؟

هل جئت لتشاهد أفناء فلسطين التي هي من ضحايا

نصريلك؟

هل جئت لتتحقق ما إذا كانت حراب بلادي قد تحققت؟

هل جئت لتعجل لبلاوي الكارثة التي هي نتيجة بحمة

لوعذك؟

هل جئت لتفزع على رومية فخرق؟»

- وماذا كان رد بريطانيا؟

- كُرمت «صموئيل» على ما حققه من مرحلة أولى في تأسيس الوطن القومي اليهودي، بل إنها عرضت فيلما وثائقياً موجهاً للناطقين باللغة الفرنسية، يستعرض إنجازات الحركة الصهيونية، ويبرسم الخريطة باسم إسرائيل بدلاً من فلسطين، وتلك تستعرض خطتها الخمس وعشرين سنة القادمة.

قلت لـجدي

- لا أصدق كل هذا الجبروت.

- عليك أن تصدقي لأن السوابق القادرة على الأسوار هي عام ١٩٢٩. بطلت الوكالة اليهودية تجمعاً صهيونياً للصلاة عند حائط البراق، المعطلة بإقامة بناء الهيكل، على أثر ذلك قامت ثورة شعبية سميت بـ «ثورة البراق»، أطلقها قلاح فلسطيني يدعى «مرحان السعدي» من قرية «المنارة»، وأصدر المنسوب البريطاني «جون روبرت شانسلر» منشوراً شديداً بالهجة يقول فيه إنه سيوقع القصاص الصارم لكل من اشترك في الثورة، فاعتقل «سعدي» ومن معه «محمد جحوم» و«عطا أحمد الزيرا» وسجنهم في سجن القلعة بعمكا.

- وهل حركتموا بالشغل؟

- في ١٧ يوليو ١٩٣٠ تم تنفيذ حكم الإعدام على «السعدي» ومن معه من قبل الحكومة البريطانية، ورفضت «طالبات النول العربية» بتحقيق الحكم عنهم، ولا زالت قبورهم تشهد على

الواقعة تاريخين خلفهم رسالة تقول: «تتمنى ألا يُعفى عناء، لعل في إعدامنا حياة للأمة». رسالة إلى كل ملوك وأمراء العرب والمسلمين في أنحاء المعمورة ألا يتقوا بالأجانب، وباسم العرب نحيا وباسم العرب نموت».

قال جلال بعلب شديد:

- كتب يحدث هذا وعند العرب طرق عدد الصهاينة آنذاك؟
- في ١٩٣١ وصل عدد اليهود إلى مائة وخمسة وسبعين ألفاً، حينها احتفل قادة الصهاينة وقادعهم ما في نيويورك وخطب فيهم «ستيفن وايز» وهو الأمريكي مشهور «معضيد» وحث اليوم «لاستكم أصدقاؤني اليهود الصهاينة، عن الموقف الذي ستخذه من بين المواقف المتاحة أمامنا». أود أن أقول لا تجلترا برقم أنني يهودي أمريكي لكنني معجب ببريطانيا العظمى أشد الإعجاب. سأقول لا تجلترا إن وجود فلسطين عربية هو تهديد لبريطانيا العظمى وخطر على العالم، لكن وجود فلسطين يهودية هو مكسب لبريطانيا العظمى وبركة للمسلم».

♦ - لعن الله الصهاينة في كل العالم

- ولم يسن زعماء الصهاينة في لندن ألا يقيموا حفل عشاء للحركة الصهيونية، وكان «فريد لويد جورج» وليس «روز» بريطانيا يدعم نفل ملكية فلسطين إلى الصهيونية فخطب فيهم قائلا: «كما ذكرتم وليسكم فقد مرت ست عشرة سنة منذ أن حدثت في الحركة الصهيونية، تحولت فلسطين من مستعمرات

فاحلة موزعة بالملاوي إلى مستعمرات مزدهرة، زرعت التربة بعد
أما كانت المياه تضع سدى منذ بلد الخليفة».

قال جلال:

- بالطبع ما هي الاكاذيب لأن فلسطين بالأساس أرض خصبة.
- طبعاً يا بني لا تكن الاكاذيب كثيرة صدرها الصهيونية للخراب،
لأن فلسطين كانت مليئة بحيرات الله وثروتها الزراعية بفضل
فلاحيها طامري الأيادي.

- هذا التاريخ يجعل اليوم عبيراً على يا حبيبي.
- الأسوأ حدث بعدها، في عام ١٩٣٢ تصاعدت مظاهرات
والاحتجاجات الشعبية في فلسطين، وشاركت النساء مع الرجال
خرج أمامهم الجنود البريطانيون بالآلاف، قُطعت من المظاهرات
العديد من الجرحى والشهداء حتى «موسى كاظم الحسيني»
رئيس بلدية القدس سابقاً صرّح الجنود البريطانيون وهو في الثمانين
من عمره وتوفي متأثراً بجراحه، وفي ٢٩ أكتوبر في نفس السنة
كتب الشرطي الفلسطيني «محسن توفيق» يجمع على رئيس الضابط
البريطاني «جورج فارادي» الذي أطلق خمس وعشرين رصاصة في
اتجاه المظاهرات الفلسطينيين في باقلا، ووجه عدة احتجاجات ضده.
قلت في سرّي: «لا عجب» فلا بُدَّ للظلم من أيدٍ شيطانية
لتعينه.. وهذه الأيادي واضح أنها كانت موجودة في كل مكان».

هنا صاح جدي وكأنه قد تذخّر شيئاً هاماً:

- على قولك يا حياق. لا يقوتني ذكر داوود عزرا هنا.

فبعد مساعدة أهل زوجته استطاع أن يدير أمر سكه وقد تحسنت
أحواله المادية كثيراً، لكنه لم يكن نزيهاً في ذلك، صحيح أنه لم يكن
يعلم بنجاح الصهيونية كأخيه حاييم، لكنه كحال اليهود في ذلك
الوقت، امتلك المال الكافي ليقرضه بالربا للمُتعتِّرين، وفي حال
عدم سدادهم في الأوقات المحددة يسأولهم على أموالهم، فقد
أحب داود المال أكثر من أي شيء في الحياة.

استدلت الرياح محبة وأهم المطر بشكل جيد، شعرت
وكأنه يطردنا من سطح العنارة، حينها انشعبت جميع كائنات
الوقت من الوقت سريعاً تعانقته، بدائم انقار أن الوقت أغلى
ما يملك.

أستد جلال جدي سريعاً لتلحقي من راحات المطر الحاجنة،
نظر جدي إلى السماء مُبَسِّمًا وقثم يادعية لم تسمعها.

...

BOOKS



في صباح يوم الخدمة التقى الجميع حول الهاتف الأسير في
صالة الاستقبال، أبي لم يستطع في صبيحة ولا خلق الفريز
أمي منه وقالت بصوت شريتمش:

- ماذا حدث لنصر؟ هل تحدثت إليه؟ ماذا لا تفهم؟
عظم أبي أصابع يده وفزها إشارة لكي تصبر ثم قول قاصداً:
- لماذا لم تعرف قبل أن يتحدث أبي شيء في ذلك المقع نرسيه؟
خمارة.

وضعت أمي كفها على وجهها الذي اجتاحت شجرة القلق
وقالت:

- أريد أن أتحدث مع أبي يا أحمد... ماذا حدث؟
أعطاهما أبي ساعة الهاتف ودخل الميكوفون، بينما نصر ما زال
يحدث بصوت عالٍ مسوح غير مفهوم... قبضت أمي على
الساعة في لفظة وقالت متعلقة:

- كيف حالك يا نصر؟ ماذا بك يا حبي؟
صمت أمي لبرهة صغيرة وقد تبدل القلق إلى الدهاش،
نظرت إلى أبي الذي أخرج سيجارة من جيبه وأشعلها في صبحه
فقال في صوت خافت:

- من تكون؟؟ خديجة.. يا ألف نهار أبيض يا حسي.. لكن
الأصول يا نصر كانت تقتضي علمنا قبل زواجك وليس بعدم.. لا
لا ليس حرافا لكنك كسرت بخاطر أهلك.

ياغتنا المفاجأة! لا بُدَّ أن أرى نصبان.. كانت أمي تستمع في
اهتمام وكنابع أن في وقت واحد، ثم قالت:

«صنا يا محمد يهدأ، موق في البكون، كان يريد أن يقول لك
أن توأمك صابر خطبة أمانك أنت حالك السيد، الله يباركك
يا حسي.. نعم.. الخطبت هائم لأنه لم يحطم استهزاء طبعاً صابر
تملك كل عائلتك نور سعيد.

المحطات تسبب أمي كل شيء، وتفتخر بعملي هائم التي
عصبت من خطبة صابر، كانت أمي تدرك أن مكالمة نصر لا بُدَّ أن
تكون سريعة لا ارتفاع معروها عليه، أمرعت تحاول إنهاء المكالمة.

هز جدي رأسه في أسف وقام مع عصام يلحق بأبي في البكون،
بينما لاحظت علامات الضيق على صابره، وجلت محاسن تحمل
ابنها فاهلة، وجلت وهناء بتخيل شكل العروس لأننا تذكرها

في صغرتنا قبل أن تماجر عائلتها، لا بُدَّ أن نصر كان يخطط لكل هذا
من قبل دون أن يعلم أحد، فأكدت أمي بصوتها المصدوم:

- لكنك لا بُدَّ أن تذكر مكالماتك هذه الأيام حتى يرضى
عنك، وفي أقرب وقت تحضر وزوجتك، أريد أن أراك وقد طالت
غريبتك، يا نصر تخاف أن تموت دون رؤيتك يا حسي.. حاضر..
حاضر.. سيدنا محمد رسول الله.

أغلقت أمني الهاتف، ساعمة وجلست تبكي.

أتى الجميع من البلدة فلم تشعر بهم والتفتوا حولها وهم عليها ما تشعر به.

- كنت أحب أن أزه مثللكم جميعاً، هاجر ابني صغيراً وترك البلد لشدة يأسه منها، لمن الله الاحتلال والاحتلال واليهود والحروب والأطباء، أو شرب نهر كبرياء.
قال جدتي.

- هو قرا على نفسك يا وداد. التمسى له العبد، أحمد الله الذي حصل له في الغربة والخير امرأته التي تخطبته تصوته وبهول مرارها عليه.

جفت أمني فموجعها وهي تقول:

- حمدًا لله.. خديجة بنت أصل ومدينة لكن كلك لا بد من إعلامنا شقاء يصعب على الأب أن يشعر بتجاهل أبنائه له في الأمور المصيرية مثل الزواج، لقد أخطأ تصري.. لكني لا أريد أن أقسو عليه مع الغربة.

◆ - حصل خير يا وداد.. قومي وصلي لله ركعتين شكرًا، نصر لم يعد طفلاً ويعلم ما يفعله، ثم إن ابنك يعيش بعيداً عن الحروب وما يقاسيه هناك بل إنه يعيش حياة أفضل مما هيها الآن.. اشكركي الله على سلامة أولادك وادعي له بدوام هذه النعمة الكبيرة.

- حاضر يا عمي.. اللهم لك الحمد.

- هيّا يا بنات، استعددن لسبوح الحبيب اليوم.

اجتمعت العائلة والأقارب والأصحاب وعائلة جلال، لم يكن السبوح مُبهجاً كما توقعناه، كانت الطقوس روتينية بعض الشيء، تحايكتنا على الفرحة مرات عديدة لكنها آتت أن تستجيب، وطفى الحديث عن زواج نصر على أي حديث آخر، حتى انقضى الوقت سريعاً فو هكنا شاء الجميع ليختلوا بأنفسهم وبعد أن غادر كل إلى بيته وأوى أبى وأمر إلى غرفتهما لم يبق إلا أنا وجدي وحيدين في السلكون.

اتكأ جدي إلى عصاه ورأيت عيبه تتألم بجمعة غريبة على الأرض.. فقطعت سمته

- أنظر يا جدي أن نصر على صواب
قال وكأنه قد توقع سؤالي مسبقاً:

- اسمعي يا حياة، نحن نعيش كل يوم بين الصواب والخطأ، الكثير منهم نسي، جميعاً لدينا خيارتنا في الحياة ولدينا ما نندم عليه وما نحققه، لا أحد عليه أن يعلمنا ما علينا فعله في الحقيقة، لكن علينا تحمل تبعات أفعالنا، وهذا يعتمد على مدى قوتك وصلايتك في مواجهة الحياة.

حاولت أن أفهم ما يقول لكنه أكمل:

- علينا ألا نختم هذا اليوم الثقيل القل هكلاء أفسي
و أحضري جلال.. أريد أن اجلس معكما
فقرت من مكاني فرحة وأسرعت وأنا أقول:
- حالا.

ذهبت لشقة جلال مسرعة.. وصلت في ثواني وطوقت
الباب.. فتحت لي السيدة أنيسة فغلب على الحجل وأنا أسأله:

- هل نام جلال؟

قالت سائلة:

- خير يا حبيبي؟

أرتبكت جداً لم أدر ما حل في.. قلت في تعلمتم:

- جدي.. أمم جدي بعلمه الآن..

اهتمت هي في ذلك وحدث كأنها تقول لي: وكيف إن تنفوه
بكلمة كان جلال وراها يصيح:

- أيا قادم يا حياة.. لا تملقني الباب بسأحيء عليك، بعد إقنتك
يا أمي.

ثم مشيت صامتة.. سألتني جلال عما بي فحلجنت ولم أدر
ماذا أقول.. الحقيقة أنه لم يوجد شيء ليقل.. يبدو أنني أكبر بعض
المواضيع الرومية في رأسي.. وصلنا إلى جدي وجلسنا سوياً..
شعرت بفرحة جلال في صحتي، كأننا تلقينا اليوم لأول مرة، نظر
جدي إلينا وقال مكملاً وعجائاً كان يحكي منذ ذائق:

- توفي البارون «إدموند روتشيلد» الداعم الأساسي
للمسيحية في نوفمبر ١٩٣٤، لكن حاييم ظل مؤانداً للمسيحية
يعمل مع عائلة «روتشيلد».

قال جلال:

- الشيطان الكبير.

– اليوم ترفد رفات البارون روتشيلد في ضريح قريب حيفا، وقد أصبح قرارًا بحرص الصهيونية على زيارته وتعليم أبنائهم أنه أول من دعم إسرائيل قبل أكثر من مائة عام، وليس منذ العام ١٩٤٨ كما حُفِر في عقولنا. نظر لنا جدي فلم نسأله عن شيء أو نعقب فقال سائلًا جلال وكأنه يحذر :-

– إلى أي عام وصلنا يا جلال في المرة الأخيرة.

رأى جلال تحقير دون التفكير.

– عام ١٩٣٥

ابنسم جدي، درست حل كتبه وقال موضحًا حديثه إلى جلال عم أنه كان ينظر إلى

– أملي فقط ويكرر يومًا بعد يوم يا جلال - حسنًا لتابع.

وصلنا لسته قاصلة وهي ١٩٣٥. تملحت المستعمرات اليهودية في فلسطين وبدأوا في مهاجمة الفلسطينيين العرب. وبناء عليه قامت مظاهرات هنا في مصر ضد الكيان الصهيوني وضد منظمته، ثم انتقل الشعور فانه تحرك اليهود في مصر عمومًا لكنه لم يكن قويًا.. وفي نفس السنة وصل المندوب السامي البريطاني اميلز لامسون إلى مصر وبقي حتى ١٩٤٥ لم يكن لدينا أسئلة فاستطرد جدي :-

– في أبريل ١٩٣٦ بدأت اللجنة العربية العليا الإضراب العام في يافا، وقال المتحدث الرسمي باسمها إن الشكوى الرئيسية لدى العرب هي ضد سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين، فهي سياسة

إذا ما استمرت فتحنا ستؤدي إلى إحلال اليهود محل العرب، واختلافاً لكل المبادئ فقد فرضت الحكومة البريطانية تصريح بلفور الذي يحقته جميع العرب في الشرق الأدنى، ويتفضلها تأسيس وطن قومي لليهود تناسبت بقصد حماية الحقوق الوطنية للسكان غير اليهود، لقد قرر العرب القيام باضراب عام وشامل حتى تتوقف هجرة اليهود وحتى تغري الحكومة تغييراً يرمونها في سياستها الحالية.

سألت جلي:

- وهل تسمعونوا بعمل هذا الاضراب بالفعل؟

- نعم، التزم جميع الفلسطينيين بالامتناع الذي أدركه البريطانيون والذين كان امتناعهم يتجلى لليهود في كل شيء ويقوم بتسيير أمورهم على حساب الفلسطينيين، كالأضراب استمرت أشهر متواصلة وهو الانتداب البريطاني، وفي ٢٧ يوليو ١٩٣٦م اتخذت إجراءات صارمة باعتقال كل من يشتبه فيه بعلاقته بالشوابع وقاموا بتجوير منازلهم، ووصل عدد المنازل إلى أكثر من مائتين منزلاً في يافا، ثم قتلها مئتان وقرى أخرى، وأصررت بريطانيا أن تجبر المنازل هو عمل غير المقتضى على الثورة، الشهيد وأصيب فيه مئات الفلسطينيين البواسل.

- عقلي لا يصدق كل هذا الظلم والطغيان!

- ظلم أكثر من هذا يوماً يحدث، حاف الصهيونية من تكرار الأمر، فاقترح بتحويلين على المندوب السامي البريطاني لأثر جاكوب إمكانية تسكين الفلاحين الفلسطينيين الذين تم طردهم من أراضي المستعمرات اليهودية في شرق الأردن، فأجاب المندوب البريطاني أنها فكرة جيدة.

سأل جلال:

- ماذا فعل العرب حينها؟

- أشفق الحكام العرب على الشعب الفلسطيني، فتصحوهم
بفك الإضراب وإعطاه فرصة لبريطانيا لإثبات حسن توأياها...
وفي ١٩٢٧ قامت لجنة بتقسيم فلسطين دون الإعلان عنه،
وقررت الحكومة البريطانية الصايط دافاردي «منا الذي قتل عددا
من المظاهرات الموال من قبله بل ومنحه وسام الشرطة الملكي
مع الإشادة بدوره في فلسطين» وعلى الصمد الأصمعي تحدثت
المصالح اليهودية إنتاج القطر والألماس في فلسطين
قال جلال في خطبه:

- سوف يأتي يوم الانتقام بلا ريب.

لكنه استدرك مثنيا فسأل جدي:

- وكيف عرفت يا جدي أنهم لم يعلنوا تقسيم فلسطين إذا لم
يعلموه فعلا؟

صمت جدي قليلا وأخبرت أنه لا يريد أن يجيب الآن فقال:

كأنه يستعد عن السؤال:

- لقد أنهكتني أحكمي كثيرا. واننا تريدان أن تعرفا كل
التفاصيل المرفقة في نص الجلسة. لا بد أن أشرب المغات.

فهمنا أنه يريد أن ينهي الجلسة الآن رغم قصرها فقلت:

- سأتيك بكوب كبير يا جدي.

استيقظت صباحًا وكان هدوء لا اعتاده يحيم على البيت،
تذكرت أنهم جميعًا بالخارج، فتأملت كثيرًا أملًا في استكمال يومي،
لكن خيوط أشعة الشمس المتناثرة الهاربة من تحت الستائر كانت
تعلن عن وضوح النهار، ونحني على النهوض، فررت أن أتجاهلها
وأغفو قليلًا، لكن دققت جرس الباب والطرق المستمر عليه فانا
لها رأيًا آخر، وتذكرت تعليقات أمي لاستكمال الأعمال المنزلية،
فمضت على مضطر قبل عودتها من السوق.

وقفت أترجح لا أقوم شيئًا، ربما لأن يومي يكاد ينقطعًا ففعلنا
بالكراسيس والأشخاص الغريبة، طرقت الباب والجراس لا ينقطع.

- حافس، حافس.
فتحت الباب فوجدت صبيًا صغيرًا يبدو شقيًا يحمل الكثير
من الخضروات والفاكهة وقال:

- أنت أم صابر أرسلت هذه.

القي ما معه على الأرض وهرول على الدرج قبل أن أنطق
بكلمة، فأدخلتها المطبخ وأغلقت الباب، أنا فقط أريد أن أسقي،
أصلي لأبدأ يومي، وما إن اقتربت من الحمام حتى عاد الطرق مرة
أخرى.. لا بُدَّ أن أبي قد أرسل السمك. ذهبت لأجيب الطارق
والأنازلت أتألم.. فتحت الباب وأنا أعول مُضطًا.

- شكرًا.. ضع كل الأشياء هنا.

لكني لم أجد أحدًا.. فتحت عيني بصعوبة، فلم يكن هناك
أحد.. هذا الطفل الشقي يتسلل.. يا إلهي، أغلقت الباب وقبل أن

أصل لمُتَصف غرفة الاستقبال رنة الجرس في إلحاح! زاد الطُرق
وتوالى في حدة! لقد أفاقني هذا الطفل اللعين... لم أُمسك به
ساحبه هنا حتى تعود أمي... صحت في حدة:
- سألقنك درسًا قاسيًا.

فُتحت الباب بسرعة فلم أجد أحدًا! لا به حدة! مكبت
عند الدرج لا يوجد أحدًا! لم يستطع أحد هبوط الدرج في هذا
الوقت، السريع بين طُرق الباب وفتحه! هل يغشني؟ قد يكون الغش؟
أقول أحد أفراد العائلة موردحاي؟! لكن لما لم يحدث أمر مماثل
من قبل!

دخلت بسرعة وأغلقت الباب، وكُنت بحالة الدقائق أنتظر
تكرار الأمر فلم يحدث شيء.

جلست لدقائق أخرى ولا شيء، لكن أنتظر تكرار هذه السخافة
طيلة اليوم، لأخذ من تنفيذ تعليمات أمي، قُمت بسرعة إلى الخُمام
وعندها.. رنة الجرس رنة واحدة طويلة، الطفل اللعين لم يروح
إسبغه عن الجرس، والطُرق أصبح عتيقًا بالنسبة لطفل صغير!

رجعت على أطراف أصابعي وتواريت بجانب مُراعاة الباب
الترجائية، كي لا يرقى الطفل خيال قهره، رأيت ظلًا خلف
الزجاج! هذا ليس ظل طفل! الساعة اللعينة تدق مرتين، الطُرق
يرفاد حتى نحسب أن يتلق الجرس.. انتظرت لحظات وفتحت
بسرعة شديدة لأفاجأ.. توقفت الأصوات ولم أجد أحدًا! عندها
تب الخوف في قلبي ولم أجرؤ على استكشاف الدرج ثانية، أغلقت

الباب ثم أحكمت الترباس جيداً.

بسمت وتوجهت إلى الحمام وأنا أتساءل: «أيدق الجرس من
نفسه كل هذا؟»، وفي طريقي لحث كتلة ضبابية غريبة مشكومة عند
أخر الطريقة، كتلة سوداء لم تشكل بعداً.

دب الرعب في قلبي... وأخذت نفسي تساورني بالأمثلة
المرعبة... هل هذه الكتلة من طوق الباب؟ إذا كانت هذه الكتلة
أحد الزائرين لمؤامراتي رغم حقوقي أن أعرف سبب زيارتها.

سليت أحدها في ظلامهم من تحت حائط البيت بتظار إلى
يُخرج عنه، اقتربت فحسبت رؤيتها بهزيمتي بعد قليل رأيت
طفل المدرسة الذي جاء من قبل... تحرك وهو جالس على أحد
المقاعد... ثم أحداً يسكني بحرقه! هذه المرة أخافني بشكل شديد،
رغم حقوقي اقتربت منه في توحش... شعري اقترب فالتفت فجأة
والتفت إلى وعيناه تملأهما الدموع، اشتقت عليه وقلت في نبرة
مرثية:

- أنت...؟! هل أنت...

وخائني الكلام فحاولت أن أجمعه بصعوبة وقابعت

- هل أنت من طرقت الباب؟ لماذا تكرهني يا... لم أعرف

اسمك... ما اسمك؟

جفت الطقل دموعه ونظر إلى الأرض قليلاً ثم قال:

- تقول أمي إني سأترك كل شيء هنا.

- تترك كل شيء!

- سنتقل إلى مكان أكثر أمنًا.

- ومن هي أمك؟ هل هي معك الآن؟

بدأ خوفي منه يتشع فأخرج الطفل صورة من حيبه. نظرت
للمصور وقلت:

- هل هذه عائلتك؟

أرما بالإيجاب، حدثت في الصورة فرجعت الرجل الذي
رأيت في مطبخ العمارة من قبل، رأيت مع امرأة وبسها جميعاً سألته
مدهشة:

- والدك؟

- أجدادي وأبي.

ثم أخرج صورة أخرى لرجل وامرأة.. وهذا الطفل العجيب
في المنتصف إنه الرجل الذي رأيت عندما رأيت عملية الولادة في
طرفة أيرافقلت وقد بدأت ارتعش ثانية:

- لا بد أنهما والدك..

لوما الطفل بالإيجاب وتبدلت ملامحه فجأة إلى كيان شيطاني
مريب! ابتعدت عنه صارخة ورجعت إلى الخلف وما زلت أنظر
إليه، بدا غاضباً جداً، هو يقترب مني على قدر ابتعادي، أخذ يردد
عاصباً:

- أنا لا أحبك.. لا أحبك.

فرغمت وأخذت أصرخ طويلاً.. ثم بدأت أذكر نفسي أنه
طفل سبزل، وأنه كل ما أراه ليس حقيقياً، هذه كوابيس يقطنني..

ثم تذكرت تصانح أمي إذا ما رأيت أطباقاً غريبة.. أغمضت عيني
وقلت بصوت عالٍ:

- «وبعد أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن
محضرونها».

ثم نظرت إليه.. خرقف فجأة وتشتتت أطرافه ثم تبدلت
سرعة إلى انزعاف واجتمعت حوله بالسواد وإذا عليه أنه يُصارع
شيئاً لا أراه.. فرددت:

- الله أكبر الله أكبر

أمسك يرقبه وبدأ ينظر إلى أهل وكأله لا يستطيع أن يتنفس..
حينئذ أن يعثر في البيت في حين أنني لا أعرفي هل هو من
الأحياء بالأحاسيس؟ أم ماذا؟.. تسمرت مكاناً أنظر إليه وهو
يرتحف وينظر إلى الأهل في حلق.. مرت لحظات طويلة صعبة
ومرهقة، إلى أن رأيت الأسوأ...

مال برأسه إلى الأمام وتقيأ شيئاً أحمر لزجاً رائحته مقززة!
وتلاشت الكتلة كما تشكلت أول مرة!

نظرت حولي اتفحص المكان.. لا رجوة له! بحثت في باقي
الشقة مُدهشة قلم أحد شيئاً.. حدث الله أنه ذهب، لكنني رجعت
إلى هذا السائل العفن وذلك حادثة أن أقرب منه.. أعلم أنني حينها
سأنظفه لا محالة، فتحت متائر الشقة وبكيت بشدة بعد أن غمر
الغور وجهي.. جفقت دموعي غير مصدقة لما حدث.

بعد دقائق دنّ حرس الباب وسمعت طرْقاً عفيفاً لن افتح

فأنا لم أتمالك أعصابي بعد، استمر الطرْق وأنا جالسة أنتظر ماذا
يحدث؟ ربما في تحدٍّ وشجاعة الآن.. ثم سمعت صوتًا وكان
أحدًا يريد أن يفتح الباب من الخارج! اقتربت من الشراعة
الزجاجية وجدت ظلاً كبيرًا.. بل ظلين!

هروئت من حدث أثبت ومبقتني دموعي، شعرت حينها
بالغرفة في بصرى ودعوت الله بالتحقق، ثم سمعت صوت أمي وهذه
بالخارج.. شعرت مكان الفرحه والشك يسريان في كدمي
الدم، مشيت إلى الباب وأنا أخذت استمع من الصوت بالخارج



- ربما نائبة يا أمي
- لقد أوشك أذان الظهر

فتحت الباب بسرعة ورايت أمي وهذه ضالت متاء
- صحي النوم.

دخلت لكن أمي تفحصني قائلة:

- ألم تستقضي بعد؟ وما هذه الرائحة العفنة! لم تكن موجودة

في الصباح! هل أثمت أعمال البيت؟

أومأت بالنفي وأسرعت إلى مكان السائل الآخر فلم أجده

أقرا! لكن الرائحة لا تزال موجودة!



أنهى جدي صلاة الصبح وجلس يسبح وينظر جلال في
البيكوات الجميع في أعمالهم وأمي تلهيك في طهي القثيق من
الأطعمة في المطبخ، فأخبرني وأزواجي جميعاً بأننا لن نطعم
هشوزاء قطفص قطفص، وثأ جرس الباب وها صوت أسي
المعتاد من حيث تكون



- الباب يا حياة.

- حاضر حاضر ONE

لم أفتح شراعة الباب لأعلم من بالخارج، كنت أعلم نسفاً
أله جلال، وقتت لحظات خلف الباب أسوي متدامي وأصلح
حاصلات شعري وأقرص وجتي ليزدادوا احمراراً استقمت
وفحت الباب وكأني لا أنتظرو، لكنني وجدت السيدة بونتا زوجة
✦ حارنا السيد يوسف مودة خاي تحمل طبقاً كبيراً وتبسم لي

- سعيدة يا حياة، الست وذاذ مودة؟

- سعيدة يا أيلة، تقصلي

صوت أسي يجلجل:

- مين يا حياة؟

أبلغت أسي بوجودها فعددت حاجيها وخلعت مربلة المطبخ

وخرجت في استقبالها مُرَجَّة:

- يا أمّنا وسهلاً يا ست يونا، تقضي.. خطوة عزيزة،
استمت السيدة يونا ومذّت يدها إلى أمي تسلم عليها
وتعطيها الطبق قائلة:

- تسلمين يا ست يونا.

نظرت أمي إلى ما أحضرت وظهرت عليها الفجأة أن الحفل،
أحدث بها الطير وقالت:

- ليس له لزوم الشعب أبداً.

- لا يوجد بيتاً تمّ بناه وفاداً هذا يوم فطير.

ذهبت السيدة أمي وحذقت في وجهها وسألت:

- التحفلون في يوم عاشوراء؟

- ونصومه أيضاً. فقد نجا الله فيه نبيه موسى من فرعون.

ساد الصمت في ظل اندماش أمي فأرادت السيدة أن تعبر

بحر الحديث:

- حقيقة أنا في شدة الحرج لأنني لم أبارك زواج صابر وخطبة

لها.

- مباركتك وصلت يا حبيتي.. لقد أخذ صابر شقة شاذلاً،

والله لقد كان فرح صابر محمداً للغاية، لم يشأ وزوجه أعمال أنا يقينا

حسلاً كبيراً.. القهوة يا حياة.

- لا داعي للقهوة، زوجي يوسف على وصول.. كل غام

وأشم طيبون.. لا بد أن أذهب الآن وسوف أبارك لها في زيارة

ثانية.. سلامي إلى صابر وزوجته.

- يصل سلامك لكن هذا لا يصح، الشاي يا حياة.

- لا والله يا ست، ودا.. ساحبتي هذه المرة.. فقد تركت

الطعام على النار كما أن قاتيل ابني وزوجته هنا لمشاركنا اليوم.

- حرك هذه المرة لن نحب.. لكني سأنتظرك قريباً.

بالمشيئة ناست ودا.

كان سلامك أمي فحق المرء ولم أعلم هل تقبل أمي وجودة اليهم.

أم تكون هم كرامة رقيقة وكيف تعرف أن عطفهم رطحي ليمت
صبرية؟

عادت أمي إلى المطبخ ورأت حرس الباب فتحده شاردة، كان

جلال هذه المرة فلم أحيه كما أردت أول مرة فقال يا ست!

- سعيدة.

- أهلاً جلال.. جدي ينتظرنا بالداخل.

دخلنا عليه وقد لاحظ جدي ما بدا علي من شروده فلم أنمهل

حتى أسأله لاحقاً:

- كانت السيدة يوننا عندنا منذ قليل.

- علمت.

- هل سمعت حديث أمي معها؟

- نعم.

- لم أعهد على أمي النفاق أبداً.

- لم تنافق أمك يا حياة، السيدة يوننا من أرقى سيدات الحارة

وعاليتها على خلق، كما أنها وزوجها عاشا ثلثي عمرهما في مصر،
فإنبال إنهما ولد بمصر وكذلك زوجته، ماذا تريدان من أمك أن
تفعل؟ تضربها مثلاً؟

— يا جدي لا أعلم، لقد احترت.. لا أفهم شيئاً.. بعد كل ما

تسرده عليّ.

قال لبال

— أله أيضاً في حيرة يا جدي

ترك جدي سبحة وقال في هدوء

— ساردينيا.. أشد طراوة قصة سيد موسى ومسلح هارون؟

استدكران القطة التي ملة من بني اسرائيل

لكن..

— هذا هو حال اليوم أيضاً، فلا ينبغي لنا أن نأخذ الصالح مع

الطالح، هذه ليست سياحة الإسلام.. وعائلة مودة حاي جبران لم

يأذوا أحداً قط، أنا أصدق أن منهم من يستحق الاحترام، وإن

كانت قلة عددهم قلما رؤيتهم

ساد الضمت والتفكر فيما يقول قارنف:

— حساً.. تتفهمون في نهاية الحكاية.. العودة إلى عام ١٩٣٦

ويعرف أنيكم الشهيد في مصر من رواية أخرى، في أبريل ١٩٣٦

توفي الملك فؤاد، ملك مصر وسيد التوبة وكردفان وفارقور..

وكان ابنه فاروق آنذاك بعمر السادسة عشرة.. يلخص العلوم

العسكرية في بريطانيا وفي مايو ١٩٣٦ عُص الملك فاروق

ملكاً على البلاد خلفاً لوالده، وفقاً لنظام توارث عرش المملكة المصرية في بيت «محمد علي» والذي وضعه الملك فؤاد بالتفاهم مع الإنجليز، ونظراً لصغر سنه كانت له هيئة وصاية للعرش حتى يبلغ سن الرشد في الثامنة عشرة، وبناء عليه جاءت معاهدة ١٩٢٢ بين مصر وبريطانيا التي كانت تحمل في عنوانها «استقلال مصر» إلا أنها كانت تحمل أروع السيادة البريطانية على مصر والسودان، وهو ما اضطر وزارة التحاسين باشا للدخول في مفاوضات كثيرة مع مصر مع بريطانيا، فاضطر التحاسين باشا لإعلانها في عام ١٩٥٠ وليستعمل النضال في مصر من أجل الحرية مرة أخرى.

قال جلال:-
 - بريطانيا كالعامة... أساس كل الشر في كل مرة.
 - الدول العظمى تاريخها استعماري، أهدافها الحصول على خيرات العالم وليذهب الآخرون إلى الجحيم أودفت:

- يا لها من ثلاثيات مليئة بالأحداث.
 - آيت الثلاثيات أن تترك العالم في سلام، فقد قامت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩.

قال جلال:-
 - أقنى أن تأتي حقبة الأربعينيات بالحسين.
 - في مصر وفي بداية الأربعينيات كان الملك فاروق رعيًا طبعًا.

أردف جلال مندهشاً:

- وكيف تقوم ثورة على رعيم شعبي؟

- لأن الشعب كان ضد الإنجليز من أجل الاستقلال والملك أيضاً.

- وماذا حدث؟

- كان هناك صراعاً في السن والخبرة، واستقلت برلمانياً

مداً حينئذ في جميع مصالحها، والعليل القريب على ذلك هو حصار

القوات البريطانية لملك في احادنة قصر طابدين في عام ١٩١٢

واجباراً على تشكيل حكومة رعيم حزب الوفد الحامس باشا أو

يسأول عن العرش

- نعم يا جلدي.. كانت أثناء الحزب العالي الثانية وكانت

القوات الألمانية بقيادة الروماني في العلمين وكان الموقف العسكري

خطيراً على مصر.

- بالضبط يا جلال.. لذلك كان لا بُد من تشكيل وزارة

لم يمس عنها غالبية الشعب وتحظى بتأييد الغالبية، وتكون حريصة

على الولاء لمعاهدة ١٩٣٦ وتكون قادرة على تنفيذها.

- هذا يجعلني أتساءل: هل توأمتي التحامس باشا مع الإنجليز؟

- الأوضح وفيها قالت تقتضي ضرورة أن تمسك العصا من

المصنف أحياناً.. وهذا شيء يتناق مع فكر الحرية.

أردفت في حيرة:

- وهل للملك فاروق من مواقف ضد الإنجليز أو الصهيونية

يا جدي؟

- في الثامن والعشرين من مايو عام ١٩٤٦ عقد الملك فاروق قمة «مؤتمر أنشاص»، وهو الاجتماع الأول للملك العرب وأمرائهم ووزرائهم وحضره كل من مصر، الأردن، السعودية، اليمن، لبنان، العراق وسوريا.

- وماذا فعلوا؟

لم يصدر عن مؤتمر القمة بيان نهائي، وإنما مجموعة من القرارات على مساعدة الشعوب العربية المستعمرة على نيل استقلالها، قضية فلسطين هي قلب القضايا القومية، باعتبارها قطراً لا يتصل عن باقي الأقطار العربية، ضرورة الإفراج أمام الصهيونية، باعتبارها خطراً لا يدهم فلسطين وحدها وإنما جميع البلاد العربية والإسلامية.

دعا كذلك إلى وقف الهجرة اليهودية وقتاً تأتياً، ومنع تهريب الأراضي العربية إلى أيدي الصهاينة، والعمل على تحقيق استقلال فلسطين، واعتبار أي سياسة عدوانية موجهة ضد فلسطين تأخذ بها حكومتا أمريكا وبريطانيا هي سياسة عدوانية تجاه كافة دول جامعة العربية، الدفاع عن كيان فلسطين في حالة الاعتداء عليه، مساعدة عرب فلسطين بالمال، وتكثيف الوسائل الممكنة، ضرورة حصول طوائف العرب على الاستقلال والعمل على إنهاء الشعوب العربية وترقية مستواها الثقافي والمادي، لتمكينها من مواجهة أي اعتداء صهيوني داهم. وقد كان هناك في مصر بالتوازي مع هذا تنظيمات مدنية سرية يشارك فيها بعض ضباط الجيش ضد

الإنجليز في الأربعينيات.

قال جلال وعلاقات الدهشة تستحوذ عليه :

- لو أنهم فعلوا نصف ما جاء في مؤتمر أنشاص لكانت للمعلم
خريطة أخرى الآن.

- للمخرج وحصلت نظري مغايرة دوقا.

- لكن ماذا حدث للبردي في مصر يا جدي؟

- في ١٩٤٧ بريطانيا أعلنت تقسيم فلسطين.

- التقسيم بمثابة تحجيم في القلب لكل من يطمح إلى أولاد

مزارع حارم وشاوردة؟

- في نفس السنة تزوج أبي حبيب من فتاة لعائلة مرموقة

ومر في عصر الفلكلور، وكان قد اشتهر بجمعة النساء ومزوجة عن

الزواج، إلا أن إلحاح أبويه وجمال العروس جعلاه يفكر في الأمر

حتى حدث.

- وهارون؟

- هارون كان مسالماً محباً لوالديه كوالده داوود، فقد نشأ في

مخروف مختلفة تماماً عن والده، لم يذق فيها طعم الشقاء، فكان

يعمل من أجل المال والمتعة، وورث تجارة الذهب عن والده

والشغل بها، لكن أبويه كان يشغل داوود كثيراً ويبحث له

من عروس مناسبة.

هنا سمعنا صوت بداخل الشقة وصاحت أمي :

- يا حياقة. حان أذان المغرب وانحزبتك جميعاً هنا. ماعدي

هنا في إعداد المائدة.

ابتسم جدي وقال:

- الحمد لله.. لأول مرة تنقضي ودا.. هيا يا حياة اتعدي
الطعام بسرعة.. لقد اتعبني الحكي وجعلني أشعر بالجوع.
ثم تابع حلال ضاحكًا:

- لن نذهب لشاوي وأنسة.. شاوي البط والحشي
والعاشوراء موتيا يا حلال..

أردت في إصرار:

- طبعًا لن يذهب لأني مكان.. شاوي مع
حيها المحبة ينظر إلي في معادة.

● ● ● ONE PIECE



BOOKS



يناير ١٩٦٧

كان لي شهود اليروقة. وبعد العشاء مباشرة جلس جلال
 في المطبخ مع جدي أمام شواية أشعلها الفحم الشواء (أبو طروقة)
 الذي أحضره جدي. لم يده بحه له وليساعدنا على تحميل برء
 يدبر القارس. أصبح جلال وسقنا ناصحنا في المسبة النهائية بكلمة
 المجازة. لم يده بفاتح جدي بعد التخرج في أسبوع جدي
 نظر جلال إلى وغياه قملهاها البعوض مع يد طلي ايض كبر
 من الصباح وقال ONE PIECE

- فلساعدني قليلا حتى المخرج من شواء كل هذا ليكمل
 جدي حكايته .. أم إنك متفرجة؟

- كيف أساعدك وكل ما تفعله هو وضع أبو طروقة على النار
 ولم يده ينضج؟

قال جدي:

- كفأ عن المجادلة الآن فالوقت يم سريعا

قاطعت:

- أعز ما نملك:

- حقاً.. سوف أبدأ الحكيم أثناء الشواء، لم يتبق الكثير حتى

نصل إلى سنواتنا هذه.

أردفت:

- لقد تعلمنا وتعلمنا الكثير عبر سنوات حكاك يا جدي.

تنهد جدي وقال:

- ومع ذلك لم أحك كل شيء، ولن أستطيع، الكواكبي بها
التحيز والتاريخ، بكل كل شيء، ونحن نكتشف أجدالاً، نكتشف
عنها الغطاء، بعد سنوات بعيدة، وسوف يرسل وتأتي أحوال جديدة
نكتشف أشياء تحدث الآن لا نعلمها نحن.. هذا حال الدنيا،
قال جلال وما زال يشوي ما أمامه.

- ظهيداً يا جدي الآن قبل أن يرداه الجو برودة، وبها نأكل
الكسمن بالداخل لتتدفأ.

- بعد دعوة الملك فاروق لوزعم أنشاص وفي مايو ١٩٤٨ دخل
الجيش المصري والسوري والأردني والعراقي واليمن والسوداني
والبثاني بتطويع فلسطين من أجل استردادها.

صاح جلال:

- لا أصدق... حرب؟

- نعم، كانت أول حرب عربية متحلة ضد الصهاينة، لكنها
غير محسوبة، فعند جوع الجيوش العربية من أربعين خمسة وأربعين
الف فقط وغير مدربين. في ذلك الوقت كانت جيوش عملية نظامية
للأمن الداخلي وليست جيوش حروب، أما عند الجيش الإسرائيلي
فكان مائة ألف جندي مدرب، بالرغم أن أعدادهم وقتها كان لا
يتجاوز ٤٠٠ ألف.

- كيف هذا؟

- لأنهم يشعرون الخوفا، أي يهودي يكون مُحارَبًا، وكان عندهم خبرة الحرب.

- ومن أين جاءتهم الخبرة؟

- لأنهم أرسلوا لواء جيش حارب مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، فنقلهم معه إلى المواجهة اليهودية، بجانب قوى الاحتلال الإنجليزي في مصر والقوات في الشعوب العربية، التأييد الدولي لقيام الدولة اليهودية من قبل الدول العظمى، حتى إن الطيران الإنجليزي استقطب خمس طائرات مصرية في هذه الحرب.

ONE PAGE
- هذا العام ظالم..

- إلى أقصى حد. النظام اليهودي وقتها كان يدخل قرية مابيع أكبر عدد من أهلها، فتخاف القرى المجاورة وترحل العائلات خوفًا على أبنائها من المذابح، أدى كل ذلك إلى هزيمة العرب في ١٩٤٨.

- تذكرت.. لقد سمعت آبي يقول إن الأسلحة كانت فاسدة. هذا ما تردد عند العامة، ولا تستطيع أن تحمل المريعة إلى قضية الأسلحة الفاسدة لأنها كانت حالات فردية ثم المبالغة فيها، الحقيقة أننا لم نكن مستعدين، فسبّطت الوكالة اليهودية على فلسطين وقبضت المهاجرة بيوتهم.

كنت أمك بالطلق وجلال يضع قطع «أبو فروة» الناصح

من النار، لم يتبه جلال فاحترق بعضه فقال جدي وهو يشر إلى
الشواء:

- لا بُدَّ أن تحترق حتى لا يصيح نعيك ووقتك هباءً منثورًا،
كان الشيطان لإسحق راين، هو أحد مخططي ومُنْغِذِي عملية
ترحيل العاطلين التي نُفذتها الحركة الصهيونية في القدس، فطرد
وشره حتى قوى على الساحل تحت أنظار الجنود البريطانيين بناءً
على تعليمات بنجاردويله بنهاية يولية كان قد طرد أكثر من ٤٠٠
الف فلسطيني، ولا بدوني أن أبقى وأباه حليم غيرا المناصرين
للصهيونية وإلشاء الرئيل اليهودي. والذين أصبحوا من أعلام
إسرائيل وقتها، لم يفتهم أن يشر كما مع راين بل هذا العمل الإرهابي،
وانجب لي في نفس السنة أينا أسماه إسحق يعمًا بإسحق واين.
- لعنهم الله جميعًا. لكن ماذا عن مصر يا جدي، وماذا عن
عائلة داود عزرا؟

- تم إعلان الأحكام العرفية في مصر، وبدأ البوليس السياسي
بالقبض على اليهود والصهاينة تحت مسمى الطائفة الإسرائيلية في
مصر. مكثت بداية فرار اليهود من مصر، وليس كل اليهود، أما
هارون فقد اختار فناء يهودية من أرقى اليهود بمصر في أواخر العام
١٩٤٨ ونزولها بمباركة داود وإشراقة.

نظرت إلى الطبق وقد امتلأ عن آخره وزجاج يتأير قد امتلئت
علينا فقلت لها:

- لا أريد أن أكله باردًا كما أن البرد قد بدأ يعلن عن وجوده.

هل لنا أن تكمل بعد أن تأكله؟

قال جلال:

- تأكله ولا بد أن أنام لأصافر في الصباح الباكر إلى الكلية، ثم تكمل الجامعة القادمة في إجازتي يا حدي.. لكني أريد أن أعرف هل تقيت أحبات صديقة الأربعينيات؟

- مات داوود حنرا في مايو في ١٩٥٩ بمصر الصالحة والخمس من عمره. أراد أريد حليم أن يأخذ حثائه لينهي في فلسطين المحتلة، لكنه دفن في مصر حليم وحبيبته وعاشت زوجته مع ابنتها الحازنك وزوجته بعد أن ألبسها إمبراطور في مصر العام. وبعد شهرين فلال لم تتجاوز هذه زمين تحمل المعرفة، الأمر الذي جعلها تسوق في محب زوجة داوود.

- وماذا حدث بعدها؟

- تكمل الحكاية قريباً...

ارتدت فستاناً أحمر واسعاً بجذع حصري جيد، جعلني أبدو
مثل وردة مفتحة، كانت العاطفة يأكلها قد استعدت لزيارة أسرة
جلال كمعادة الأسرتين كل فترة، يتجهلان حل العشاء أو العشاء
بالبال، وقفت أمام المראה أنفخص الفنان الذي صممت لي والدته
تعاين صديقتي: إنها حقاً ماهرة، وفي إعجابها نظرتني أمي وقالت:
- عروسة كالقمر يا حبيبي، لا يجعلها مناجاة النصب.

جئت الأسرتين في منزل جلال بعد عشاء فخم أعدته
والدته بمساعدة مبروكة، مجتمعين حول التلفزيون يشاهدون
فيلم صغيرة على الخبء للمشكلة «سعاد حسي» والممثل «وشدي
أراطة»، يضحكون ويتحدثون في أمور شتى، كانت مبروكة تعد
الشاي في المطبخ بينما طلبت أمي قهوتها شتى، وكنت أراقب جلال
في استحياء خوفاً أن يلحظني أحد، ذهبت مبروكة بصنية الشاي
الكبيرة وأنا أعد القهوة، وفجأة جاء جلال يقول:

- هل لي أم، أطلب أيضاً قهوتي منك؟

تظنرت له فرجده، يتفحصني في ردة وشوقي شديدين، هل ما
أشعر به حقيقي؟ قلت في جراءة:
- أنت تتبعني؟

دخل وبدأ يعد قهوته بنفسه وقال:

- غير صحيح.

نظرت له غاضبة فضحك واستطرد:

- حسناً، ولم لا أتبعك؟

- ولماذا تسمى؟

أبسم وقال:

- ربما تعرفين لاحقاً..

- أتتبع نبات الكلية أيضاً؟

ضحك بشدة وقال:

- أريد تعلمين الحقيقة في قرارة نفسك..

تلاقت أحياناً اللحظات أحسهم خارج الزمن، فميت لو أن

تكون بمفردينا فيروح بكل شيء، ويكون هو صاحب النصب
الذي تقصده أمني، حاول أن يشتد ذهني فقال:

- أريدك أن تكوني أول من يعلم شيء هام.

خفت قلبي ونجح في تشتيت ذهني بجدارية وتعلق بما سيقول..

أبسم ابتسامة واسعة وأكمل:

- سوف أطلع للمخدمة في الحيش عقب تخرجي مباشرة

- ماذا؟

صرحت كلمتي بما يضيئ به صدري.. هذا التطوع سيزيد من

انخطاري وأنا بالكاد أنعرق شوقاً ليوم تخرجي ولخطبتنا.. لم أدر ماذا

أقول لكنه فعل:

- أراك واجهة! حسبتك ستفخرين بي!

تلعثمت وباحت عيناى بحيرتى:

- أنا أفتخر بك فى كل الأحوال.

اقترب قليلاً وثبت عشاء فى عيني حتى شعرت أنه احترق

أو تكارى قلما وقال:

حيلة.. أنا أريد أن أحيى عزاء الروح حياً والحب أطفالاً

أحراراً.. هل تساعدنى؟

قارت قهزتى، وأرتبكت.. وسلمت صدوت أمي وأبائى:

- كل هذا الوقت من أجل قلاح قهوة؟ هنا أقمي

وساعده أنا.

أخرجت من الطبخ أعرفى ولا أرى أحداً من هذا الجمع،

ذهبت إلى جدي فى البيتكون ووقفت أمامه اتسم فى يلاهة..

لمحصى جدي ونظر إلى الداخل فلم يجد جلال بين المجالين

فاسم وقال:

- أين جلال؟

- بعد قهزته بالطبخ.

- ولماذا لم تعدها مبروكة.. أو تعدها يدك المرتعشة هذه.

نظرت إلى يدي وأمسكتها فارتعش صوتي:

- كنت أعد قهوة أمي ووجدته.. أقصد ووجدنى.

قاطعنى جدي قائلاً:

- قولى لجلال إننى أريده، وعوضي فى ثوانى

فعلت وأحضرت مبروكة الغائبة والحلوى وجلست بينهم،
سواء كنت مع جدي وجلال في الملكون، انسم جدي لجلال في
دهاء وقال:

- أراك قد أحيت القهوة؟

نصح جلال حجاباً ونظر للأرض

«نعم يا جدي»

نظر جدي إلى وضائفت عليه فتحببت وقال لجلال:

- جميل... دقاتها الآن، سوف أطلعهم على أسرار صنع

المهوية لاحقاً وجسد، الأمر يكمل حكايتك.

قال جلال وكأنه وجد مخرجاً للخروج

- أرجوك يا جدي.

- وصلنا لفترة الخمسينيات، عندما كنتم أطفالاً صغاراً، الآن

وقد كنتم لتعرف شيئاً مما دار فيها، دعوني أبدأ بـ زوجة داوود التي

لم يعجبها العيش في مصر بعد كل هذه الأحداث خاصة بعد موت

داوود، فرحلت مع أهلها إلى فرنسا بعد أن رفض ابنها هاوود ترك

مصر في عام ١٩٥٠.

- وبدأت حقبة الخمسينيات بالثورة.

- نعم... قامت الثورة المصرية في ٢٢ يوليو ١٩٥٢ بقيادة

الضباط الأحرار وخلعت الملك من الحكم، وتولى «محمد نجيب»

الرئاسة، ووزع «عبد الناصر» الأراضي على الفلاحين في هذا العام،

وأعيد ترتيب المشهد العالمي من جديد، فلم يعد هناك ملك يطعم

أوامر بريطانية، بل رئيس شعبي خطط مع زملائه لنزول لجمعت،
نظر جدي لنا فلم يجد أمثلة فأكمل:

- كانت سنة ١٩٥٤ مليحة بالأحداث، ففي يونيو فارقت
المفاوضات المصرية البريطانية على الانتهاء، بشأن السحاب
القوات البريطانية من قناة السويس، الأمر الذي زاد من المحلوف
الإسرائيلية بتعزيز الجيش المصري من استخدام معسكرات
ومطارات الجيش البريطاني المتروكة في شبه جزيرة سيناء وغيرها،
وهذا بحث أجهزة المخابرات العسكرية الأمر اليلية إمكانيات
عرقلة هذا الانسحاب من خلال تعمل خطة إرملية يهودية
مصرية، المتخرب في مفاوضات بريطانية وألمانية وقصالح عربية
في مصر والإيعاز بأن هذه العمليات تمت من قبل خطة مصرية،
وقد نجحت الخلية التي ضمت ١٢ يهودي صهيوني مصري من
الإسكندرية، بتنفيذ عدة عمليات إلى أن قبض عليها في يوليو
١٩٥٤ وتم تقديمهم للمحاكمة، وعلى الخالب الإسرائيلي كان
صدي الفضيحة مدوناً نظراً لتأثير فشلها على الصعيد السياسي
والعسكري والاستخباراتي، ونتجت عنها أزمات سياسية بعيدة
الأمَد بين القيادات، وأدت المطالبات داخلية بكشف المسؤولين
عن هذه العملية وقائدها، سميت في مصر «فضيحة لافون» وفي
إسرائيل «قضية العار».

- يالها من سنة..

- تم توقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ بعد مفاوضات

مصرية بريطانية وافقتها مقاومة شعبية شرسة للقوات الإنجليزية بالقناة، وتم إجلاء البريطانيين بالكامل عن مصر في غضون شهرين من توقيع الاتفاقية، فيما بدأت علاقة عبد الناصر مع الدول الغربية في تلك الفترة جيدة، خاصة مع موافقة البنك الدولي بدعم أمريكي بريطاني على منح مصر قرضًا لتمويل مشروع السد العالي، الذي كان طمح به عبد الناصر أن يحقق طموح ديمية وصناعية في البلاد. وفي تلك الفترة كانت المناوشات الحدودية مستمرة بشكل متقطع بين الدول العربية وإسرائيل منذ حرب ١٩٤٨، وأعلن عبد الناصر علانية الصريح لإسرائيل وميثاق لخلق على شقيها في قناة السويس وخليج العقبة، فوجدت في إسرائيل متدعيم ترسانتها العسكرية أمن طريق عقد صفقة أسلحة مع فرنسا، فقرر عبد الناصر طلب السلاح من الولايات المتحدة وبريطانيا، إلا أنها ماطلا في التسليم ورفضاء في النهاية معللين ذلك بوضع حد لسباق التسلح بالشرق الأوسط، لم يجد عبد الناصر بديلًا إلا أن يطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي، وهو ما قابله الأخير بالترحيب المتدعيم مرفقه بالمنطقة، فقررت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الرد على الخطوة المصرية، بجانب رفض عبد الناصر الدعوى في مباداة الأحلاف، ورفضه الصلح مع إسرائيل طبقًا لشروط الغرب، كما أقرتها الحطة «القناة» وذلك بوضع خطة جديدة أطلق عليها «أرميجاه» هدفت إلى تحجيم نظام عبد الناصر عبر فرض عقوبات على مصر بحظر المساعدات العسكرية، ومحاولة الوقعة

يسعى ويبحث أصحابها العرب، وتقليص تمويل السد الذي تم إلغاؤه بالكامل في وقت لاحق.

تعتبر أن هذه السة ما زالت تحمل المفاجآت فقلت:

- وماذا بعد في العام ١٩٥٤؟

- مالي نعمه الله ان الثلاثي..

صحت في المقابلة:

- من احتلوا ومروا وامر النيل.

- هو كذلك، لكن حدث ما قبل الغزو الذي حدث في السادس

والعشرين من يوليو. عندما رأى عبد الناصر في تأميم قناة السويس

فرصة الوحيدة للحصول على التمويل اللازم لبناء السد العالي.

وبالفعل أعلن في يوليو ١٩٥٦ قرار التأميم. ومع فشل الضغط

الدبلوماسي على مصر للمعدل عن قرارها، قررت بريطانيا وفرنسا

إسرائيل ووضعت خطة لاستخدام القوة العسكرية ضد مصر أطلقوا

عليها بروتوكول سيزر، أملين بذلك تحقيق مصالحهم من تلك

النصرية، فعلى الصعيد البريطاني كان الهدف الفعلي من عبد الناصر

الذي هذه القوة البريطانية تحقيق الجلاء وتحالف مع الموفيت وأمم

القناة التي ترميها المصالح البريطانية، وعلى الصعيد الفرنسي كانت

فرصة للانتقام من عبد الناصر الذي عماد ثورة الجزائر وأمم القناة

التي كانت تحت إدارة فرنسية، في حين وجدت إسرائيل فرصتها لفتح

الحقائق المحكم على سفنها في قناة السويس وخليج العقبة، وتدمير

القوات المصرية في سبيل التي كانت تشكل تهديدا صريحا لها.

- وجاء العدوان الثلاثي في التاسع والعشرين من أكتوبر

١٩٥٦

- طبقا لبروتوكول سيفرز وفي ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ حبطت قوات إسرائيلية في عمق سيناء واتجهت إلى القناة لاقناع العالم بأن قناة السويس متهتة وفي ٣٠ أكتوبر أصدرت كل من بريطانيا وفرنسا إنذارا يطالب بوقف القتال بين مصر وإسرائيل ويطلب من الطرفين الانسحاب عشرة كيلومترات عن قناة السويس وقبول احتلال تلك القناة بواسطة قوات برحلتهم الفرنسية يعرض حماية الملاحة في القناة، إلا تدخلت فرنسا لتفقد تلك بالقوة.

- أبناء بلقيس

- أعلنت مصر بدورها رفضها احتلال إقليم القناة وفي اليوم التالي ٣١ أكتوبر هاجمت الدولتان مصر وبدأت غاراتها الجوية على القاهرة ومنطقة القناة والإسكندرية. ونظرا لتشتت القوات المصرية بين جبهة سيناء وجبهة القناة وحتى لا تقوم القوات المعتدية بتحريضها وإثباتها أصدر عبد الحاصر أوامره بسحب القوات المصرية من سيناء إلى غرب القناة وبدأ الغزو الأنجلو-فرنسي على مصر من بورسعيد التي تم صهرها بالطائرات والقوات البحرية ثمهدا العمليات الأنجلو-الفرنسية بالطلات.

- وماذا حدث؟

- قاومت المقاومة الشعبية بورسعيد الاحتلال بضراوة واستمال كما تذكران، الأمر الذي حرك العالم ضد القوات

المعتدية، وساندت الدول العربية مصر أمام العدوان وقامت
 بسف أتابيب البرول، وفي ٢ نوفمبر اتخذت الجمعية العامة للأمم
 المتحدة قراراً بوقف القتال، وفي ٣ نوفمبر وجه الاتحاد السوفيتي
 إنذاراً إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، وأعلن عن تصميمه على محو
 العدوان، كما استهجنّت الولايات المتحدة العدوان على مصر،
 فأدى هذا الضغط الدولي إلى وقف التغلغل الإنجليزى القوي،
 وقبول الدولتين وقف إطلاق النار ابتداء من ٧ نوفمبر تلاها
 دخول قوات طوارئ دولية تابعة للأمم المتحدة، وفي ١٩ ديسمبر
 أمر الملك البريطاني من فريق ميلر هيئة قناة السويس بورسعيد،
 تلا ذلك انسحاب القوات الفرنسية والإنجليزية من بورسعيد في
 ٢٢ ديسمبر، وفي ٢٢ ديسمبر تسلمت السلطات المصرية مدينة
 بورسعيد واستردت قناة السويس، وهو التاريخ الذي اتخذته
 محافظة بورسعيد عيداً قومياً لها أطلق عليه «عيد النصر». وفي ١٦
 مارس ١٩٥٧ أتمت القوات الإسرائيلية انسحابها من سيناء
 قال جلال:

- لم أفهم يوماً علاقة مصر بحلم الصهيونية!
- كان حاييم وايزمان يقول دائماً «إن قيام دولة إسرائيل لم يكن
 بعيداً قط عن ضرورات حماية قناة السويس».
- وهل بقي هارون في مصر؟
- قُتل هارون داوود غورا في بورسعيد عام ١٩٥٧، وقيل إن
 القتل تم بغرض السرقة، لكنني أميل إلى تصديق الرواية الشعبية

التي تقول إنه المقاومة الشعبية لم تنق في أي يهودي بعد قضية
لافون، ربما تشككوا في علاقته بالجماعة الصهيونية.. فقد كان
هارون متعدد العلاقات، ربما ظنوه عميلاً لإسرائيل، بعد قتله
مباشرة قُرت زوجته وابنها «إسرائيل» مع أهلها إلى فرنسا، لكنها لم
تتحمل قتل زوجها ظنمت الكحول ومات عام ١٩٥٩. ومات
حاييم ابنه ليقى لياخذ إسرائيل من أجداده لأمه ليكون في حضنته
وليقرب من إسحق ابن عمه ليقى

- وماذا بعد؟ -

- لا شيء. سوى أن إسحق ليقى التحق بالجيش الإسرائيلي مع
أبيه العام الماضي في ١٩٦٦، إنكم ما ولقتم في إخلاص عائلة «عزرا»
للفصائلية، بعد كل ما قدمه الجد حاييم من خدمات مع عائلة
روثيلد والجيش الإسرائيلي في طرد الفلسطينيين من أرضهم.

• • •



BOOKS

أوائل مايو ١٩٦٧

نعم صحيح الهوى غلاب.. ما أعرفش أنا، وأحمر قالوا
مرار وعقاب، واليوم اليوم اليوم بسعة

فرحت لما رأيت جدي مُعطل العين يتأمل في شجر من
وطء مذبذبة الكلمات والثلج، وكأنه يسبح في عالم آخر وهم تأخرو
حالة الصحة في الفترة الأخيرة، فقد كان يفرغ من صوته ومواريثه
من حين لآخر وإحساسي أنني نفسي أن يخلق الله له وألا يصيبه
مكرهه أبداً، جدي هو الملاذ الوحيد الذي أشعر فيه أن عظمي يعمل
وروسي حرة قادرة على التعبير عن مشاعره ما الخجول التي تخفيها
عن جميع الناس، كان يقرأ ما في عيني فأعجز عن إخطائه للأبد،
ويعرف ما يحول بخاطري دون أن أضطر للمحديث عنه، وكنت
أصلحه مفتاح أفكاره دون أن أحتسب توبيخه لي مثلاً تفعل أمي
وأخوتي، ويكفي أنني شاهد على الموعظ قلبي ونظرات الإعجاب
والكهرباء التي سارت في جسدي ثما، جلال لأول مرة
ظلمت أصارع الحزن الذي رغب في التسلل داخلي حتى قطع
جدي عينه وقال محموداً:

- العالم بالكامل في حالة فرضي كبيرة، الجميع يريد فوق
ما يحتاجه والآن ونحن نقرب من منتصف العام ١٩٦٧ وقد

لو شكت على إتمام عامك السابع عشر.. لا أوصيك إلا بمراقبة
الخير في نفسك أولاً يا حياة، أدع الله لك بالنجاة من هذا العالم،
انتابني قلق شديد عليه وسألته:

- لماذا تقول كل هذا الآن؟

- راجعت مع صديقتي ثوبه لأيام لن تعرفها وميراث السن وما
فعلته بنا في راسي كشرط سيئالي، رأيت كل الحجاب أجبرتها الحياة
على حبيبها، وكل لحظة خوف مررتها محسنت عليك من تعلقات
الدنيا وصبر اعانها. لكنني أطمئن لغيره رويك موجة عقلت
التي تفوق سلكي كثير

ارسمت على وجهي ابتسامة عريضة وشرحت للمحظرات
أناضل وق كلتيه وأذكر ما يحدث لي من حين لآخر وما أراه وأحس
صبر، والآن قل من ذلك هو الصراع الذي وضعني فيه جلال لقوه،
وما إن أدركتني نظرات جدي حتى دأبت قائلة:

- ألم تعلم الحرب مائة مرة لأنني كبرت بعدها عمرًا فوق عمري؟

- وسوف ألتها حتى الموت..

♦ جاءت أمي تحمل صينية الشاي بينما يبدو عليها الإرهاق وهي
تقول:

- بعد زواج عايدة ومحمد لم أجد أحسن أحياء بيتي وحدي
يا عمي، حتى هتاء زفافها بات وشيخًا.

نظر جدي إلى نظرة ذات مغزى وأردف:

- لست وحدك يا وداد، عروستنا الأخيرة مارالت معنا حتى الآن.

نظرات أمي عثرت عن نحية أمل كبيرة ولم تعلق، مال جدي إلى وهمس في أذني:

- أين عريسك لم آره منذ فترة؟ أو نسيت... قد يكون في الجامعة، لقد اقتراب تخرجه من الجامعة.

كنت أعلم أن جدي يتمنى لو يطلبني خلال الزواج. انضم إلينا أبي وصابر وبدأ أبي على غير عادته، فلم لجدي كوابس الشيء وقال:

- جاك ابن ميشو توفاه الله اليوم، وميتل بحالة سيئة جدًا.
- لا إله إلا الله لا تبالقدم والحب العلاء، الجدايت واجم مكدنا؟
- لقد باع ميشو المقهى وباع كل شيء! لا أعلم لماذا لم يخبرني بالأمر؟

- متى؟ ومن المشتري؟ وأين يذهب ميشو؟
- لا أعلم تحديدًا كيف ومتى، لكنهم يقولون إن المشتري مناضل مقدسي من فلسطين، شاب يدعى «مراد نظمي»، جاء منذ شهر قليلة، لكنه سرعان ما اكتسب حب الناس وثقتهم، حتى أن صابر توسط لكي تاجر له الثقة بسد خلل العمارة، أما ميشو سوف يهاجر لأقاربه في إسبانيا فلم يعد له أحد بعد موت زوجته في الماضي وأنه الوحيد الآن.

ربت جدي على كتف أبي:

- الرجل مكلوم بموت عائلته، لا تحزن، سوف يعوضك الله خيرًا منها.

كانت أمي تنظر إلى الجدران في قلق حاولت إخفاؤه، إذ يدت
وكانها تبع شيئاً لم لاح عليها التعجب، وإن جرس الباب ففزعني
بشدة وبسملت فقال أبي غاضباً:

- أصبحت تفرعين لأنفاس الأسباب يا واداد! هل ساءت حالتك؟

ارتعش صوت أمي:

- أهدأ! أنا صامتة هرة قليلاً.. الباب يا حياة

أردف صليماً بسرعة:

- نسيبت أن أغير قمم.. جلال ووالدته يستأفنان في الإطمئنان

على حدي بعد وعكته الأخيرة

انضم جدي في ذلكم فطمت لأنفاس الباب تلاقى عني

بحلال المحطات المظلمة، دوماً من الزمن، ترهمني أعلامي كثيراً

ما بين وفضي التخلي عنها وبين تحللان الحياة لي، وكان جلال هو

طمني الأول والأخير

- أهلاً يا عمي.. تفضل،

- أهلاً يا حياة يا بستي.. جئتاً تطمئن على صحة الدكتور الكبير

قام والدي يستقبلها فأردف جدي:

- عمك وحده يتفصل وجلال لا.. أهلاً بكما يا أحباب..

تبادلا التحيات وطلع والد جلال طويروشه الذي ما زال

يملك به كتابي وجدي وجلسا،

- لا أريد إزعاجكم، أنا في راحة لساعات قليلة وأردت أن

أطمئن على الحاج، جلال شديد القلق عليه.. أنتم تعلمون أن الحج

أطال الله عمره بمثابة الجد الوحيد لجلال.

أردف جدي في حنان:

- وهل يستطيع أن يُنكر هذا؟

قام جلال فقيل يد جدي فأردف والده:

- أرايت أم جلال الاطمئنان بشدة لكنها اضطرت للسفر الى

الشرقية للاطمئنان على والدتها أختها.

- خطبها هو وصار يا سيد شاذلي.

عظمى أم والسيد شاذلي يجاذبان أطراف الحديث.

- ومناقاة بعد الإشارة على الأردن في نوفمبر الماضي؟ الآن

سبحون سوريا تشجيع أعمال الفلسطينيين داخل فلسطين! وهل

هذا اتهام؟

- بعد الشكاكات الطيران الإسرائيلية والسوري يا سيد أحمد..

سبح إعلان حالة الطوارئ القصوي وحالة التعبئة العامة قريباً

جداً.. نحن مرتبطون بانصافية الدفاع المشترك مع سوريا.

- يا سيد شاذلي.. أنت تعلم جيداً من خلال رتيك في

مختبرات الحربية، أن جيشاً يعالي من خسائر الأفراد والمعدات

والتوتر وضعف الحالة القتلة للأسلحة والحاضر مستري

التدريب، وهذا كله لا يُخفى على الشعب بعد حرب اليمن في

١٩٦٢ والتي لم ينقض عليها خمس سنوات كاملة.

- بعد قرار قاصر اليوم يغلق مضائق ثيران أمام الملاحة

الإسرائيلية.. ستكون الحرب وشيكة.. لله الأمر من قبل ومن بعد.

كان جدي مُصنَّعًا لها وفي الوقت ذاته يجلس نظرات يني
وبين جلال، كما الخلت أنا و جلال نظرات عبّرت عن الكثير
بداخلنا، حقق قلمي بشدة وأردت أن أجده دون خجل، لكنني
لم أستطع، للحيرة الأولى أشعر أننا قد صرنا شبابًا، قلم أهد الطفلة
التي تمتطي العجينة وراحد.

لكن نظراته بدت مقلقة بعض الشيء « والله يظن أنني وباليه
مشغول بشيء آخر شيء لا يحسن توقعه كالعادة. تغلبت
على شعوري بالتحول وحاولت أن أقوم له بكلمات تعبه يفهمها
ومحاوياً معي، لكنه كان في ملكوت آخر لم ينفذني منه إلا بصوت
أو عذبة والله قائلًا بالمقاسبة.. سيتقدم لنا مكن جديد بشقة
المور الأرضي بدلًا من العبد إل شاء الله.. شاب فلسطيني متاضل
- يا أهلاً وسعلاً به.. هل جاء مع عائلته؟

قال صابر في حاشي:
- لا، بل قام النصهاينة بتجوير عائلته أثناء تهجير القرى..
أناذوهم.. أشعر أنه ترك بالدم بعد فقلهم مثلما فعل ميشو بعدما
فقد أهله.. مرتباً من نزيه الذكريات.

تعاظمت أمني وقالت:
- لا حول ولا قوة إلا بالله.. مسكين

قال والد جلال في اهتمام..
- وماذا عن أسرته الكبيرة؟

- هاجر عائلتهم، الغالية هاجرت، لما علمت أنه من عائلة

كثيرة بالقدس وقد أعطاه أحد أعمامه المقيمين حالياً بالأردن مبلغاً من المال لئلا علم بنية حجته إلى مصر.

- ولماذا لم يبق مع عمه بالأردن؟

- لم أحدثه كثيراً بهذا الشأن لكنه يقول إن الأوضاع في الأردن ليست كما سمعنا، ويقول إنه يوماً ما سيدخل القدس مع الفلسطينيين من مصر ويستقيم لأهلها.. سوف تصونه حيفاً.. لقد أصبحت أصدقاءه هناك أشهر قليلة.



ومعه جلال في حميرة أعرفها وقال:

- أين تعرفت عليه؟

- في حي "البار" مع أحد الأصدقاء.
أدار جلدي قرص الراديو بجانبه وهو يقرب منه مستمعاً..
ولما جاء صوت العود في قسطنطين لم يبدع أشار لنا بهذه لتكف جميعاً عن الكلام، فصحك والد جلال وقال:

- ميعاد الست ثومة.. فتأقنوا لنا في المعاصرة، القلب لا بأس عليك يا حناج.

أصر أبي أنه تناول العشاء جميعاً على أنعام الست.. وقد كانت الأجزاء شهجة، إلا أنني ظلت أرى أثناء العشاء لوحة داوود سوداء على الحائط، وعلينا أغمض عيني وافتحها لا أجدها.. ثم نظرت إلى أمي فوجدتها متعركة لا تكف عن البسمة بينما كان أبي يكظم غيظه.
كنت أنظر سماع كلمات أمي بصوتها الخفيض لعلها تهدئ من روحي وتخرجني من الدائرة التي كانت تضيق عليّ بينهم، أرى

تلك النجمة تسمع وتكبر ويزداد حجمي وكأنها تكاد تسقط على
 رأس أي من الموجودين، وما إن أقترب من الاستسلام لشعوري
 بالدعر حتى تعود لطبيعتها.. ظلمت على تلك الحالة حتى جاءت
 عيني في عين جلال من جديدة.. ورغم قُرب من جلال كأنه فرد من
 العائلة، ورغم كل شيء إلا أن هذه الليلة كانت وليدة لشعري وأكن
 أعلم أنني أكنها لجلال في قرارة نفسي، واطمئنت كذلك: «أولئك التي
 أن يكون صد صري»



BOOKS

منتصف مايو ١٩٦٧

في مستشفى الأسرى رقدت بدر تصرخ على أحد الأسرى أثناء ولادتها الأولى. سرّاً سمعنا أهلها فثاروا وأوحيت به جيعاً، فلما جعل أمي تصرخ لي ووجهي

أغمي الآن لليت وأحضرى حمية الزوجة التي تسبها ويريدني بعض المباشفين. تحدثت لها في عروستي. حياة. أسرى. - حاضر -

اجتمعت العاطلة في الحفرة المشقى تنظر الخمر السعيد ما بين متروكب ولا لبالي. يعلن صوت أمي في وجه الأطباء يتحكم. خرجت من المشفى وعمرت الطريق، مضيت بأسرع ما يمكنني ثم استقلت تاكسي لأساقفة الوقت.

في مدخل العمارة رأيت. شاب وميم، مخطط القامة وشيق، شعره بني كثة قسائه حانق، عينا تتحدثان بالنبابة عنه في جراحة لم اعتدما في أي من شباب الحزب ولا حتى في الشاب الوحيد الذي أعرفه، لا بُدَّ له الشاب الفلسطيني. أسرعت من خطواتي وصعدت درجات قليلة من السلم قهراً الحديث بلمحظة الشاعرية: - لا بُدَّ أنك حياة؟

الثقت له وقد باتت موقعة بالأسفل.

- أنت مراد الساكن الجديد بلا شك.

صعد الدرجات في لحظة ومد يده مُصافحًا فقلت: يتحفظ وتلقائية:

- كيف عرفت أنني حياة؟

فابتسم تلقائيًا من نبرتي الصيانية في السؤال وقال:

- أشار صابر قبل استضافته للتعبير أن جميع أصوات قد
تزوجت وأن هناك قلة اقترنت وأما ما عدا حياة، ولم أجد في
إصبعك ما يشير إلى خطية، إذاً أنت حياة.

لمست في غمض أنفسي ولست صابر طاحلي عن قوله وكانت
أنكر الحقيقة؟ وأردفت على الفور:

- ملاحظ في محلها... بالأمس.

- تفضل.

صعدت بسرعة وأدبرت المفتاح ودخلت الشقة، رائحة غريبة
لم أميزها من قبل لكنني لم أهتم، هرعت إلى غرفة أُمي في آخر
الطريق. ها هي الحقيقة اللعينة، تحت الدواليب لأحضر بعض
الماتشب، وبعد أن أغلقت الحقيقة رادت حدة الرائحة الغريبة،
فشرعت في الخروج من الغرفة لكنني تسمرت في مكاني فافقت
الطبق على اعتبارها لما رايته... كان حاتم يهودي طويل جدًا، نعم
أعلم هذا الجلباب الأسود، الشعر الطويل الملفوف المشد من
الجانبين، ذقنه الطويلة، الكيلاء المستفيرة في نصف رأسه، ما هو
لخروج من الحمام مُسكًا بمسحرة في يده، تدور كفه بها أمامه، لكن

لا وجود لأي أبحرة مُبِعَت من المحرقة إذا من أين أتت رائحة
البخور؟

أغمض الحاخام عييه وتم بلغة غريبة لم أسمعها من قبل!
تحدثت أشبهت لكثي تكلمت فمي يدي.

تواريت وراء باب الغرفة من الداخل وعلقت أذني، المعروف
كما لم يحدث من قبل، بينما كان ظلي الحاخام يذهب ويمر ديارحية في
جميع أركان الشقة التي أستطيع رؤيتها، يحتمي بوجهه ويعود بعدها..
يخترق شفتي كما قد قلبي أنه يتوقف خوفًا أن يلقى إلى الغرفة ليخرها
فيلتلي.. من هو هذا الرجل؟ ولماذا يبخر شفتي؟

قررت أن أغتسل النظير مرة أخرى لأستحق التخصيل، فوجدت
شيئا طارئا عقل.. لقد كان الحاخام طالما في الهواء وهذا سبب
رأيت طويلا جدًا للوهلة الأولى، ولأنني من قرط الدهشة لم أنظر
للأسفل فالرجل متوسط القامة بالأساس! ما هذا؟ من هو؟ هل له
علاقة بنجمة داوود التي رأيتها ليلة العشاء؟ والأغرب من هذا..
هل هو من تبعه نظرات أُمي الخائفة المتدهشة على الجدران؟

وقت الساعة العتيقة يدخل البيت مرتين، لقد أصبحت
الثانية مساءً.. هذا يصح التي واقفة في مكاني لربع ساعة تقريبًا، لا
يُذ أن أذهب لأمي قبل أن تتعب بدني، تسمرت مكاني لفدقتي أخرى
ثم قررت المجازفة.

نظرت مرة أخرى فوجدته قادمًا من الطرقة، ورأيت عييه..
حين يملأهما السواد ليس بها مساحة بيضاء أتساءل ما إذا كان

قد رأي أم لا؟ تابعت بتظري حتى دخل الحمام.. ورحت أفكر هل أخرج من العرة وأمر من أمامه؟ هل أنا محبوبة؟ كما أنني أعلم أنه أمي عندما تبخر الشقة تطلق أبواب الحمامات، فكيف له أن يبخر الحمام نفسه! أو عشتي تلك الفكرة حتى قدمت أسمع صوت عظامي تخرج فدخل جسدي من الخوف، ماذا أفعل الآن؟

توالت وانطلق باب الحمام مشدود وسدود وجائحا بشكركم.. على الأرجح كان حاج الباب فاستحسنت قوتي وتأكدت أن الحقيبة بيدي، سمكت وتطقت الشهادتين وقطعت الطريقة قلها عدوا، وقد شعرت بلزج حاج المشعر على الأرض، حتى بلغت الباب فزأبت حلقا عذلا وكبراني ففتحت الباب وفتحت صرختي وأغلقتة سرعًا.. هبطت الدرج بأكية

كان مراد يعلق باب شقته، فنظر إليّ مذهولاً ونظر للأعلى متلحضا في قلبي:

- عذراً.. هل حدث شيء؟

- أبداً.

- إلى أين العزم.. وعيني المصطع بك إلى وجهتك.

- لا داعي.. شكراً.

- كيف وأنت تكلمين؟ ويدك مرتعشة؟

تحققت من حديثه فكان صحيحاً، لقد بكيت واقفاً صلياً

ظننت إلى بلدي في غيب و هممت

- لقد نسيت المفتاح بالداخل.. مستغفلي أمي

نظر إليّ في شفقة وفي سرعة بديهة اقترح:

- أمتطع أن احضر لك المفتاح ولن أعلم أحدًا بهذا، فقط لو
أن شباك الحمام أو الطيخ مفتوح.
ومثته وأنا أخفت دموعي في شك:

- قلبه صمم في النور وعندها ستكون المشكلة أكبر.

- بقي بي، لن تكون مشكلة، أريد أن أساعدك فقط، أتفكر
لأنك تسمت المفتاح بالدخول؟

قالها في التخلف فأوشكت أن أسدله ما سمعني لعله يدرك
حجم الخوف الذي يملكني دون أن يظن حقيقته هكذا من فراغ
لحني تحت هذا التفكير جانيًا، وقلت في فمارة نصلي إنه لا يوجد
ما يروطني به وما يظنه ليس شيء هام، لكنني توفدت اللحظة
وقبالت ماذا لو ظهر له الحاجام؟ سيهرب من العمارة، ربما
يتوقف، قلبه؟ قاطعني مرأت

- هل أذهب في طريقتي أم أساعدك؟ اعلمني فانا على ميعاد؟

- تاعلني؟

- بكل ضرورة.

- المفتاح على السرير في آخر عرجة بالطريقة، نحن حطوا.

صعدنا سويًا وإذا به يصعد عبر الشباك عند الصبح، ومنه
يتشبث بهامسورة المياه التي نقلت بواسطتها إلى شباك الحمام المفتوح،
وأشار لي من داخل الحمام.

أشعر الآن بالخوف أضعاف ما خفت بالداخل، وراحت

الأفكار تهاجمني بأن ذلك الحادِثُام سيتهال على رأسه ضرباً حتى الموت بلا شك، ماذا أفعل يا الله؟ لا يُدَّ أن يدرك قد ولدت وأمي مستغفلة في جميع الأحوال، هل تأخّر مراد بالداخل؟ هل استغفرت بعائلة جلال؟ أم بعائلة مورديحي؟ ستقتلني أمي أيضاً، يتُ خائفة من الشقة، فقد طرقت الباب فيفتح مراد ويقع مكاناً. يأتي الحادِثُام من وراءه لا يُدَّ أن أطرق الباب لأطرح، سمعت وقراءته إلى القرحي. وقبل أن أطرق الباب فتحه مراد فحسباً ممسكاً بالفتاح في انحصار. تبعت الضعفاء وولنا سوياً.

- أشكرك يا من أنت خير؟
- لا داعي للشكر، نعم بخير، تقولون لي معنى هذا الشكر، بقي؟
- وقعت في مدخل العمارة أريد أن أسأله ألم يقابل أحداً بالداخل، لكنه كان سواً أغنياً فلم يكن وأنى أحداً لعلمت.
- أشكرك مرة ثانية، لا يُدَّ أن أقدم إلى مستشفى الأمير في الأقد.
- دعيني أصطحبك إلى هناك، هل الجميع بخير؟
- بدر تلد هناك الآن، لكن لا داعي لأن أعطلك مرة أخرى.

أست على ميعاد.

أخذ الحقبة من يدي وقال:

- طويقتنا واحد لا تقضي.

سرنا سوياً، التفّت إليه.

- هل أصابك الزجاج المكسور في الطرف؟

- لم أر أي زجاج مكسور.

- قبل الغرفة التي كان بها الحقيبة... على الأرض عند الحزام؟؟
- لم يكن هناك أي شيء مكسور على ما أظن.

تجاوزت ما قال لكي لا أثير انتباهه وادعيت أنه يهيا لي بالتأكيد حتى صدق وأشاح بنظرة بعيداً، والسبب غير معلوم أردت أن أستهين بآثاره مجدداً فقلت:

- لكن... أنت رستق للعامة... كفت الموت عرقاً وأنت في صور الشهادة تثبت برأسه المياد في لحظة ولصعد منها إلى الحزام صحك في سخرية لم يخطها وأردف:

- هذا لا شيء... مما خطر أن تفعله في الحزام انتهى بطريقه الحياة

فلكني المصنوع عند مراحه يتصرف إلى مسيرة الحرب، خاصة أن خلفيته تزخر بالعديد من الأحداث الدرامية كلها أخيراً صابر... ولم أستطع السيطرة على فضولي وسألته كيف خرجت من فلسطين؟ فشاح بنظرة بعيداً ثم قال:

- خرجت من فلسطين إلى الأردن عند أهامي ممن هاجروا قبل، لحديداً في قبيلة السموخ في الضفة الغربية، لكن الشياطين الصهاينة هاجروا القرية بحجة وجود قاعدة للعمل القذافي، فدمروا مائة وخمسين منشأة، وتركوها ما بين قتيل وجريح، وحبتها قررت أن أرحل إلى مصر وحدث الله أن أهامي قد جمعوا لي من المال ما يعينني لأبدأ به حياتي هنا.

- وترك فلسطين للأبد؟

- فترة إعداد.. لا بُدَّ من وجود المال لتجهيز المقاومة.. هذه هي خطتي، والتجارة ستجلب المال بإذن الله.

وصلنا المشفى قرأت جلال الذي استقبلني بنظرات قاتلة على ألسنها، انقبض قلبي وأرتجكت فقدمت به بصوت مرنعش:

- أهلاً جلال.. مراد جارنا الجديد.. جلال ضافر

قامتني مراد بلا سمع اسمه وتقدم يصافحه في حاس.

- وهل يُمكنى القوم؟ لقد حدثني عنك مسير كجوال وعلمت أن
أراك قبل أن تذهب للتجديد

أردف جلال في يده

- وتعلم أنني ذهبت للتجديد؟ أهلاً وسهلاً

تم أحد الحقيبة من مراد والتفت إلي:

- الجميع يظنونك قلوبك منذ أكثر من ساعة ونصف الساعة.

تسبب كل ما حدث معي في الثقة، ولم أعلم حينها هل أفرح

لزيارة جلال في غرفة صريحة، أم الحجل من مراد الذي ساعدني

وكان قريباً معي، هل تحضرك مصر يا مراد أم تقسو عليك مثل

في البلدان؟

استأذن مراد في الرحيل محملاً بعد أن استنصر ما لم يقله

جلال، دخلنا المشفى وحده غرفة العمليات علمت أن بعدي ولادة

متعذرة، كانت عائلة جلال متواجدة.. أعطيت الحقيبة لمحاسن ثم

وقفت بجانب جلال الذي ظن الجميع قلقاً في حين أنه يستشط

عصباً.

- لقد أصر مراد أن يصطحبني لما رأى شئته القذرة و

- مشتتة الذهن.. التعبير الأدق.

- جلال! ماذا تقول؟

- لا شيء..

التفت إلى نظراته يملأها الغضب واللوذ وركزتني بحسب
بجانب والدته، وقفت مع العائلة مصفرة في حين وملس أُمي
نظرات توغذ لتأجري

وأخيراً سمعنا صوت الطفل.. خرج الطبيب وخلع ثيابه
وقد بدا عليه الإرهاق الشديد

- كانت ولادة سعيدة.. تبارك عليكم جميعاً كما أسمت أمه.
انطلقت عاريده أخواني وتهلل وجه أبيه فرحاً ومناه الجميع،
صاحت أُمي بفرقة العمليات عنقه. وتذكرت الولادة العجبة
التي شهدتها من قبل في بيتنا.. حينها من الحائض اليهودي في وسط
الجميع أمامي، تخلق في وجهي بعلام باردة، أغمضت عيني
وفتحها فلم أجدها هل تلف علقلي؟

• • •



نظر مُعجَباً لا يفهم ماذا أقصد فأعجلت:

- قابلني هناك وكأنها مُصادفة. , سأحكي لك.

لم أنظر جوابه ومضيت سريعا لأحضر السمك. وبعد برهة صغيرة عند العم مصري السماك والذي تربطه علاقة بجميع أفراد اسرتي، ضاح مَراداً:

أنتَ حياة. تقيده أحل الكرم؟

- مراد. جميعاً بحر والحظيرة.

أعطاني عم مصري السمك وظل قد فاقني في كل شيء.

- أبت القلمطسي المتشاجر الجديد. , حرة البحر؟

- نعم أفت.

- أهلاً بك لهما. , وبك المخلص من هذا الألم يا بني.

- مرحباً. أمين يا حجاج مصري.

والثقت إلى شلقائية:

- دعيني أحل السمك عليك.

كان يمثل دوره بإتقان قريب جعلني أتعجب منه بعض الشيء.

كنتي فرحت في نهاية المطاف فلم تكن هناك طريقة لإخياره إلا مكلفاً.

صينا في طريقنا يدون أنا شير ربة أحد، لمجتمع يور سعيد الصغير بحفظ

كل فرد فيه، أشار إلى أعمه الطم في ممتلكك خريف البحر وتحدثت.

- أسمعك يا حياة.

انفتح حمي وأطلقت منه الكلمات دون توقف للمرة الأولى.

أخبرته بكل ما رأيته في يوم الفتح وحس اليوم. أخبرته بكل ما

أشعر به وبحجم الخوف الذي يسكن روحه إزاء كل ذلك، حتى
توقف فجأة وارتمت ملامحه بالقلق وقال:

- لا تخافي.. أعلمني فقط بكل كبيرة وصغيرة تحدث، هؤلاء

ليسوا من الإنس يا حياة.. ولا شك أنك تفعلين أشياء تستفزهم.

- ليسوا من الإنس فعلاً؟ وما هي الأشياء التي تستفزهم؟

طعنا.. فلا تسيئي لأحد من النعم والاحياء.. اتعتقدين أنهم

مكوا أمتلاكهم هكذا ورجلنا بملك السحرة؟

- السيلة اجاني لم ترق.. لقد كنت قد

- أعتقد أن هؤلاء اللاعنات يقولون ذلك.. كنت قد

لا بد أن قتلك شياً عتياً في السفة

- إذا كان كذلك لماذا لم تظلم الآن؟

- لا أعلم.. أخبريني أنت.

- سوف أخبر حينها.

- لا داعي لأن تدخلين في أشياء كهذه.. لقد ذهب للجيش

أيارحة فحسب، دعيه يحارب هؤلاء الشياطين ولا تشغلي كاهله.

تفلقني سوف أساعدك.

- ماذا تقصد؟

- حياة.. أنا لا أريد إخطاك.. لكن يبدو أن سحر أسود

وعليك تروحي الخدو.

- سحر أسود! لكن لماذا؟

٢٩ مايو ١٩٦٧

استعد خطي بيته على حكاية وجعل من يدي حكاية بيته
اليسرى، أو صلته إلى الشجرة في القلعة، حيث أصبح رجل
الحرب بديع. به تيات هو الأمل في القلعة دوتاً ما شعروا في هذا
الوقت من الله

صحت أن صحت قد نمت عن الأيام الماضية، فبشرت أن أ
صنع له القصة لكنني لم أعمل السكوت لحدوث امرئ قلقة عابثاً،
ما جعلني أنظر في الحكي بالظان ما يستعدون بالقول

- منذ أيام استدعوا القوات الاحتياطية فذهب صابر المسكين
وامراته لم تضع مولودهما الأول بعد. والآن إعلان التعبئة العامة
سأخاف يسري. الحمد لله أن عصام ما زال يدر من بكية الطبيب
ومصر خارج البلاد ومريض غير لائق

صحت جدي قليلاً ثم أراد أن يهون الأمر على والدتي فقال
دعوة تجميع الهبة

- سيخففهم الله حتماً وسد علي الدخول عصام مريض
سنوات قضا

لكن دعوة جدي وفخره لم يغمر أمن قلقي أي غيتاً، عم الصحة
إلا من رقيقة العصاب التي تتخذ الشجرة المحن وبجانب العارة

مستثناء تبذلت ملامح جدي من الإشراف إلى الحزن.

- أعلم جيداً ما تشعر به. أنت تذكر فراق أخيك بعد أن
رزقه الله الشهادة في حرب ١٩٤٨. بارك الله في عمرك وفي أولادك
وحفظهم جميعاً.

أمن أبي على هناك وتركنا يسري إلى غرفته، وبعد ثمرة صغيرة
ابتهج جدي فجأة وهو ينظر إلى الأسفل وصاح وقد تهلل وجهه
والشارب.

- جلال - اصعد يا بطل - هل تريد جلال في البدة
المصرية؟

هرولت خلفاً لآواه ونيت، وجهم أبي الذي كان في عام
الحرب، كان ينقل إلى الحدي، مبسلاً فمسكاً بشيء، وبدأ رجلاً مختلفاً
في البدة المصرية. شعرت أن وجوده قد وهب الحياة للثورة. كلما
أراد أولاد من جديد.

الحقتي جدي بتعليقه -
- ما أجمل!

◆ غادر أبي البلكون وملأت وجهي ابتسامة لم أحجل منها،
هرعت إلى المرأة أرقب هنيئاً وأصلح منها، فجلال سوف يترك
الساب في أي وقت - بعد نصف ساعة من حرس الباب، فحبه
فكان في عيني أوسم الرجال.

- الحمد لله على السلامة.

- الله يسلمك..

أجابني في اقتضاب بنظرات باردة لا تخلو من شك فانطلقت
انسانتي، ثم دخلت حبة أبي وأمي، ثم إلى جدي في البلكون قائلاً:
- استطعت أن آخذ إذناً بضع ساعات فقط.

- أهلاً بالطل.. لم أتوقع رؤيتك!

- أهلاً لك، كنت أن أسمع لي بذلك أيضاً، الوضع على أهمية

الاستعداد - المصحح المستقيم - والحالة العامة لا توحى بالخبر.

- لا تفكر بهذه الطريقة، فقط تركل على الله.

- يا جدي أصدقك القول، لا يوجد أمل.

- إقارن أنت الأمل.

تشجعت لما كان مع جدي راحداً وهو يقف معهم، لقد تجاوزنا

الطفولة وأصبحنا في سن الشباب والأمور باتت حساساً للعائلي.

- متى أحضرت رواية نجيب محفوظ لجدي؟ ولماذا لم أرك

وقتها؟

التفت إليّ وبدأ في نقسه شيئاً يعصب وعنده سمعته انني فقال

سأخبرك.

- لا يُدّ أنك كنت تتابعين السمك حينها.

كان واضحاً أنه علم بأمر مراد، دق قلبي بعصب لا توجد

أسرار في هذا البلد، الحق من البلدة؟ ارتعش صوتي

- وبها.. لا أدري.. كان عليك أن تنتظرن.

نظر إلينا جدي وعلم أن في الأمر شيئاً فاستأذن جلال

للمغادرة فكذبت أن أبكي، فقلت له في جراءة ولم أعلم كيف

أسعفتني سرعة بديهي هكذا:

- والدة تهاني تحيط لي فستاناً خطبة تهاني قريباً.. هل لك أن
صطحبي إلى منزلها من فضلك؟ تعلم أن المنطقة الخامسة ما
زالت حديثة ونائية.

- بصطلم صري أن بصطلمك فوقتي ضيق.

يصري قائم وأنا أريد أن أذهب الآن.

أسكت حمدي بيده وقال برفق:

- بما أن صري قائم قال لا أضمن أحداً في البيت.

زهر أنقاشتاً لمناق، وقال نظيفاً:

- أوامر يا حمدي، استحي عدة دقائق رسالتك من أسفل العتبة.

استأذنت إلى المللم قدام، فهو يعتبر جلال أحد أبنائه بحق،

في حين انتصمت أمي لأنني أصبحت عروسة تنتظر النصيب

وخلالها في جلال بعناية فوقف حاله كما ألحت من قبل.

دخلت عرقري لأختار أي القسائين أرتدي، فإذا بالباب يطرق

بهذه.

♦ - ادخل.

كانه صري وقد قلت عليه البشاشة، فدخل وأغلق الباب

وحلّ صامتاً.

- هل أنت بخير يا صري؟

- اجلسي يا حياة.. أريد أن أقاتحك في أمر هام

جلت أحلق به لما شعرت من عراة تجاهه.

- أعلم أننا لا نحدث كثيرا في أمورنا الخاصة، ربما نخافين عصبيتي، أو أفشاء سررك، لكن.. حياة.. أنا أعلم مشاعرك تجاه جلال، وأعلم منه ما لا يعلم هو عن نفسه، ولولا أننا أهل لما آمنه عليك أبدا، لكنني أعلم انه أهل للأمانة، أعلم أنك ستقابلينه الآن، اضحك يا حطاي وتعرفت فمصنع يسرى على رأسي وأكمل..

جلال أخ وصديق وحبس أمانة لك، حفظ أظفاري على كل شيء وحرف أساعلك.. لا تخافي..

لكن.. أن الشعور قصير واحتفظت.. وسأعطي طهرتي في حوزة قتل رأسي هناك..



- هل نسلم نفسك إلى الجيش ^{الخطوة}؟
- سأدفع قرامة القاتل.. ألا تخمين ورائع الطعام، فقد انه

علمت أنك وهي تعد ما تستطيع لي ولصاير.. حاولت أن أشرح ما لي من أقالبه لكنها لا تفصح، أممي.. عندما أريد أن أسمع صرخة الفرح

ضججت وقبضت يده ورأسه في وذاغ مؤقت، وفي وقت قصير كنت واقفة أسفل العبارة أمام جلال، عبرنا الحارة وظاهر غضب جلال الذي يشت عبوته، ومن ثم حبه الذي لم أصرح به بعد، كنت في مقام الحارة لا أخرج من أم أخرج، وعلى أي أساس يعصب جلال إذا لم يصرح بحبه علانية؟ وإذا لم يفعل ماذا أفعل؟ قال جلال في رسمية لا تخلو من غضب..

- سنستقل تاكسي..

- أريد أن نمشي عن طريق الكورنيش.

- تريدين نزهة وأنا لا أملك وقتي.

- جلال.. أرجوك.. ماذا بك؟

نظر بطرف عينه إليّ في عتاب ولم يعقب، لكننا بدأنا طريق الكورنيش بالفعل، إنه يفعل ما أريد لكنه يعترض عليه في كل حين، وقد عيّل إليّ أن رأيت تنبت دجاجة.. فأودت أن أسرق في قلبه:

- لقد قابلني مراد صدقة في سوق السمك.. وعبر من أن يحمل السمك عنّي إلى البيت.

صحك مستهزئاً:

- وقابلك صدقة ليحمل عليك الحقيبة بمساعدة بلدي أيضاً.

يا محاسن الصدقة

- مراد شاب محترم ويصرف في هذه الخلود ولم يتعبها أبداً.

- الآن تدافعين عنه وكأنك تعرفينه منذ سنوات.. هذه هي البداية.

- حسناً.. ما صفعه إذا عرض لي مساعدة أخرى.

ثم توقفت وقد أصبحت في منتصف الطريق..

وأنا أعلم أننا في منتصف طريق علاقتنا أيضاً التي لم يكن لها

مسمى يوماً

- لم أخطأ لأدفع.. لكن لماذا تغار الآن؟ هل يوجد بيتنا ما

يستدعي الغيرة؟

كانت خطواته الواسعة تسبقني لكنها توقفت والتفت إليّ وقد

تغيرت ملامحه:

- كُنت أحسب هذا..

- جلال..

- ألا تعلمين؟ ألا تشعرين؟ أنا لا أتخيل أن أمضي خطوة
بموتك في الحياة.. ماذا يملك وبين هذا الشاب يا حياة؟

- الآن.. اليوم هو أسعد أيامي.. وعلينا أن نشكر مولا لأنه
كان السبب في أن ينظر أيراهول..

- أنا لا أفرح.. لا أقول اعتزله الخاء، تعال ليس بالخ ولا تعرف
له أصلاً..

- لا تصحم الأمور ولا تفقد اللحظة أرجوك.. تعال يجلس
هنا وسوف أسرد لك كل شيء..

جلسنا على الشرفة وحكيته كل شيء.. وسط عيرته
العمياء ونظرات حبه الذي لم أختبره من قبل.. واندعاشه مما أقول..
- لا بد أن تعلم العائلة بما حدث..

- لا أرجوك.. صمتت أمي من الخوف.. ثم إن أبي قد باع كل
شيء من أجل شراء عبارة داوود.. كنا نغير إلى أن..

- إلى أن جاء مولا..

- أنت تعازي من مراد قوت حق..

- حياة..

- فقيرتك لن تساعدني في حل اللغز.. أريد أن...

- لن تقدرني على فعل أي شيء من هذه الأمور وحدها وأنا لا

أعلم متى سآزودكم مرة أخرى.. لقد جئت اليوم من أجل أن أراك

لأنني لا أعلم ماذا تخفي الأيام القادمة.. الحرب تدق الأبواب..

ربت على يده وقد ملأني الأمل..

- بل ستأتي الزبارة القادمة بخير وتقدم لخطبتي..

- خطبتك؟

- نعم.. خطبتي..

• إذا أحبك يا حياة.. منذ أول يوم.. أيتك فيه ونحن صغار؟

• كنت أعترك مسؤولية سي شكل لا إرادتي

• ما يكتفه قلبي أكثر مما أحتاج به.. حياة.. ولحم قلبي.. على

أصل أن ياخذني الفرح إليك يومًا ما

- كيف أهديك للعرج وقلبي حزين لا يستطيع إعادته لي وطن

كسروا ONEPIECE

- آه.. الآن فهمت.. أنت لا تريدني يا حلال.. لا تحصل

الحقيقة.

- الحقيقة أنني لن أنجب أطفالًا ثمنا.. لن أودعهم ذل سيطرة

العدو على مستقبلهم.. قل التحقني والشهيد والصراع اليومي فقط

مخجل أن تبقى أسراؤهم وسط الأحياء يا حياة.

- كل الذين عاصروا الحروب منذ أن كتبها الله عليهم أخسروا

وتزوجوا وأنجبوا.. الجميع يفعل ذلك.. ألا تريد أن تبقى مؤتمنين

الأحياء وحتى تموت منها كانت المصائب؟

- أعلم جميل يتحقق بعد النصر.. حينها أهديك حياتي.. حياة

بلا قيود.

- بل نصف حياة أحيائها في وجودك الغائب.

- دعي الأمور تأخذ مجراها.. لن تستطيع أن تستمع بالمستقبل
إلا إذا انصت للحاضر.

- حُجة يصدقها عقلك.. أما أنا فلا.

الهمم تسمع مني وتدقق الأفكار في رأسي كشلال هبة قوري،
تلم تدقني قطبي الذي لم أعرف كيف أسطر غيبه، وعالمين وسف
تفاحه أو ألقى أو يصطحي، ورجلت نفسي وحيدة وفصحته في
فوارج كلية معزولة لا تملك من أمرك شيئاً، لماذا أميل
كل هذه التكتلات؟

شعرت بالحقيقة التي أرى مراد يسأل هل مفرح منا وجماله يرق
كل شيء من قلعة أو راحة إلى رجلاً في نفس ميتة لكتني لم أمتلك
الوقت الكافي لتبين ملاحظته، حاولت أن أدقق النظر حتى شردت
عن أفكاري والحزن الذي تسبب فيه جلال لكتني لم أستطع أيضاً
رغم أنني تبه متأكدة مما رأيته في الرحلة الأولى.



BOOKS



٥ يونيو ١٩٦٧

أردت أن أنت لجلال خطأ ما يظنه بي، وأنتي قادرة على
مواجهة الأمر وحدي على عكس ما يقول، وتسمية الأول منذ
هناجتي تلك المسألة المخيفة وقعت في صلاة مرثاة، تحديدًا أمام
الساعة العتيقة التي صارت ملتقى مرثاة الحاخامات.. وأقربت
بينما تملا روعي مشاعر مغلطة ما بين الحزن والقلق وما بين العناء
والياس الفني جعلني أسجل خطواتي في ثقة دون رجعة
وبدأت أحذرهم في إصرار وأحاول أن أتحدي الهدوء كي لا
يسمعي أسدحهم، لكن دون جدوى، صارت قمر قعات لا يتغير من
رأسي وراحة قاتلة في الفرار عما أعمل، الفرار من نفسي التي بدأت
أشكك في صحة عقلها! لكنني انتظرت، كرويت النداء لعلمهم
يستجيرون ويكشفون لي عن تباينهم، لعلني أستطيع التخلص من كل
شيء بالمواجهة.

ظللت أدور حول نفسي في حيرة وخوف، لا أكرها حتى
رأيت الحاخامات، رأيتهم يلتفون حول الساعة يرتلون بلغة لا
أفهمها.. كأنها ابتهاج أو صلاة، يكون وتهتز رؤسهم للأمام
والوراء في تنابع مُستظم! وأنا أقف بالقرب منهم، يقتحمي الخوف
لكنني أراقبهم وأريد أن أسأهم ماذا يفعلون هنا في بيتنا؟
وقبلة القضاة تجاهي جميعًا في وقت واحد، والبعثت من كل

حاجام أبخرة سوداء تجمت لتشكل نصف دائرة حولهم، عندها أطلقها الحاجام الأكبر بيده لتعلا البيت، الأبخرة السوداء تطير في كل مكان لتستقر عندي وتطوف بي وأنا أسعل بشدة، أختنق اختناقاً شديداً أخبرني على الاستسلام للرغبة في الهرب إلى عرقتي، لكن الأبخرة بدأت تمس بقرأ أفكارني فرحلت عني ووضعتني إلى عرقتي، افكرت أن أخلق الباب عليها ثم أقرب لراه وأخبره، لكنني تذكرت جدي وأمه ما رآه تائلاً بالعرقلة، مررت إلى اليد الموجودة الأبخرة السوداء تلتصق حول رقبتك لتدراج يدك في فوي يريد أن يقبلي عليه، حسرتي وأخذت أصابع الذراع فدون قائدة، كانت أقوى مني وكأني جيتي ضيقاً وقد أضع المقارنة فاستسلم وتركت هذه الذراع الموقظة **التيه**

انفصت قرعة ولا أعلم التوقيت لكنني استيت أنه اغتني علي من الخوف وإن الشروق قد حل منذ فترة، انتهت أكثر لما سمعت صوت الراديو عاليًا بالخارج.

وتتقدم كل الجيوش العربية تجاه حدود فلسطين لتحريرها. **◆** هذه سلطة الحساب التي انتظروها سبع عشرة سنة، الآن قواتنا حل أبواب، نل أييب، أراد حكامكم المشاكل والآن يحصلون على مستأجرهم.

وجدت جدي وأبي وأمي ووالدة جلال وإخوتي مرتضى وهناك يلتصقون حول الراديو يهتفون ويكبرون، يحضنون بعض وأمينهم دافعة، الفرحة في قلوبهم تطمع على وجوههم غامرة،

المشاعر تفيض وتحكم العقول، لم أكن قد استغقت بعد لكنني
أعتقد أنني رأيت مراد أيضا معهم! وأعلم أنني أرى جدي الآن
سليم معافى وكان ما حدث بالأرض لم يكن حقيقيا، لكنني متأكدة
نما رأيت وأعرف جيدا أنني اقتربت منهم وأنه بإمكانني أن أفعل
هذا مرة أخرى حتى ولو كانت تلك المشاهد التي تخيلتها بها
في رؤيتهم في الدفاح. يجب أن أدرك الأمر وأقرر وعندي حتى
سهي هذا الكلام من

التفت ناحية مراد بعد حدثه بالفعل، ولكنني لم أسمع أحدا منهم
أو جوتي ولا بالأمر الذي يمكن قسما وجهي، كأنه راد هائل
في الفرج:

- مقطع تلك من المأكولات العدو الإسرائيلي، الله أكبر..
الله أكبر..

خفف قلبي بشدة وانسحني شعور من الفرح والقلق في آن
واحد، صابر وجلال ويسرني الآن يحاربون العدو ويتصرفون..
الآن نعود إلينا العزة والكرامة كلها غنى جلال وقنى شعب مصر..
عرف بعود جلال مرفوع الرأس فتزوج، غرقت في أحلامي
الوردية حتى أفاقني مها بكاء أمي المزوج بالفرح، رحت على
نكحتها السيدة أنيسة مواسية

- أعلم ما يدور قلبك حوله يا أم صابر.. لن يجلدنا الله أبدا..
سيعود الأبطال وسنحتفل.

- حتى عصام لم يتصل وهاتف منزل صديقه لأخالة منه.

اللهم لا ترني بأسًا بأولادي فلذات أكبادي.

تركهم ودخلت البلكون يساروني القلق، الزغاريد في كل مكان، خرج الناس في الحارة قرحين، في حين اكتفى سكان الحارة اليهود القلائل بالمراقبة من الشرفات، ذكرني المشهد بفرجة تأميم القناة، القرح المظلم أحرقه حزن طويل.

كانت فرجة - أمم - زادت ضل يا حبيب - فاستح من منهم وجاء خطا.

- أعلم فلذلك على أسودك. و... خلاصه...
لم أجيده ولم النظر إليه فأكمل.

- تقى لهم بحر. الأبطال يتجهون يسلمهم في التاريخ
الآن - صحيح لم تظهر بعد لكنا في طريق الاستمرار، مريباً تدخل
لم ألب فتصيرين مرفوعين الرأس.

- أقمى من الله رجوهم جميعاً.
- سيأتون بمشيئة الله...

النفث إليه وقد تذكرت شيئاً:

- لكن، كيف وجدتك هذا اليوم؟

- أبوك دعاني اليوم لتناول العطور معه.

- هذا شيء عجيب، أعلم أن أبي لا يحبني كثيراً؟

- قال إنه يريد أن يتعرف بي أكثر، وأن يعرف لماذا اشتريت

المقهى؟ أعتقد أنه يريد أن يطمئن لمن يسكن بيته.

- وهل اطمأن؟

- أعتقد ذلك.. لكن قولي لي...

التفت إليهم بالداخل فوجدتهم متسعين فقال في صوت خافت:

- ماذا عن الحاخام؟ هل ظهر ثانية؟

- نعم.. أنا متأكد في ذلك.

- وكيف ذلك؟

- لا أعرف لكنني استطعت بطريقي. ولكن انتهى بي الأمر

معشياً على من الخوف. أنا أضعف من تلك المواجهة.

- مهلاً مهلاً.. هذا ليس صحيحاً.

بدأت مشعلت لكنه أراد فيما يبدو ألا يشير قلتي أكثر.. ولمنا

ظرات أمي تتابعنا لعم بكتائنا.

- سنرى هذا الموضوع فيما بعد.. هيا إلى الداخل لكي لا نشير

قلوبهم أكثر.

طعناني حينئذ قليلاً فدخلت معهم محضل والقلق بأكل من

عقلي.. ومن عقل أمي أيضاً.

٦ يونيو ١٩٦٧

بقيت باقعة في فراشي طوال الليل في حالة الأرق اللاهول،
اتسبب القلق قليلاً فقد كنت أتفقد حدي في حلقه يخبرني ويرح
أفقد هذا في غرفتني فوجدتها تعط في نوم صديق بدور عا. أو
لعلها تظاهريه هي الأخرى، أشعر بحال أمي وأبي لكنني لا أجري
على القنحام غرفتني في هذا التوقيت من الليل، سبها القنامل صوت
طنطقات متفرقة في الشدة.

عدلت إلى حرقلي لأراهم عيسى على النوم، لكنني أردت أن أتأكد
من عوثة غيالات النجفة، فتوضعت وأضأت نور الأباجرة التي
سبي وبعث حدي فلم يكن هناك شيء، بقيت جالسة في سوريري
وقائتي أحبي حدي من خطر قادم لا أعلمه.

لم يكن هناك شيء، يبعث على الخوف سوى بعض الأصوات
خارج الغرفة، أصوات أسمعها في الليل منذ مجيئنا، اعتدتها لما
أخبرت أمي بها ذات ليلة وقالت ربما تحسب الأثاث يتحدث صوتاً
من اختلاف درجات الحرارة عليه لم أصدقها بالطبع، لكنني لم أخبر
اتسبب الأمر ثانية.

بدأت عيسى تغفو قليلاً وضربت لي النوم بالفعل، لم لا طرق باب
الغرفة! من طرق باب غرفتني قبيل الفجر؟ ربما أبي يريد أن يتحقق حدي

أصلاة الفجر.. قمت في شجاعة قفحت الباب فلم أجد أحدا
نظرت بالخارج ومسحت الطرقة بعيني.. أبواب الغرف كلها
موصدة! فعدت متوجسة وأغلقت الباب وجلست مكانى أنظر إلى
جدي الذي بدا ملاكاً غارقاً في نومه.

وفجأة سمعت ارتطاماً قريباً بالحائط نظرت لأعلى فكتبت
خفية بطرء الخديعة تطير في أرجاء الغرفة، الآن أراها رأيت
العين! يا الله ماذا فعل! عظيم وخائفاً حائرة تريد أن تعدي إلى
وجهه لا تعلمها، ترتطم بالحائط الصغير وجهها ترتطم بحائط آخر
تطع على الأرض، ثم تقف وتطير ثانية.

لا مجال للشك فيما أرى الآن، هم ماذا فعل؟ هل أوقف
صدي ليروى ما لا يلا، أريد أن يرتاح، هل أحضر عصا طويلة
لألقطها وأقبض عليها؟ وما أدراك أنها ليست من الحجر؟

جلست عند طرف سرير جدي خشية أن تشع عليه في أحد
الارتطامات، ثم خطرت لي فكرة أن أفتح الشباك لعلها تطير بعيداً،
مشيت على أطراف أصابعي وفعلت هذا لكن ارتطامها بالخوافظ
مبوقف، ولم تقرب من الشباك أبداً، رجعت وأنا أكاد أبكي، ثم
وقفت أحمي جدي وأكتم الفأسي هلمة والخاف أن يفتق من نومه،
وأخيراً اقتربت من النجمة، إنها ليست حديدية كما ظننت بل مصنوعة
عن أبحرة سوداء، ما مال الأبحرة السوداء وماذا تريد مني؟

طارقت في الهواء بعيداً واقتربت من السقف فسمعت صوت
طرق الباب مرة أخرى، وسمعت صوت أبي، لعله يتغذى من

الأبحرة السوداء، أسرع إلى الباب لما كادت التهمة أن تبلغ
سقف العرقة وتهايل كأنها تبحث عن شيء.

عندما فتحت الباب تسمرت قدمي مكاني لحظات، وبدأت
أرفع اللوراء خطرات من فرط خوفي، أمسكت فمي بيدي جيداً كي
لا أصرخ، كذا التحام واقفاً عند الباب بهيئة التي واجهت من قبل
ودقة الطويلة، هذه المرة لا يترقبني الكلب المستدير في نصف رأسه
بل عمامة سوداء تلمس عليها قماش يغطي كتفه إلى آخر ذراعيه، نظر
إلى نظرات شبيهة بحل العرقة بينما تراجعت إلى الخلف لا إرادياً.
أردت بشدة أن أفر أو أطرد ما أحفظ من اللوراء، لكنني كنت عاجزة
بشدة قاستي بلا إحسان غريبة تعني خلل قاتلاً، لم أكن أعرف ما أفعل
ولا أستجمع أفعي وأحفظ كلاً من التحام ينظر إلى جلدي في غضب - وأنا
أراقبه في صمت حتى تكدت أموت لحظتها، نظر بعدها إلى تهمة داوود
نظرة سريعة فمطت إليه واستمرت فوق رأسه كشاحل مشهد مخيف.

كذبت أظن توارق وأردت أن أصرخ عندما اقترب مني، لكنه
أشار إلي بيده ألا أفعل وقال في هدوء وهو يشير إلى جلدي وعلى

سجته علامات الحق والغضب.

- أخبريه أن يترك ما يجنيه.

تسمرت أفامه عاجزة عن فعل أي شيء، ولا أعلم ما الذي
يتحدث تحته بالطبع فيما بدا على وجهي خوف شديد من احتمالية
إيدائه لجلدي، فنظرت إليه كي أطمئن عليه لكنني فوجئت به
مستيقظاً وبشكل أمامي دون أن يعيرني أي انتباه، كأنه لا يراي ولا

يري الحاخام! حتى قال الحاخام في ثقة:

- لمن يرانا -

فغر قمي، وداقت جدي الذي راح يطمئن على جثاتي في
مراشي ويُدثرني! ثم سار على أطراف أصابعه كي لا يوقظني! كيف
أراي نائف؟ وكيف لا يراي جدي مستيقظة؟!

علا صوت تكبيرات الصبح بالراهب مما جعل وجه الحاخام
يبدل إلى شيء مخيف، وسمعت صوت ابن يقرن الشهادتين... ثم
تكبيرات جدي، الأمر الذي أزعجه كثيرا فلنظر إلى ساعة ذنوبه
علاه.. وبالحول ما رايت.. فقد بدا وكأنه يتعلم معي الصبحان
كتلة واحدة ويظهر الاستخراج الغرمة من الجبال!..
وقدت في قرعتي وحيلة ابكي وأنا أنظر تجاه الضوء، حيث
كانت شعاع الضوء بالخارج أنا يشق السماء، وما زال صوت الأذان
يصالح بقوة إلى أن نضم وقرر: «الصلاة خير من النوم».

صوت الأناشيد الوطنية والأخبار العسكرية المهمة يتقل من
الرايو إلى قلوبنا الراجفة، ولم أتبع مشاعري الحقيقية بين فرحة
لتحضر المريب، وبين قلق لا أنكره، قلق يجعل في قلبي غصة عجيبة،
تعيقني عن الفرح بأي شكل.

لكنني كنت قد خدمت قرازا جادا معه جلسة يكاء طويلة
وسوف أتقدم اليوم دون الخوف من جلال، لقد تحدث الحاخام
وأشار إلى جدي صراحة! وأنا لن أسمع لأي كان أن يمس به..

٧ يونيو ١٩٦٧

خيلط حناقص من المشاعر بين فرح وقلق يدور استاف في البيت
 دون الحديث عنه خراجه، يلمس جلد في الشمس الحامية في
 السكون لم أقت المارقة، ولكنك بالرائد إلى التستر الخاص به، يقره
 مرثله في شعلت لعله يصيح إلى خير العصر الصريح، كان يلى في
 القيادة ولا ميمنا يلى في إعلامهم الحري اقربا يلى في الحب
 فترت متعة فراقتي مستمنا واما صرح الأمن في بيت كهلهم

بحر عاصف @NETICE@

- صبحي النوم.. لقد كان نومنا قو مجا.. ما كل هذا الصراخ؟

- صراخ!

- نعم.. حاولت أن أوظفك ثلاث مرات لكن ميجات.

- متى؟

- أول أمس ولم أشأ إلا عاجلك.. لكن الأمر ذاته تكرر بالأمس!

ارغمت نفسي أن أنسم وقبلت جيتة فنظر إلى مليا.

- إلى أين تذهبين في هذا الصباح؟ لا بُدَّ أنهما مشاوير وذاك التي

لا تنتهي.

- هذه المرة أتي بركة.. أخذت الإذن للمذهب إلى تهاني لتكمل

أما مستان.. أنت تعلم أن فرح هتاء قد اقترى.

ضاقَت عيناه لثوانٍ وأردف:

- حسنًا.. لتعودي سريعًا.

- لن أتأخري يا جدي.

عند مدخل الباب قابلتي الساعة العتيقة، تقف شاحمة غامضة

سريعة، قلت مرحبًا وأنا أرتدي حذائي عند الباب - هل الساعة

الثانية الأربعة التفت إليها فرحمتها العاشرة صيحتها

أقريت منها وأنا ملتها ورايت جدي يتابعني عن بعد

- حال أنت بطيئًا يا حياة

- دقت الساعة مرتين الآن وهي العترة

- لم اسمعها نطق

- لا عليك - إنها حوالتي اللينة.



أغلقت الباب وهرولت سريعًا أنقذت لأنك إذا لم تدخل العمارة

حالا، قطعت باب براك لكنه لم ينجح، أقريت وطرفته بقوة وصعدت

جميع درجاتي فحسبًا للمقارحات.. أخيرًا فتح الباب مُثاقلاً

- حياة.. أهلاً وسهلاً.

- مراد.. أحتاج مساعدتك بشدة، قابلني الآن عند الكورتيش

حمة الحى الإفرائحي

كان المارة في الشوارع فرحين بملأهم الأمل، يضحكون

وكلهم نشاط وأقبال حل الحياة، وعند البحر وقفت أتأمل براحه

اللا نهائي الذي ضاق في عيني، غير عابثة بأموالتي التي تبعث

الراحة في نفسي على قدر ما تبعث الرهبة أيضًا.

جاء مرادخل غمر ما رأيته آخر مرة، قلقًا يقطب حاجبيه
ويضع يده النظر إلى عيني، فسأله عن القور:

- ماذا بك؟

- لا أعلم، لم أرحني بمرارة صوتك، هل حدث شيء؟
فماضت به يداه ومبروت له كل شيء، صمت قليلًا
وقال:

- الأمر واضح جدًا، عني، يخفيه جلاله في البيت حلب
لحم كل هذا اللحم، عليك أن تراقبه حتى أعطي ما مبهت التي
وتعديه عنه فالسحر فتكون في الغرائب، وهل يمر بين ورسول
أنت لك بالحل عن قلبه الله

- حسنا، لكن قل لي ماذا بك؟

تهدأ وانظر نفسي عميق في فسي.

لم أجد قسطًا كافياً من النوم، الأخبار على إفاعات راثير
الوقت كانوا، صوت إسرائيل، في بي مني لتدفق تنفي تقدم
لمرات المصرية وتعلن من يستها الساحة! الصهابة يحتفلون!

- لكن الإذاعات المصرية تؤكد أن

- أيا كنت بينهم الكره فلا استحق الأحداث، منظم الحقيقة

- لتأمل أن تكون نحن الصادقين،

- فقط احرصي ألا يقتلك الأسر كما يفعل كل مرة

٨ يونيو ١٩٦٧

وكان المشهد توقف عند أحداث الخامس من يونيو. في الصباح
صلت الزاوية أدائها بصوته العليل بأناشيد وطنية وأخبار لا تصرخ
بالنصر، والجسم يعيد ويكرر ما يفعلونه، أمي في المطبخ وأنا في
المقهى، أمي زوجة صابر تجلس وحدها تنظر قلقة إلى حبيبها
المتروكي داخل النخاخ بطلها، متاء عند الجبابة في بروقة القستان
وماقها، وجندي يجلس في البلكون لحظتها بالرائحة التي انتشر بها
بنت أخياراً صريحة من تلك التي يشمها الرافضين بصالة الاستقبال،
يردد من حين لآخر في يقين شوبه أمل وشك.

- موقف تلفتهم درسا لن يصوم أبداً.

أشعر أنني دخلت لعدة تكرار زمني لليوم الثالث على التوالي.
ولم جرس الباب في وجهي وجاء صوت أمي المعتاد.
- الباب يا حياة.

فتحت لأقف خارج الزمن قليلاً قبل أن أسمع من يقف
أمامي، يبدئه العسكرية وقد تغيرت هيئته إلى شخص آخر، ملامح
حامدة تنظر إلى اللا شيء في حزن عميق بملامح كساها القراع
والذل.

- أبيه صابر...!

ارتقى في أحضانها وأجهش بالبكاء، ألقي جدي ما بيده وأمسك
بعكازه مشرعاً إليها وأنت أمي وقلبيها يهزول أمامها، سألته:
- تعال.. أدخل.. ماذا بك يا أخي؟ ما كل هذه الجروح
والدماء؟!

أدخلته وأغلقت الباب فجلس في صالة الاستقبال، ما زال
يكي الحرقلة لأول مرة في حياته، صرخت أمي:
- أين جيتي.. ماذا حدث لك؟ وأين صرتي؟
البياب يصرق بعنف.. كانت والدة جلال رفقة بمرلم
- صابر.. أجددك على سلامتك يا أمي.. فلان من أختار على جلال؟
نظر مراد إليه وأقبلت عليه التي فاحضت سلات من الدموع، مرت
دقائق ونحن نلهو بصحة الأسئلة المتكررة تفرقت وخطاها الغراب والجروح
والدماء.. انحدرت دموع جدي صامتة وقال في أمي:
- اتركوا الطفل يستريح وهذا.

نظر صابر إليها وكنت أراه يمسح عنه شيئاً أكبر من الدموع،
لم جاء صوته مخضرجاً
- لقد فرمتنا من الصباينة.

٩ يونيو ١٩٦٧

تقول صديقا الخب للحياة الى شبح يسكن بيتا تراه ولا يراه
سمع صوت الجميع لك لا يريد ان سمعتا تسكن تروسته ولا
تسكني، لا يبارك طرقت حتى انه لا يداعب انه «جمال» الجميع،
والله جلال تسكن غيب زوجها وانها دول الشطام، فيها تسكن
امر لغيب يسرى وانقطاع الحيار الجميع، لم تسكن الا في من الغدا ألسانها
من حليم غافر الى المراق للمسلم.

جلس الجميع يعززون أنفسهم في صالة الاستقبال فلفين
حول هذا الأمل الضائع، عدا حدي الذي لا زال يجلس متحررا
الترانسفور الى أديم.

طرق فتالي على الباب مريم وقوي وصوت مراد بالخارج:
- حاضرون حاضرون

فتحت الباب فتوجه مراد بجلده في صمغ الشقة وكان
هنية للتو قد حدثت:
- عند التمر مبلقي خطابا الآن.

نظرت إليه نظرة خوف ربا أنه اعتادها مني فلم يعزل أي
اهتمام في لحظتها لم أكن أعلم ماذا أريد منه لكن وجوده في تلك

الأجواء كان أكثر ما أتمناه ولا أعرف كيف أو لماذا، ربما كانت
ترجعني فكرة أنه على علم بهي الأصغر أكثر من هم البلاد كلها،
لكنه لم يكن يحمل سوى بالخبر الذي جاء يؤفه إلينا في جميع
الأحوال، فأنزوت في ركن كي أستمع معهم قبل أن يلاحظني أحد.
بينما خرجت هناك إلى الراديو فتفتحه.. وسمعت صوت ناصر
مهموماً متهرباً

- أيها الأخوة -

لقد تعودنا سماعاً في لوقات النصارى وفي أوقات الجوع في الساعات
الحلوة وفي الساعات المريرة أن نجلس طمأنينةً في صلات بقلوب
مفروحة، وأن نتفرح بالخطوات المزمينة من هذا الطريق وحده
نستطيع ذاتاً قد كملنا أن نأخذ الأسليم، مهما كانت الظروف عسيرة،
ومهما كان الضوء خافتاً، ولا نستطيع أن نخفي على أنفسنا أننا واجهنا
نكبة خطيرة خلال الأيام الأخيرة، لكني وأنتي أننا جميعاً نستطيع
- وفي مدة قصيرة - أن نحقق موقفنا الصعب، وإن كنا نحتاج في
ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية، ومقدرة العمل
الغفائية، لكننا - أيها الأخوة - نحتاج قبل ذلك إلى نظرة على ما وقع
لكني تتبع التطورات وحفظ سير ما في وميرها إلى ما وصلت إليه، إننا
نعرف جميعاً كيف بدأت الأزمة في الشرق الأوسط في الصف الأول
من مايو الماضي. كانت هناك خطوة من العدم لغزو سوريا، وكانت
تصريحات صلب وقافته العسكريين كلها تقول بذلك صراحة
وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير.

غضب أبي غضباً شديداً وقال:

- ماذا يريد أن يقول؟

أردف مراد وهو يسمح شعرة بعصية إلى الوراء:

- ما هو نصارح الشعب والأمة العربية بالهزيمة الساحقة.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

شجع أبي وأنت أستاذ لم تتوقف لحظة واحدة.

قال حدي:

- لنسمع انتهاء الخطاب

«وكانت هناك أمم عظيمة خارج العالم العربي، قلنت لما

لا يمكن تقديره من تأييدها المعنوي، لكن الجارية - ولا بُدَّ أن

تقول ذلك بشجاعة الرجال - كانت أكبر وأعز، ولقد كان تركيز

العدو الأساسي على الجبهة المصرية، التي دفع عليها بكل قوته

الرئيسية من المدرعات والمشاة؛ معززة بتخويف جوي رست لكم

من قبل صورة الأبعاد، ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع

كامل، خصوصاً مع التفوق المعادي في الجو. ولقد أدركت أنه

خطر المعركة المسلحة قد لا يكون موائماً لنا، وحاولت مع غيري

أن نستخدم كل مصادر القوة العربية، ولقد دخل البترول العربي

لوبي، نور، ودخلت قوة السويس لتؤدي دورها، وما زال هناك

دور كبير مطلوب من العمل العربي العام، وكل ثقة في أنه سوف

يستطيع إقاده. ولقد اضطرت قواتنا المسلحة في ميناء إلى إخلاء

خط الدفاع الأول، وحازبت معارك رهبة بالذبابات والطائرات

على خط الدفاع الثاني.

ثم استجبتا لقرار وقف إطلاق النار، أمام تأكيدات وردت في مشروع القرار السوفيتي الأخير المقدم إلى مجلس الأمن، وأمام تصريحات فرنسية، بأن أحدًا لا يستطيع تحقيق أي توسع إقليمي على أساس القوة، الأخير، وأمام رأي عام دول - خصص لها في آسيا وأفريقيا - يرى موقفها، ويشعر بشناعة قوى السيطرة العالمية التي المقضت عليها.

صرخت والغيط يعلل:

- ألمعجب بماذا لا يفعل هذا في وقت مبكر. لقد قلنا الأمر المبررة.

أشار لي إلى أن الحجة:

وتصل الآن إلى نقطة هامة في هذه الكاشفة بسؤال أنفسنا: هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسؤولية في سمات هذه النكسة؟ وأقول لكم يصدق - وبرغم أي عوامل قد تكون بنيت عليها موقفي في الأزمة - فإني على استعداد لتحمل المسؤولية كلها، ولقد اتخذت إذا أريدكم جميعًا أن تساعدوني عليه: لقد قررت أن أنتحي تمامًا وعطائيًا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي، وأن أعود إلى صديق الجوامير، أوهدي واجبي معها كأي مواطن آخر.

ماذا، ماذا يقول. هل يتخلى عن مصر والأمة العربية بأكملها!!
مكننا صرخ مراد وانهمرت دموع الجلوس كلهم وقد شعرنا بدمارة المريعة مرة على الحجة ومرة الآن..

إن قوى الاستعمار تصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها، وأريد أن يكون واضحاً أمامهم، أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر، والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصورها دائماً بأنها إمبراطورية لعبد الناصر، وليس ذلك صحيحاً؛ لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر، وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر.

ولقد كتب أفراد الحكم دائماً: إن الأمة هي الباقية، وأن أي طرح هما كان دوراً، ومهما بلغ إسهامه في قضايا وطنه، هو أداة لإرادة شعبية، وليس هو صانع حلة الإرادة الشعبية.

وتطبيقاً لهذا المبدأ ١٠٦ من الدستور فاقبتم النصارى في شهر مارس سنة ١٩٦٤ ففقدوا كلهم زميلهم وحليفهم الذي زكروا بحبيهم بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية، وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة لذلك، وبعد هذا القرار فإنتفى أصبح كل ما يحدثي تحت طليته، وفي خدمة الظروف الخطيرة التي اجتازها شعبنا...

أودعت هناك في عنصرية وهي التي لم تحدث في السياسة أبداً... من هو زكريا عبي الدين؟ نحن لا نعرف إلا ناصر... هل ينصل من كل ما فعل؟ لا يُدركه أن يستمر ويتصلح كل شيء... بعدها فليترك الحكم إن شاء.

عسى مراد وكأنه يحدث نفسه:
- لا أصدق أن إسرائيل هزمت هجوماً في سيناء واستولت على الضفة الغربية والقدس الشرقية في الأردن وهضبة الجولان في سوريا.. لقد ضعننا.. ضعننا إلى الأبد.

قال أبي في أسي:

- قُصفت جميع المطارات فاضموا إجهاض الطيران لأبي
طلعات حوية ثم جاء الاحتياح البري لكل منهم على حدة.
قبل أن يكمل قاصر خطابه سمعنا ضجة الجماهير الغاضبة
قللاً الشوارع، لخرج صابر أخيراً من غرفته بيكي تارخاً الباب على
مصراعيه طرّاً. وكانّه يقول لمن حلقه لتلحقوا به، فكانت مراد
أول اللاحقين به تم أبي، هرعنا إلى المكان حيناً.

كانت الجموع غفيرة منهم تطلّالات مياه والصوت يتردد في
الطابقة كلها لسلالات أوالدا وأولادهم وقلوبنا مضطربة وكان
البشرية كلها قد قامت في نفس واحد تقولون بدموعنا وأصواتهم
- هجرونا هجرونا - هجرونا - هجرونا -

قال صرقة جدي البائس في ربه:

- ربياً طورا أني قد مت فخر جوا وحدهم.

- بعد الشر يا جدي، ساعدهم لقد طار وعيهم.

- إذاً، هيا بنا يا حياة، مكان وسط الشعب.

انضممنا إلى المسيرات المزدحمة في جميع أنحاء الشوارع

لياديين، قال جدي مُندمناً:

- لما أنا بهتقون ضد زكريا يحيى الدين!

لكن روح المسيرات جعلت جدي يسي مرضه ويندفع وسط

الشعب مُصرع الخطى يسابق دموعه ويصرخ:

- احنا الشعب، أصحاب الحق، لأول مرة نقولك لا، هتجارب

• • •

١٠ يونيو ١٩٦٧

صباح كسب ملا ريب، صباح بطعم الهزيمة المؤكدة بلا نوم
ولا طعام، بلا أناسيد أو نصائح كاذبة يعد أن أخلق أبي الراثين،
مكبر جدي البهلوان عند البارحة بميون أمانة تأمل اللا شيء،
رفض طلب أبي تناول لقيات تكفي لأتخذ المفعول فتقول مراد
الطلب بالخاخ حتى أكلت المعلقة، أمي وثالثت أبتة تكيان بلا
وقوف، إذ كانت أمي تغني ومن ثم تصحو تصرخ وتبكي، لا ألد
أن الكوايس كطاردعاه، ظل ضاير لم يعد منذ البارحة.. لكننا جميعاً
نكبر الآن في يسري وعصام وجلال والدة.

ربنا الهاتف رنة طويلة أفاقنا من شرودنا فطرت أمي له في
ملح.. أجاب إلي الهاتف مقتصاً.. ثم ارتاحت قسبات وجهه قليلاً
و هو ينظر إلى والدة جلال.

♦ - الحمد لله على سلامتك.. نعم موجودة غنينا لا تغلق..
السيد شاذلي يا أم جلال.

أسرعت أبتة إلى هاتف تحطف السحابة من أبتة
- مثالي.. ألف واحد وشكر لك يا ريب.. أين جلال؟
بضت فترة والس أبتة نسمع ولا توحى ملاحها إلا
بالقلق.. ارتجف قلمي حينها لكنها قالت:

- سوف أنتظر مكانك حين تصلك أخباره.. لن أقام يا شاذلي.

أشارت إليها أمي ففهمت الست أيسة فقالت قبل أن تغلق الساعة:

- لا تنس سري يا شاذلي.. الله يطمئنتك.

لكي صوت المشوكة التي بدأ في الضراخ كان أعلى من أي صوت آخر.

- الو.. الو.. لقد قطع الخط لكي أظن ما يجري.. لا تقلقي يا رفاة.

- هل يعرف مكان جلال؟

- ليس بعالم.. لكن قلبي يطمئني أنه بخير.

نظرت أمي لها نظرة ذات مغزى وبكت في حُرقة بالغة، رد الهاتف مرة أخرى فشغقت أمي.. أجبت أنا الهاتف بسرعة:

- الو.. تصر حسي.. نحن بخير.

أسرعت أمي تحطف الهاتف.

- تصر.. كيف حالك أنت؟ الحال هنا من سيء لآخر..

صحكوا علينا ووصونا بالنصر وهي الكلمة الكبرى، عاد أعمالنا صابر بجسده فقط.. ونحن ناضر، أما سري في الحرب وعصام

في القاهرة انقطعت أخبارهما بعد أن توقفت حركة القطارات والحياة.. كذلك جلال ابن الست أيسة لا أخبار عنه.

ثم انفجرت في البكاء دون توقف فحقدّم أبي منها ورثت كل

كتفها في حنان وأخذ من يدها الساعة..

- يا نصر يا بني.. نحن بخير لا تقلق.. هُزمتنا لكن حتماً
سننصر.. نعم نعم الجماهير تملأ الشوارع بالعبود ناصر.. سيعود
أخواتك وجلال لا تحف.. في حفظ الله وأمانة يا بني.
جلس لي بجانب أمي جدتي من روعها.

«كأنني يا ودا أجدك متصلح جميع الأحوال لا يتكوار
في ملكك إلا ما أراد
- وحسن بالله -

كان أبي طبيب لا يعطيك الدواء لمريضه.. يوم قالت هذا.. وهي
تحاول أن تشتت ذهن أمي قليلاً..
- لنحضر للفطور يا لطيفة.. نحن لم نذق الطعام منذ البارحة..
سقط جميعاً من الإرهاق.

قال مراد مصططع شيء من البهجة:
- ههنا على حق.. سأحضر لكم مريضتين بالخوار من صنع يدي.
أعددتنا طعاماً شهيئاً بغير اشتها.. فلما تجمعنا على المائدة نظرت
إليها أمي وقد تورم وجهها من كثرة البكاء قائلة:

- هذه المقاعد لم نخل يوماً من الفرج والأحاديث.. يا رب أعد
لي ابنائي سالمين.

جاء صوت مراد من الخارج وطرق الباب بعنف فنهضت كي
أجيبه بسرعة فصاح:

- أنور السادات يلقي بياناً من مجلس الأمة الآن

قال أبي:

- السادات؟ وأين ناصر؟

- يقولون إنه تعذر وصوله إلى مجلس الأمة وقد أُغلقت كل

الطرق.

فتح لا أرى وصفت كل حوار هنا:

المساءة التي لم تسقط في الأمة على تنفيذ القرار التي اتخذت
إلى المحرمة، ويعلم الله أنني لم أصدر في اتحاد هذا القرار عن أي
سبب غير تقديمي للمسؤولية وتحاولنا مع ضغوط من بعض أنصاره
السياسية، والتي لا تحيط بهذا الوطن وأهله، ولعلنا نعلم ما الذي حدث
حياة إلى آخر نفس فيها، إن أحدًا لا يستطيع ولا يفكر أن يتصور
مستأجر في هذا القرار، إلا أنه الموقف المذهل الذي اتخذته جماهير
شعبنا ولشعب الأمة العربية العظيمة كلها بإصرارها على رفض
قراره بالشخصية منذ أعلنه وحتى الآن، ولا أعرف كيف أعبر عن
عراقاتي تجاهه.

إن الكلمات تضع مني وسط زحام من المشاعر يحلك لكل
الحوار حي. وأقول لكم بأمانة، وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة
الموقر أنني مقتنع بالأسباب التي بيئت عليها قراره. وفي نفس
الوقت هناك صوت مهم شعنا بالنسبة لي أمر لا يترك، ولذلك
استقر رأيي على أنه ينبغي في مكاني وفي الموضع الذي يريد الشعب
من أن أبتنى فيه حتى تنتهي الفترة التي نستمكن فيها جميعًا من أن
نزيل آثار العدوان، على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب الرجوع

فه إلى الشعب في استفتاء عام، وإني لأشعر أن النكسة لا تُدَّ أن
تصيف إلى تجرّبتنا عمقاً جديداً، ولا يُدَّ أن تدفعنا إلى نظرة شاملة
قاحصة وأمانة على عملنا، وأول ما ينبغي أن نؤكد بههم واعتزاز
وهو واضح من الآن أمام جورتنا، أن الشعب وحده هو القائم وهو
المعلم وهو المخالف للأيدي.

صباح جدي في قروح

- الله أكبر.. الله أكبر.. التي يصعنا الله..

واشتملت احتفالات صوت الجماهير بالاحتفاء في الشوارع
بهذا من مسيرات الشجيرة، وهرجت إلى الملوك البحتل جزء من
هريتنا الصاعدة.

نظر أبي إلى أمي لا لاليل لعلها حية.

- أرايت، عودة ناصر؟ سوف يعود الأبطال يا ودا.

- يا رب.

حينها صباح جدي.

- لقد أتى صابر بصحبة عصام.

وضعت، أمي يدها على قلبها ووقفت تنظر نحو الباب
مترجة.. ولكل منا هو أحس فجعله يقف مكانه بلا حراك.

دقائق قليلة ورن جرس الباب.. بعينا في أماكننا ننظر له، فقع
مراد الباب قد دخل صابر وقد زاد على ملاحه يؤمن غريب.. وقف
الجميع ينظرون إليه وكأنهم في انتظار شيء..

دخل وراءه عصام بعينين متورنتين من فرط البكاء.. ينظر إلى

الأرض مدهولاً، ثم تساقط دموعه كسيل عارمة.. ذهب أبي
ووقف بجانب أمي.. وأخت العيون عليها أن ينطقا دون أن ينس
أيّ منا بكلمة.. تقدّم صابر من أبي وأمي، بطء.. ثم نظر إليهما في
شجاعة يملؤها الحزن.

- يا أبي لقد عمّ دتنا الشجاعة في مواجهة المصائب، علمتنا
الإيمان، واستحيال قصص الله بقسرواوبة لتجنب أجرتها عذبة.
فرق أبي وضع عزيمة صابرة، نظرت أمي أعصاب بعين (الفتى
بها يقول ما تريد أن تسجده، لكنه لم يفعل أبداً، فاجعل صابر)
- لقد غنى سري الشهادة.. ونالها..
نزل الخبر علينا كالصاعقة.. ولم يبدأ أبي أنها فتمت أو أنها
لا تريد أن تفهم فقال مصاماً

- أثناء متابعتي في مستشفى الدمرداش، كانت أعداد المصابين
والقتلى لا تعد ولا تحصى، الكثير لم يستدل على هويتهم، والكثير لم
يعرف عليهم أهلهم بسب تشوّه جثثهم، فلتحمده الله أنه أكرمنا
بدمرة مصرية، الحمد لله أنه سيدهن بمداخل الأسرة.. شهقت هناك
المناسبات دموعي فافترت، الست ألبسة من أمي تمكي وتحضنها،
ومرت خطوات صمت ثقيلة حتى صرخت أمي هلعاً:

- أبي.. مات ٩٩.. مصري.. مات! ١١
كنم أبي تمها بأصابعه التي بللتها دموعه قائلاً:
- إنا لله وإنا إليه راجعون.. لا أريد صرائخا، يسري شهيد مع
الأنباء والصلديقين.. ولدنا لم يمّث يا ودا.. بل حي يرزق.. أريد

أن أراه.. هل ما زال بالمشفى؟

ارتفعت أصوات البكاء فقطعها عصام..

- رفضت إدارة المشفى أن أستلمه ليضم إلى جنازة جماعية

لولا دعم زملائي، كل شيء - جاهر يا أيها - لقد جئت به إلى هنا

فهي ترفقه من بيته - وتخرج الجنازة بعد صلاة الظهر من مسجد

الطفي ألبانة..

أشكر أبي البنا قائلا:

- إذاً أمامكم خمس دقائق للشهد لفرح الشارقي

في مشهد لن أنساه لما حيت.. وقف جلال بوجه ضاحك

تتكسر في بلدته العسكرية، تبعثرت عليها آثار دماء أمام المسجد

يظر حيان أخيراً لا يحل إلا الأمد يطمئنها من بعيد عقب انتهاء

الصلاة كانت الحشود كبيرة..

شعب يورسعيد يجتشد في مسيرات احتفالية يرجوع خلد

الناصر إلى الحكم.. ويحتفل نحن برؤايف أخيه الشهيد "يسري

الدبول" إلى الجنة..

◆ فلما علم الناس أن الجنازة للشهيد انضموا إلينا وكان الله أراد

أن يودعه يورسعيد بأكملها في مشهد تقشعر له الأبدان.

أواخر ١٩٦٧

نحت الحزن الوجوه ووصمها بعار التكة وفقد الأخت، وتم طلاء زجاج الشبابيك باللون الأزرق، كما أثبت موانع الطوب أمام مداخل المئازر، وعلمت الخنادق بوالع بورسميد للاعتناء بها.

وترأست العامة قضايا الصمت لعتاة المشقة في البيت، فلا أحد يريد أن يتحدث أو يسمع. يكفينا ما قلنا وما سمعنا من قبل. وحملت كيف أمطاد الأحلام من بين سطم المدينة، فكانت بعضها غيبات لم أتوقعها وتوارت عن عيني أهل الأحلام وألقاها، حتى خلال الذي يعود في زيارته من الجيش... لم يعد، لم يتفقد أحوالي يوماً بعد استشهاده بسري، لكنني سمعت روايات صابر وعصام عن مآسي الحرب، وكنت على يقين من هزيمة أرواح المحاربين في هذه الظروف فمن قابل الهزيمة والموت لم يعد شيئاً كما كان، حاولت أن أطمئن عليه رغم حزن لفراق أخي، لكنه قابل كل تقرب منه بالرفض والبعد، أحياناً بالشجيرة لعلامة مراد بالعائلة، كل ما فعله هو رمي شذراً كلما رآني أتحدث إلى مراد صديقة، بينما مراد يفعل كل ما يستطيع ليساندا في محنتنا.

شعر جلال أن مراد قد احتل مكانه فرفضت كرامته كل مشاعرنا التي كانت، وأصبح إنساناً لا أعرفه، لكنني رغم قسوة

قله وابتعاده ظلمت نفسي وبقيت على حبه وتعلقى به -
 وحدهما جذبي وأبي كأننا يشنان بالأمل، فعليمات الحبس
 والقذائين التي لا تنقطع يرد عليها الصهابة بكثير من الغارات، أحيانا
 أحدهما على استمرار حلمها وإيهامها الطافي رغم كل الظروف -
 تعددت لعلات عائلتنا مع عائلة جلال وأزلفت عائلات
 مواسمنا لبعضها البعض، حتى يوم كنا نجلس به في نفس الأسي
 وحوار الأمل الطيفة تحيط بها في حروف وفردة حتى اطلقت أواق
 الغارة ثلاث مرات تنبها لخطر الغارة القادمة، بلا ما صرنا أحده
 أفراد المقاومة الشعبية أو المظاح الذي تطوى العيون بظفر النور -
 أطلقنا هيم الأوبار ونوجه الجميع نغمة بتسلي العماره حتى
 يكونوا ينامون في الصف، أشعلت الشمع مع هواء وتوجهنا
 للاستقل، هناك وقد كانت عائلة موردخاني تستعد في حين بالغ
 لم حيل من مصر، يجلسون في زاوية بعيدة وحدهم، بينما جلسنا
 عائلتنا وعائلة جلال سرياً، لكن أبي كان يتسلل من حين لآخر إلى
 عائلة موردخاني ويعرف، أنى مراد آخر فرد فالتقى التحية وجلس
 على مقربة منا قائلاً:

- لعنهم الله... الغارات لا تتوقف أبداً.. كل حصي دفائق
 عارة؟ كيف نعيش وسط كل هذا؟
 قال أبي:

- يستهدون الملتزمين أملاً في إخضاع القيادة.
 قال السيد شاذلي في فخر:

- لا تنسوا يا جماعة أن كل هذا بدأ منذ الأول من يوليو ١٩٦٧
في معركة رأس العش.. عندما تصدت قوات الصاعقة للصهاينة
ومنعوهم من دخول بورقواذ.. هذا ردهم.
قال أبي:

- وعملات القوات الجوية والمدفعية وإغراق المدمرة إبلات
التي ضمت ظهر رمم، ثم العقائديون وعمليات الجيش المتوالية على
العدو جعلتهم كالكلاب المسجورة.

كان مراد يستمع إلى الحديث فصاح صياح فخلت أبواب الغارة
- وما الغائلة من كل ذلك وما زالوا يهطلون الأرض.. وأخيراً
أمر جوا عن جواسيس عصابة لا حول ولا من أعلاهم!
قاطعه والد أجمل ١٢٠

- قل لي يا بني.. هل تراهي بينكم كثيراً في العمارة؟
- قليلاً ما أراه.. بل نادراً

- هذا إجابة لسؤالك.. الجيش المصري يعمل كل ما في وسعه،
لا تنس أنهم حاولوا أكثر من مرة السيطرة الكاملة على القناة بوضع
خنادق وفوارب في القنطرة وبورقواذ وكبريت والشاط.. هل وقف
الجيش متفرجاً؟ لقد تصدينا لكل محاولتهم حتى جاءت بالفشل
وكانت خسائرهم أكثر مما بكثير - يا بني لا تحف على جيش
مصر.. فكل من ثراه منهم لا يبالي بتقديم حياته فداء لها.. ثم إن
من قبض عليهم في عملية لا حول لم يتم إطلاق سراحهم إلا ضمن
صفقة تبادل الأسرى عقب النكسة، هل فهمت شيئاً؟

- أتمنى أن يكون الوضع كما تشرحه يا عمي.

قالها مُشككًا وسط صوت الطائرات والقنابل والحديث الذي لا ينقطع عن الحرب، كان جدي يتابع حديثهم في ترقب، وكان يعلم في قرارة نفسه تعلقي بجلال وأثر ذلك على نفسي، فكان يراقني دون أسئلة، جلست أنت أخته والسيد شافلي مع أبي وأمي وإخوتي، وجلست أنا مع جدي، على ضوء الشموع المكافئ المهر، نظرت أنت أخته إلى زوجها ثم إلى أبي وأمي في تناوب وقالت:

- كانت أبة أن تفلحكم اليوم في أمن منامية أم سيكر.

- خير يا ست أبة؟

- يا واد، كلوك على فراق الشهيد باقي، وما في القلب سيقي في القلب، لكن ليس من الإصاف أن يوجل فرح هناك إلى الآن. نظرت أمي إلى هناك في غضب:

- لن أقيم فرح في بيتي، أنا أم مكلمة تسكي ولدها كل يوم. لقد خيرتها بأن يكتب الكتاب دون ضجة فلم توافق. أردف السيد شافلي:

- بالطبع هذه المسألة تخصكم، لكننا تصرف من منطلق قرابة لا جيرة، فأنا أعتبر جميع أبنائك ابائلي يا سيد أحمد، كما أنني أحلم أن جلال وأحمد من أبنائك.

- بالطبع يا سيد شافلي... جلال شاب نادر مثل صابرو، وأنا افتخر بهم، إنهم أبطال رفضوا مغادرة الجيش إلى الآن.

- يقولون إنهم لن يتركوه إلا بعد النصر.. أريد أن أفرح بحلال وأرى أحفاده لكني لا أرمده أيضًا.

- بارك الله فيهم وأعطاهم ما تمنوا قريبًا.

صمت أبي قليلًا ونظر أمامه إلى الباشي، ثم نظر إلى أمي وكأنه يحسب ما تصاطع نظراتها الصامتة السيد شاذلي.

- إذا فليكن الفرح في بيتنا.. هل بصيرك هذا في شيء؟
نحن نعلم أن هناك عريسها فصلها من الفرح أيام من الكلمة، ولا أستطيعك يسري لكأنك في بيتها.. المعطى إشارة وسوف أجهز كل شيء.

نظر أبي إلى هتدي عطف واستسلم قائلاً:

- فليكن فرح هذه الأُمم شاذلي.. نحن جميعًا بحاجة لأن نفرح بنعم الله علينا ولا ننكرها.

هلت بشائر من الفرحه لكني أمي بكت فأبكت أرواحي صمت، لكنني استشعرت روح يسري المرحه بيتنا.. مسحت السيدة أنيسة دموعها ثم قالت:

◆ - أعلم شعورك يا ودا.. لكن لكل من أولادك وشاتك عليك حق.. سيفرح يسري لأجلها كثيرًا.. ألا ترمدينه أن يفرح؟
- رحمك الله يا حسي.. مارك يا هنام.

اقتربت هنام من أمي واحتضنتها باكية وأمي تربت على كتفها وتحففت دموعها، اقتربت السيدة يونا وزوجها يوسف مورديحي وقد بدت عليها الكآبة وقالت:

- يا ست، و داد.. أوالك على خير.. لقد سافر دانيال وزوجته مع عائلتها وسوف نلحق بهما.

تركت أمي هناك وقامت تقف بجانبها تنسهر:

- كفى الله الشر.. إلى أين؟ ومشي تعوثون يا ست يونا؟

كانت المرة الوحيدة في حياة أمي شفقة وهي تتحدث إلى إحدى العائلات اليهودية في المزارعة وتزوجها على كنف أبي وقال في حزنه: يا سيد أحمد، أنت تعلم أن لعائلات اليهود في مزارع داوود من أواخر العائلات المهاجرة من مصر، صحيح لم تكن تربطني بعائلة وإيم أو شلال علاقة قوية.. لكننا كنا نجتمع للصلاة، على أي حال المحنة لا يبدل هذا الآن.. لقد جعلنا الكثير من الحروب العالمية الثانية ورأينا الكثير منّا، ثم حرب ال ١٩٤٨، وعاشنا العالمية كالأحراس منذ فضيحة لافون في ١٩٥٤، بعد أن عشنا في هذه البلاد دهرًا لم نشعر بأي تفرقة، أما الآن.. الوضع مختلف تمامًا وقبل أن أطرد خرجت أموري مع أسلي إلى فرنسا وقد سبقوني إلى هناك.

◆ تتحجج أبي وقد بدا متعاطفًا أيضًا..

- أعلم موقفكم تمامًا وأقدر ما تمرون به، سلامي إلى دانيال، يا

يو ست.

- إذا وقفنا فيما بعد لزيارات متقطعة سأفعل.. حسب الحالة

السياسية كما تعلم، لكنني لا اعتقد أنهم سيتركوني أدخل مصر مرة ثانية.

انطلق صغير واحد طويل من يوق الغارة.. فعلمنا ان الخطر قد زال، وبدأت كل عائلة تلم شمل أفرادها للصعود إلى بيوتهم.. كان مراد ينظر إلى عائلة مورديحاي في حيرة لم تُخَفَّ عليه، في حين لم تهتم بالحديث السيدة أيسة، كانت مُشغلة بترتيبات فرح هناء فقط، نظرت إلى خُفرة مُشجعة وكأنها تعلم كل ما يدور في قلبي وهمت:

- أرايت؟ الفرح البعيد أصبح قريباً.. مكدا يشاء الله ان يولد الفرح من رحم الظلام.. مكدا يكلم الله الصالحين..
جعلني أتساءل عن حال رعم ان ظروف الغارة قد جعلني أغفل عنه قليلاً، انني اشعر بالخوف في كل مرة تحيط قبعا ان عن كون جلال ومخافة من الباطل أو يباشر السيد شافلي ويقولها بنفسه، أشعر بخوف غير مبرر من ابتعاد المسافات التي صارت تمنع الفرصة للملك، أخاف من جلال ونفسه التي تردد كلمات غير حقيقية وتصدها ومن ثم تصنع القسوة أمامي فتجرحني أشد جرح.. أخاف واتساءل لكنتي لم أمتلك الجواب بعد.

بداية ١٩٦٨

عاد الفرح مجدداً إلى «عمارة آل فاوود» بعد أن ظننا قهابة بلا رجعة،
وعُلِّقت الأسرار المكنونة في الحارة بين صفيين العائقة وملاّت نفس الأسرار
والورود متفة حلال، ألفت الكوخة في رأس مستطيل لمحة الاستقبال
الكثير من الورود الملوثة على شكل دائرة كبيرة، وأعد الطباخون برفقه
مشاء، فاحترقوا للضيوف، وفتحت أبواب الشقق، كانت لهم والدة
حلال، وأم العريس، صلوات كثيرة بين الحب والظلمة وأمر
أخرى، إنهم وأزواجهم لم يكمل أناتهم، صغر ومرضى وعظام
بدوا كالقوس، بجانبهم مراد يصح لهم الخطر ويساعدتهم، بينما يجلس
طرات، قماهي لم اعتداهما منه فتداهلها بسمرلة، تأملتهم قليلاً، إذ كان
المشهد ينقصه الشهيد بسري رحمه الله، ونصر أعاده الله لنا بخير، ولو
زيارة سريعة ليفرح قلب العائقة الحزين.

وقفت قريباً من أبي الذئب وقفت بجانب السيد شاذلي عند
مدخل الشقة يستقبلان المعارض، قال والد حلال:

- مباركة السارفة سيد أحمد.

- سوف نرف بها العروسين... لم أكن أصدق عروسي يوسف

سور دخاي، لقد ابتعتها بثمان بخر.

- هكذا يفعل أغلبية العائلات اليهودية في مثل مكانهم بعد أن

يتخذوا قرار الرحيل.

- إذا أردت الحق.. كانت عائلة محترمة لم تؤذي أحدا أبداً، ولم
نسمع لهم صوتاً قط، ليجاملونا في المناسبات وكأنهم مصريون
الأصل مثلاً.. لم أفرح حقاً برحيلهم.. لكنني قطعاً فرحت
بالسيارة.

ضحكت صوتاً واستطرد والد جلال:

«هل أتحدث قراءاً بشأن التهجير؟»

- أنت تعلم أنني لن أتذكر - جيد ولو كانت خطأ.

- أردت أن أتأكد هذه المرة، فالوضع الخطير غير ٥٦.

التهجير الآن إيجابي بأمر الحكومة ومن يرفضه يصحّل تبعات
له. أنت تعلمها جيداً يا سيد أحمد.

الفتى أني يكتمل جلالة نحو السيد شافلي:

- يا شافلي.. أليس تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج

مسيحة.. لن أتذكر يوم سعيد حتى وإن كان التهجير إلى دمايط.

أبسم والد جلال وهو يُداعب شاربته:

- جيرانك إلى الأبد يا صبيد أحمد يا غنوق..

أقربه أبى ورستا على كتف صديقه قائلاً:

- بل أهل إلى الأبد يا سيد شافلي.

- عقبال ما نقرح بحياة.

- في حياتك.. آخر العقود.. وبذلك أكون قد سقرت البسات.

كان جدي يُراقب حركتي بين الطكون والسلام وقد أمتد ذقنه

إلى عنكازة متأملًا أملًا، كنت أبحث عنه في صمت.. كل الأوقات.

لمر سريعاً إلا وقت الانتظار، هل يتواجد اليوم؟ لا بُدَّ أن يتواجد
 فقد حضر صابر كما يفعل كل فترة، أريد أن يرى فتاتي وتسريحة
 شعري، لا تمنني نظرات الإعجاب والثناء التي ألقاها من حولي،
 حظرتني مني ما تنقصني يا ليتنا تحكم قبضتنا على قلوبنا فنصير
 مصائرنا بأيدينا. لكن الحب سُنة الحياة والقلب لا يحكم لنا عليه.
 وأخيراً أراد يصعد السلم في سرعة يدايته المسكونة ومظا
 لا تزلزل اللذات، يصعد فأشعر بنضات قلبي تصعد معه، وتختلط
 الألوان من حوله في حبي، وعلى نسائم القرب في روعي دون أن
 أصدميها، عندما رأني تسحر مكانه وتأسسني لحظات وانضم لأول
 مرة منذ فترة بعيدة، وتحدثت رغبتي فني.

- كنت حائرة إلا أنظر إليك انتظرك.

زادت استقامته واقتراب مني أكثر وقال:

- هنا أحد أفراد عائلتي.

- هنا فقط؟

- لقد ازدت جالاً يا حياة.

أخجلتني كلماته ولم أقف على النظر إليه فقال:

- أوحشتني.

- الله وحده يعلم ما بحسنة قلبي.

- سوف يكون لنا لقاء ضروري في اسم السيم، مع اقتر

يبارق القادمة، أما الآن دعني أبتعد لأرتدي بدلتني كي أستطيع

أن أقف بجانب كل هذا الجمال.

دخلنا الشقة سويًا فصاح جلال الجميع مُتَهَجِّجًا، وصدح صوت عبد الخليم «قولوله قولوله قولوله الحقيقة قولوله بحيه بحيه من أول دقيقة» ليرقص معه أطفال العائلات في انتظار العروسين، لاحظت نظرات مراد الحزينة لجلال إلى أن توارى عن الأنظار، فثقت في جدي من بعيد وكانت عيناه تفيضان بالدمع.

- انتهى مع صابر وجلال لإحضار العروسين.. سوف نعصرها عندها من الكواقي لأخذ الصور التذكارية في الأستوديو.. لا بُدَّ من تواجد أحدهما معها.

فرحت فرحًا شديدًا لكن مراد قاطعها بملكهم الضامه - سيارتي جاهزة لخدمة العروس يا جدي.

وحسم صبي الأمر بالزلة:

- لقد اتعبتك بالفعل يا مراد.. لذلك سوف يلوم جلال وصابر هذه المهمة.

خرج جلال لجلس أقب مع مراد وجدي فأنابه شئ من الصيق حاول إخفائه، فصاح صابر:

- جلال.. حياة.. لقد تأخرنا على العروسين.. لا تريد أن تأخر على الأستوديو.

تقدمنا من صابر سويًا في سون عمه مراد يديه ولاحت في عينه غيرة واضحة، هبط صابر الدرج في سرعة وأشار إلى جلال «أتقدمه ففعلت، لكنني لمحت هيئة رجل غريب عند مدخل شقتنا صرقت.. إنه الخاخام يقف في يده كتاب يقرأه ويستم لي.. أراه كلما

أرى كل من حولي! لم أستطع أن أتكلم.. نظر جلال إلى حيث أنظر
وقال:

- هل نسيت شيئاً؟

- لا.. لا عليك.. هيا بنا.

وهبطت الفرج والحاخام يتسم وينظر إلى الـ وعينه - لم هكذا
ظن.



BOOKS

١٠ مارس ١٩٦٩

أغشى النهار والمغربة حاية. تحقني ورا ظهر الشجر،
وعلى شاة نمر في السكة. شالت من لياالت القهر. هكذا ملا
صوت المضايك المتعان والخلوب بأمل كسر في النفس.
مل مدة الكليات حلت التاول قهرني مع حدي في
الذكور. وقد بدل حيلة كبير الكي أبوح بالحقه ولم الفعل. فقد
ازدادت صرخاتي في الليل وظهرني من اليوم لم بعد يتوقف، حتى
صار حدي لم جل. لم ما كبر بطمش على نومة ولكن دون فائدة،
لم ألسي آخر مرة التي استيقظت على كابوس سمعت فيه صوته
بأق من الحاء مدخل الشقة، عند الساعة العتقة اللعينة، وهرعت
إليها فوجدته جاثيا على ركبته أمامها مؤثقة ذراعا من الخلف،
والخامام الأكبر الذي حذوني من قبل يُمسك بشعر رأسه ويطلو
بلعة عجيبة من كتابه.

ورأيت رقبته وقد فُبح نصفها والدماء تسيل عنها غملا
الأرض في جداول صغيرة حتى تصل إلى قدمي. تعرفت
وارتمش جسمي كله، مرحت عدة صرخات عالية متتالية..
لوقعت الشمعة في الدماء وانطلقت، حينها التفت أصابع رفيعة
طويلة لوزجة حول رقبتي تحقني. فلم أعلم كم من الوقت مضى
وأنا أصرخ في صلم.

وعلى صوت حليم أنظر النار لأخي من الصهاينة، النصر الذي
 سيعيد إلى جلال، هكذا أنظروا بشوق ملأ من منذ النكسة، أشعر بهذا
 كل يوم بينما الجميع منهمك في روتين يومي لا يتغيره أمي تشرب
 قهوتها مع إحدى أخواتي في مكالمات تليفونية طويلة بعد الإفطار، وأبي
 يذهب لعمه في الصباح الباكر، يصحو بعدها مرتضى ليذهب إلى
 عمله بعد أن استهن التحاقه أصنام في القاهرة خضوا المحاضرات،
 السمع أمي تقول لندر إنها قلقة أن يفترق قطار الزواج بعد أن أمست
 الثامنة عشرة وصرت غريبة بين سر العشرين،
 وإن جرس الباب رنة طويلة أزعجتني وأفاقتني من أحلامي
 الصباحية وحديث أمي المعتاد. وسمعت صوتها مرتضى متأهبا
 المخرج: **THE PIECE**

- أهلاً مراد.. تفصل.. جدي في البلكون.. للأسف لا بد أن
 أذهب ليعاد هام في الميتام.. هل تريد شيئاً يا جدي؟
 انظر إلى جدي غير مرتاح وصاح:
 - تعال يا مراد..

لم أفهم نظرات جدي لكن مراد أتى في سرعة البرق وسمعت
 صوت الباب يُغلق وأمي ترحب به.. في البلكون دار حوارها
 - صباح الخير يا جدي.. جنتك يا جوارحه فلها كما طلعت
 - كتر خيرك..

- أحزنتي مقتل الشهيد الغزي عبد المعتم وياض بالأمس
 حقاً.. هذه الأخبار تجعلني أشك في النصر على اليهود.

نصفهم جدي: اجترأته قاسمت إصامته وقال:

- نحن القاترون يا مراد في جميع الأحوال.

- كيف والأرض تضع منا ومناك؟

- نستشهد فترجع الجنة أو تنصق فترجع الأرض والجنة بحسبة الله.

بداهة: فهم متجمع كثيرًا فقال جدي:

«دعني أريك شيئا بعد قليل» الشهد: عهد المتعم

عذارة الله النارحة في التاسع من مارس.

- وهل قدما يسجد قلبي؟

- اقرأ نفسك.. في نفس اليوم خرج ملحق رجل الصاعقة

لهام «إبراهيم الرضا» ولقنهم درسا في «نور الدين»

- ماذا فعل؟

- ماذا فعل! اقرأ: لقد احتل ورجاله موقع العلوية ٩٨ التي

أطلقت منه القذائف التي كانت السب في استشهاد عبد المنعم

رياض في نفس صيحة استشهاد.

- وماذا فعلوا؟

- لقد أباد البطل كل ضابط وجندي في الموقع والبالغ عددهم

أربعة وأربعون جنديًا.

- أنا لا أصدق.. يا الله.

- صدق يا مراد صدق.. يقولون إنه عندما عبر القناة عائدًا

أهداه ضابطًا من المخابرات شريط تسجيل لأصوات الإسرائيليين

يعلمون بصريحات استغاثة كالنساء.

صحت رغماً عني:

- الله أكبر..

سالت دموع مراد من الفرحه وقال:

- بشرك الله يا خير يا جدي.. هذا صباح جميل

- جميل جداً لكن أين تذهب لعملك اليوم؟

طبعاً سأذهب.. لكن في حقيقة الأمر أريد أن أتركك في

شئ.. قبل أن أفتاح عمى أحد

نظر جدي في شئ إليه ثم إلى وقال:

- اجلس يا مراد.. أتركك قليلاً يا جدي..

- لا.. لا دعني.. أريد أن أشتري لك في السوق

- بكل عروبي

- لقد اشتريت الفقه من اخراجي ميتشور بالصدقة البحة

لما أشرت لعمى أحد من قبل، تقريباً بكل ما أملك.. والآن أعيش

به.. لكنني أطعم في أن يتطور وصير سابقاً لزمه قليلاً حتى يأتي

بشار أستطيع بها خدمة قصتي الأساسية.. تحرير القدس

ضحك جدي مسهباً بقول مراد لكنه استدرك قوله:

- يا بني.. تحرير القدس لن يأتي من أياد فقهي في بلد صغير

مثل يورسعيد..

- لكنني ألت وحدي.. لو عمل واتحد كل مقدسي وعربي

بطريقة ما حل تحرير القدس في إخلاص حورناها.. أنا أريد تمويل

أفراد المقاومة، سوف أجتهد وأنتظر ما يعطيني الله في المقابل..

- إذا افترضنا أن هذا الكلام جائز.. فما علاقة عملك أحمد به ؟
- أريد مشاركة عمي بضخ مبلغ من المال لأطوار من المقهى
لتصبح مقهى أفرنجي بدلاً من مقهى بلدي، تفتنى ريش في القاهرة،
سيكون سابقة في بورسعيد وسيرتاده أغنياء المجتمع بلا شك.

- لكن الخطة - بورسعيد قليلون - حري بك خرفه مقهى في
القاهرة، سر راء، حبها الكثير من الفئات - ثم أله منك للضمير
هذا النوع من المقاهي هنا - لدرناك

- لكنه لا تختار العديد من الفئات - أله أن بورسعيد
بدا متقف وواع، وهذا النوع من الزبائن لكتهم ينقلون المكان
الصحيح.. سيكون للمكان شهرة المستمرة خاصة أن موقعه مميز
- أبناء الطبقة السليبة كلهم متعلمون ومتفقرون وعمل زوجة
من الرعي، لكنهم لا يحسمون إلا في المقهى البلدي الذي تريد أن
تغيره أنت.. بحكم خبرتي مع أهل بورسعيد أنصحك ألا تفعل ما
تخطط له.

صمت مراد وأراد أن يقول شيئاً لكن جدي لم يعجبه الحديث
انصرف بحجة واحدة، تخاف من مراد رغبة جدي في التصرف،
وشعرت أنه يريد أن يتحدث معي على الفراد.. وقد كان غيبي
صحيحاً، فبعد أن انصرف جدي لاني :
- أردت كثيراً أن أسألك عن هذا الخناخام وجدك وما يحدث
معلد.. لكن من الواضح أنك تتجنب الحديث معي.. هل ما
أشعر به حقيقي؟

لم أحبه.. فأكمل!

- أشعر أن جلال هو السبب.. هل أنا مخنق؟

- نعم.. لا أريد أن أزعج مشاعره.. يخاف ما هو فيه.. ربما يظن أن بيننا شيئاً.

هكذا أحس في تلقائية ووضوح فقال وقد بدا عليه القصب:

للمرة الأولى، لكنه كان يجاهد نفسه في إخفاءه حتى بلا فائدة:

- حسناً.. لماذا لم توقفي هذا منذ البداية، سأنتقم من هؤلاء.

أردت أن أبدأ الحديث عما للخطاب إذ بدأت نظراته تشعرني بالحزن والقلق في آن واحد، وقلت له:

- أنا لا ألتزم إلا بما أجد أن يوقيني جدي من هذه الأرقام، لا أريد أن

أحدث مما راها، لكنني أريد أن أهدأ وأتسرع.. صدقني إن الخوف

الذي يلاخظ له اليد العليا عليّ في تلك الأيام، ولا أريد أن يزداد

الضغط عليّ من كل مكان وسأقلد تفهمك فعلاً إن كنت تعبه.

- اعتبه يا حياة أعني.. لا تقلقي فلأننا لن يشغلني سوى أمر

المقنع من الآن، فمني في التوقيع.



BOOKS

أبريل ١٩٦٩

استعدت المدينة لاستقبال «شم النسيم»، فملقت فتيات هيئة «الورد الشهي» المصروعة من القماش وقمصانهم البرق الملبلة في جميع الشوارع، وفاحت رائحة أسماك المرجة والفيخ والبصل في كل مكان، كما استعدت الشواطئ والحدائق التي يرتادها أهل البلد اليوم للاحتفال.

كان أبي في شارع جد لأنه استطاع أن يشتري الفلبي الذي يوجره من مالكو أميت أبي ألا يعلم أحد خوفنا من الحسب لكن مبهات - بورسعيد لا تنام وفي خوفها أسرار، كنا في المنزل استعداد بتحضير وجبات اليوم بأكمله في رحلتنا السنوية، وكنت مع جدي في السلكون بينما يراقب دمية «الشي» لحارة اليهود التي علقها ساكنوها الجدد من المصريين، بعد أن تركها ممن تركها من اليهود وغادروا مصر.

شردت قليلاً وقلت لجدي - لقد اشترى أم التليفزيون مد الحاخ كبير، ومع ذلك لا تشاهده أمي إلا قليلاً ولا تدعني أشاهده إلا معها! - وداد تخاف عليك يا حياة. - تخاف من التليفزيون؟ لم أعد صغيرة يا جدي. - أعلم جيداً، السنوات تسبقنا دائماً لكن لا تقولي لأهلك

أنا كثير، تسعة عشر عامًا في عرفها تعني أنك لا بُدَّ أن تزوجني
البارحة.

- ألا تريدني أنت أن أتزوج؟

- هذا يوم المني.. ولكنني فقط أدعوك أن يكون عريس أفتحه
كان مستعدًا بكلتا يديه إلى سور البلكون حين سمعته صخبًا
عاليًا يأتي من الشارع بالأسفل، فجميع بيته عراكًا بين جمهوره
من الأشخاص لكنهم لم يستطيعوا أن يمسكواهم أو مصدر الصوت،
وظلمنا نظر لبعضنا البعض حتى اهتدي جدي اليه فجأة.

- أظن أن الصوت فاقه من مدخل العمارة.
فأجده وهماء صوتي يهتلع من شدة الصرخة خوفًا من أن
يكون أحد إخوتي يتردد في هذا المراك.
- إذا هي يا لثري ما يحدث.

حطت الدرج سريعًا بعدما فتحت الباب دون أن أعير اهتمامًا
لصياح أمي من خلفي وطلب جدي بأن أقف. هل هذا صوت
جلال؟ مهلاً اعتقد أنني سمعت صورته، لن أتوه عنه بالطبع!
كملت أتبع الصوت إلى أسفل الدرج حتى اهتديت إليه.. إنه
جلال بالفعل، جلال جاء من الزيارة، ولكن ماذا يفعل!!

كان وجههم يبدو مشحونًا بالغضب ويحمل بينه وبين الشخص
الذي يتعارك معه جسد أبي الطربل الذي لا يقوى على قضي هذا
الاشتياك الغريب! هزولت إليهم وأنا أخشى الاقتراب في أن
واحد اثنين وجه الشخص الذي يتعارك معه.

وإذا به مراد يظهر من العدم ويحاول إحكام قبضته بقميص جلال وهو يصيح:

- هل تظن أنني لو أقدر على شخصي مثلك؟

بيتا يعلو صوت أبي في وسطهما ومن خلفه غرياء من القهبي ربما أو مارة من الشارع ثم أمد أعلم!

لكن جلال لا عا أي شيء سوى الود على مراد بافعال الألفاظ. يا الهي السهل له حيل الذي خشي أن الخمر حقا ما لا أفيته وأستعم العذاب الذي نصه عن نظم البشر من بعيد. العذاب في صمت ولا أقرني على الاقتراض فلها طرف كسبة سارة بالمائة أنني السبب مما يحدث لكن الأذى هو جدي الوحيد.

ثم يبدأ على كماله إلا الحيلة وصل جدي بعدما سار على مهله متكتا على الدرابزين درجة درجة حتى بلغ أسفلهم الحفظاء وبدأ يفض الاشتباك على طريقت في صمت جعل جلال ومراة يستجيبان له دون نقاش. حتى أخبرهما أن يبعده إلى فوق على الفور. ومن ثم التفت إلي وأشارني بأن أصعد أو لا كي لا أسير إلى جانبهم حتى.

خفت كثيرا من ذلك المشهد ومن ردة فعل أبي وأمي لكني حاولت جاهدة أن أخفي هذا الحرف وأنسيت إلى العمل ولم استطع سماع ما دار لهما في البيت. بعدما اصططهما جدي إلى هناك. حاولت التناصص عليهم لكن نظرات أبي كانت تلاحقني في كل مكان حتى جعلني ألتصق في الكلام وأنا أسأله أملا في تهدئة

الاجواء!

- أبي، هل تعلم لم يحدث ذلك؟

فنظر إلى نظرة تعريبي من داخل لكنه لم يرد إلا بعد فترة وكأنه شعر أخيراً أنه لا ضيف لي في كل ذلك.

- لم يحدث شيء يا حيا، جاء مراد إليّ كي يفتحني في موضوع المقهى لكنني فوجئت بجلال يحاول إثارة غضبه بالسحرة من الفكرة وببعضها عندما تقابلنا جميعاً وحكيته له وكأنه يحسد ذلك.. لا أعلم لكن الوند لم يفعل شيئاً لكل ذلك!

قالها لي في ليلة أسى توضح كيف كان تراثي في المقهى لكنه فُضِبَ كثيرًا عما فعله جلال، لم أستطع الرد عليه إذ خرج جدي بهما من الطحونة ورعشي كان منها ينظر من بعيد على أنه يكتفها بالف معنى مما جعلني أقبل إلى الجلس من بجوار أبي كي لا يمتلئنا فرصة الحديث معي رغم أنني أعرف أنها لن يجروا على ذلك.

ودخلت لجدي الذي عاد لمكانه سريعاً أسأله:

قال لي أبي إن جلال من بدأ! هل هذا صحيح يا جدي؟

قائسهم ولم يعلق، بينما أراد تغيير دقة الحديث فالتفت إليّ

سريعاً..

- أتذكرين حديثنا عن «المورد أنني»؟

بالتأكيد.

- توأرت الأجيال هذه العادة حتى أصبحت من التراث

الشعبي لأهالي بورسعيد، لكل شارع وكل حارة أنني خاص بهم، انظري.. لقد أنزلوا الدمية.

فهمت من كلامه أن ما قاله أبي صحيح وأنه حاول حل
 المسألة في هدوء وانتصاض غضب جلال الذي يبدو أن كرهه
 لمراد صار صريحاً الآن.. فأخفيت قلقي في داخلي ونظرت إلى حيث
 يشير، كان أبناء المقاومة الشعبية يسرون في موكب مهيج، يرفع
 أحدهم قبة على هيئة «اللورد النبي»، ويلتف حولهم جمع
 فئات الشعب للشهوان، أما الذي ياتي مألوفة.. في حكايتك
 تبحث بضم حة.. ثم الأطفال ثم الذين في ادمه الحكيات لم حمر
 لا يعلمون حقيقة هذا الالهي الظالم، لكنهم يتصورون بفضحة
 كل سنة، وبعد انقائهم من مراسم الاحتفال لا يترشحون النار في
 الدمية، واشتعل الصباح بين المتجمعين فكانت على اقل اموات
 كثيرة قادمة مع حماري الحمار لا اله الا

ومعني جدي في حب وكأنه يعلم كم الصراعات التي صارت
 تسبح بداخلي وقال:

- هل ما رأت تحفظين بالسر الذي جعلك تصرخين في وسط
 الليل عن جدك؟

أشحت برجهي بعيداً ثم نظرت له في ثبات:

- كابوس فظيع يا جدي وأنت علمتني ألا أسرد الكوابيس..
 لأن جرمي الباب طلقني من مواله.. فتحت أحي الباب في
 مزج بعد ما تحدثت منذ دقائق قد دخلت الست أنية وكأنها تحاول
 التكفير عما فعله جلال بطريقة الخاصة وتعيد اليوم إلى نصابه
 الصحيح.

- نحن جاهزون يا أم حياة.. الخير والخس والجور والخيال..
الترمس والحمص أيضاً.. والنباه والعصائر الباردة..
- وأنا جهزت الراحة والقصيع وترمس الشاي.. هل مباتي
جلال؟

- لا أظن فكم من الممكن أن يلحقنا إلى هناك

عظيم..

وماذا عظام من الأسفل..

- السيارة حامية يا حياة.. أحملني الحميم..
قادني السيارة إلى طريق.. التربة الخلوة بالقرب من الشجرة..
هل أن يستقل صابر وزوجته وانفما سيارة الحاصلة، وعظام
ومرتضى مستمتع والذلال.. في الطريق قالت أمي إلى جميع
أفرادنا وأزواجهم سوف يلحقون بنا.. كما أنها دعت مراد أيضاً
ليصلي اليوم معنا كي يأسس بنا.

لكن أين جلال؟ اليوم ميعاد لقائنا كما وعظمتي وها هو يبدأ
بعرارك صخيف لم يكن له ضرورة أيضاً.. أخشى أن يكون ما حكايا لي
من غير صحيح وأن ما أزعج جلالاً هو شيء أكبر بكثير، شيء ربما
لن نعلمه يأتي إن علم به جود مراد هنا.. وحتى لو جاء هل نستحقنا
الوقت قليلاً من الخلوة وسط كل هذا الجمع الصغير؟

الشمس مشرقة والجو بدیع، حقاً أحب الربيع بكل ما يحمله
للشمس من بهجة، يحب الإنسان كل ما يندق على وتر الأمل في
سوقه، يحب أن يحلم ويصدق أن أحلامه ليست بعيدة، وأنها لا

بل ستحقق يوماً ما، ثم يعيش على هذا الأمل ينتظر ما تحق ولو
تكلف الأمر دماً، إنه الشغف الذي يبقك مستيقظاً ويدفع بك
إلى الجنون.

قرئت الملاحظات على أرض الحديقة الوارفة، وجلست بجانب
أمي والفتاة أيسا، وجلس الرجال مع أبي ووالد جلال على
الفاطحة المشوية المصصعة كالزوار بجانبنا، حينها ظهر من بعيد
غياب لم أكن أدركه وأشم النسيم حين غلته جلال في البداية
لكنه لما اقترب عرفته أنه مراد

جلس الجميع يتحدثون في كل شيء يدور في الجميع احتفاءً
العائلة، ويحدث الأمل حين الأيام الحارة، وحقول أياها حين
التي لا تركض فيها الحركة التي ويكت لأنها تفقد صوت المرح
الذي لم يعب عنها أبداً طوال إحدى وعشرين عامًا، وهي تمر
التي يسري عندما استشهد في ٦٧

لاحظت أن مراد ينظر لي على استحياء بإحسان الرأف في
الحديث ويحرم من الأشعر به، لكن مشاعر الحب تكسب رغباً عن
الجميع، وتغضض ضاحكها تجعلك تشعر بكل شيء دون حديث.

جاء وقت الغداء وبدأت أفقد الأمل في رؤية جلال، وعندما
فقط ظهر من بعيد ولم أشعر بأشعاري التي غابت وهي تخرج
أخيراً، وقصصتني مشاعري، عندها لاحظت غياب ابتسامة مراد،
التي ارتاحت في غياب جلال كما أظن، لكن جدي كان مراقباً
جيداً لنا جميعاً رغم تظاهره بعدم الاكتراث لشيء، أقبل جلال

عليها مازحاً أو ربما يحاول أن يظهر لاهيالة متقطعة النظر كعادته.

- أنا جائع.. أين الفسيح؟

حينها اقترب منا مراد قائلاً:

- دعوني أساعدكم في تحضير الوجبات للجميع، أراحتكم

جميعاً أنتم تسرع منكم.

رمت جلال في ضيق ولم يعثر وكان بينهما لغة صامتة لا يفهمها

غير الشباب في عمرهم، لغة تلوخفة في جميع الأحوال، انضم

مراد إلى الرجال، في حين نظرت له أنا في البداية، فما كان منه إلا

أن اقترب مني أكثر مُصطحباً أعداد الطعام وقال في صوته خافت:

- أعلم تلك توبيلين الأتعداد قليلاً جلال، سرف أساعدك

في هذا الأمر العجيب، إقم إلا لما فعله لا يعتبر.

اندهشت منه أكثر فلا أحد مبرراً واحداً لما يفعله، لما يساعدنا

رغم أنه يبادل الكره دون أي شك؟.. هل حقاً جعلنا الحب

نصحي بهذا السبل، ظل جلال على غير طبيعته مع مراد رغم

محاولاته التقرب منه والتي ربما كانت تأتي معه بتيجة عكسية تماماً.

مع ذلك مضى اليوم في سلام، لكنه كان أكثر عدداً وأقل بهجة

بعياب الشهيد.

بعد الغداء كان الجميع في حالة ونعم، فانضم الحاضرون على

القاعاء الحشية إلى على السجيلة يستظلون تحت ظل شجرة كبيرة

يجسرون الشاي، وانشغلت كل عائلة صغيرة بحديثها، فلما بدأت

أشعة الشمس في الانحسار قال مراد:

- هيا بنا يا شبيب لنمشي قليلاً عند التربة، لن نعطي اليوم
ماكثين على النجيلة.

نظر إليه إخوتي في كسل فقال صابر:

مباحق بك بعد برهة. التهمت ككراً من القيقع. لا

استطيع أن أجلس

أرقت يا صدام؟

- كاشي قاتماً يا صديقي

- لم يعد إلا برصعي وحالاً وحياة، وما أظنني أفعلي ناسم
فتمشي قليلاً قبل العروب.

نظرت أمي إلى منشفة لثني خفت من البرق ففتت في القيام
من مكان. نظر حدي إلى الأورار غشي فالتفت إلى جلال أمراً:

- هيا يا جلال لنأخذ حياة في تربة قصيرة عند التربة مع مراد.

كانت أمي تعلم جيداً رغبة حدي في أن يماطي بجلال، لكنها لم

تباركها لعدم حبة جلال في نظرها، لقد بدأت ترى في مراد حريشا

سامياً ومقداراً، فلاحث عليها تعبيرات خبيث تكتتمها براعة.

سحدي أنا أفهمها، نظر جلال إلى حدي في لوم وقال:

- أوامر يا حدي.

مشياً تحام التربة يأخذ جلال مرفعة يهي لمراد فليما

غاب طيقنا عن الجمع، نظر مراد لجلال وابتم فقال:

- هل أنت مرتاح الآن يا صديقي؟

نظر جلال بطرف عينه إلى مراد وكأنه يضطر للحديث معه

- أنا لست صديقك، وأنت تعلم ذلك جيدًا.

- حسنًا حسنًا، فلنغير الموضوع.

في الحقيقة كانت تدهشي بعودة الأعصاب التي يتحلل بها مراد كثيرًا فهو أمر لم أره لا في جلال ولا في أبي ولا في أي من إخوتي، ربما في جدي أحسنا لكن أي رجل آخر في عائلتنا فلا، عرب أمره لكنه وبشر بمسؤول عليها تحدث رغم ذلك. كنت انظر إليه بدهشة من صبره لكنه راح ينادي بهذا أصلاً في محاولة فتح حديث يجذب انتباه جلال مرة أخرى قائلاً:

- أظن أنه لم يسمع بأن اشتعلت الآن، المقاومة الشعبية والفدائيون، عمليات الجيش السرية حملتها على الجيش الإسرائيلي... أظن أن أتاني الشواهد قويتاً على إسرائيل بأفعالها.

لجّج مراد في مسام حين جاء على ذكر إسرائيل إذ انفعل خلال محاول السيطرة على أعضائه ليحببه بهدوء اعتناؤاً لوجودي بينهم:

- أنا لا أحب ذلك «إسرائيل» يا مراد. هي «الكيان الصهيوني» حسب، مجموعة من الطغاة شكلت عضاية دولية تمثل الكثير من المال والنفوذ لتفرض على العرب.

- ما يدق في لحيون أهم يشركون في حذر ونظام... لماذا لا تعلم منهم؟

- تعلم منهم؟! كنت أظنك فلسطينياً تعرف تاريخ عرونتك جيداً!! هؤلاء المشتون في الأرض جمعهم للسطر على أراضيها ولولا قيادة ودعم بريطانيا منذ ١٩١٥ لما كان هذا الكيان القذر.

لاحظ علامات الحزن والضيق على مراد حتى الحصى وقال:
- لعنهم الله كما شرّدونا.. يا الله لقد تسببت معاداً هاماً في
المضى - فلنعتبرا مِمَّ جيمعاً لا بُدَّ أن أنصرف الآن -
أردفت في شفقة عليه:

- أُمِّي مَعْدُومٌ يا مراد.. الجميع إجازة في شم النسيم - صَبْرٌ مَعْدُومٌ
يا الله لا يملك إقامته العطلة.. لغيره ليعتدل به أو لكي
يرام بروت - من التفتيا -

أطلق مراد العنان لقدسه وكان يهرب من كلبه خلال التي
تلاحقه كالسهام السومقة، فطارت إلى جلال في غضب:
- هل لك أن تسبحي حناصرك جانية ولا تقطعي كل هذه السوم
في وجهه الرجل لا يكفني كما فعلت صباح اليوم! لما قد تسببت له اثماً
وسرّد له واقعاً مريراً يعيشه.. ألا يكفئك أنه فقد كل أهله وهاجر
إلى أرض غريبة؟

- لقد انتظرت كل هذه الفترة كي أراك - وباليستي ما فعلت
لأراك نذاقعين بحرقته عن رجل عزيز، الآن تبين كل شيء -
يا جهي نفسك بالحقيقة يا حياقة.. أنت تُحبّه حقاً، اليس كذلك؟
- هذه أوهامك التي تصدّقها، هذا الذي تظني أحيد موسى
رتب لنا الآن لقاءاً مضمّن الأمل لأنه يعلم بحبي لك
اندهش جلال ثم التفت ينظر إلى الترحمة عاقداً حاجيه
فاستطردت قائلة في غضب:

- وهو الذي يقف بجانبني فيما يحدث من غرائب في الشقة،

هل تذكر الرجل الذي وأبناه على سطح العمارة سوتياً؟

- وأبته وحده.. أنا لم أؤشيكاً لأنه لم يكن هناك أحد.

- حسناً.. هل تذكر اليوم الذي رأيته فيه أصرخ بعد منتصف

الليل ولم تكلف نفسك عناء السؤال عني؟ هل تعلم أن هناك سحراً

أسود في البيت؟ أنا على يقين من ذلك.. ولما كنت أرى حزام في

البية تحرق في ريح اليناء حدي.

- رجل على السطح وسحر أسود وحزام؟ خيال وحسب..

- كنت أعلم.. علم اليقين أنك لا تفهم.. ومع ذلك لم أكرهك..

ما كنت أستحق أن أحبك أو أكرهك.. من يجب أن يصدق

حيه ويسأله.

- يمينك قاطعاً.. كل ما في الأمر أنني لا أجد التعبير عما

مور بداخلي.. ولا أؤمن بالشعرة.

- هل تعلم أن مراد قد وعدني بالمساعدة في أمر الشعرة هذه؟

- آله.. الأمر يتعلق بمراد ثانية.. حسناً فليساعدك على حل

المفزع الكبير الذي لا حل له.. أما أنا فوطني للجيش والنصر الذي

بدليل له نحن نخسر الأرواح كل يوم على الجبهة لنوصل رسائل

واضحة للمصهاينة، لنؤكد أن أرواحهم ستكون ضمن بختهم في

سنوات، وفي الوقت نفسه لبث روح الحماس والقتال في الجوده

إلها حرب الاستنزاف.. بني جيشاً من جديد، جئت أحدثك

عن مستقبلنا في بلد تكافح من أجل حريتها، أفكر مائة مرة قبل

أن أرتبط بك فتصبحين امرأة بين ليلة وضحاها، وأنت تلوميني

لأشياء تافهة تقع داخل عقلك أنت وحدك من أثر الرغبة،
يستهي الضيق .. لا وقت لدي للمخاوف .

- حنا - فليساعدني مراد لأتخلص من تافهاتي ولتبق أنت
على الجبهة.

- هل صافرتك ؟ هل هذا ما تساعدني به لأواجه الصحابة ..

الصحابة الذين ظل حنا روس تاريخهم لتأمل الصغر الصحابة
يحتلون البلد ونحن نفتدي الأرض بأرواحنا .. وأنت تكسركم

مرأني غريب مشعر تفعلك بالمخاوفك وبأن ملاياك حقيقة
- مراد لم يعد غريبنا بسا وأنا لم تصبري معي من .. أنت لم

تصدقني ولج شعري ..

- لكن مراد فعل .. الحنا .. لعود الآن إليهم لا أريد أن
أحدث أكثر من ذلك .

عند عودتنا بعد الغروب كان إخوتي يلتحفون بكل شيء إلى
السيارة .. وأنهم كل فيما يفعلون وقرا حدي وأمي كل ما حدث في

وعيني ووجه جلال وغباب مراد .



أوائل ١٩٧٠

طشين صوت الحاحام اللعين «أخبره أن يترك ما يخفيه».. لم
يتوقف في أدنى مراحل القلب، حتى استيقظت في أرواح أفكر ما الذي
حفيه جدي ويريد الحاحام؟ وهل حقًا لهذا الحاحام وجود؟ هل
حقًا هو سحر أسود كما قال مراد؟ استعطني صديت أمي الغاضب
م مني فتفتح متاك المرفق

- صبحي اليوم يا همام - اقتربت الجماعة من العائلة صباحًا

- صباح الخير

- لا أظنه خيرًا يا بنت أحمد اللطيف

- لماذا يا أمي؟

- لأنني أظنك تستعدين لرحلة لن أسمح بها في العائلة..

شهور قتال ويصبح صورك حزين عامًا بالتمام والكمال..

صحيح...

- بورا.. علمت يا أمي.. سأصبح بورا وأنا سعيدة بذلك..

- إذا فتعلمي أنني أعلم تعلقك بجلال الذي لا قائلة منه..

أ حتى لا تهتم بك في زياراته المتقطعة، كل ما يفعله نظرات هنا

ومناك.. هل ستزوجين النظرات؟ لا أنكر أنني أحبه كابن لي

و كنت أتمناه لعرقنا الوثيقة بأمله، كما أن أمه تحبك وتعتاك لكنها

لا تملك كلمة على انتهاء إذا هي مسألة متعبة.. سيصبح شاكك في

انتظار من لا أمل فيه.

- وما المطلوب مني؟

جلست أمي بجانبني وتغيرت تبرة صورتها.

- أريدك أن تصبح لنفسك يا حياة، فلن يعمر أحد منا لك،

انظري حزنك سلطه الجميع تزوج أو أنه في طريقه إلى ذلك، يا

حسبي من بينك الشربة، هكذا هي الدنيا يا ابنتي، صدقتي..

لا شيء يحول بين الرجل وبين ما يريد، الرجل إذا أراد شيئاً منه يده

لأخذه مهما كانت الصعوبات، لكنه إذا ما عطف وشاغل وتحمج

ه أجل وامتنع، فأغلبني أنه حتماً لا يريد، سوف تبت لك الأيام

صحة قولي، فقط اعني أن تبتها قبل أن يمت لك الأمل..

أخافني كلمات أمي أكثر من كلمات الأخام، وألت نفسي

تبراً، هذا معناه أن شعوري بجلال شعور خاطي.. أخافني صوت

أمي مرة ثانية..

- ما له مراداً أراء يتوّد إليك وإليها، يشري خاطرك

ويعاملك باحترام، المرأة تستطيع أن تتزوج بلا حب، لكنها لا

تستطيع أن تتزوج بدون اهتمام واحترام، لأن بها يأتي الحب.

- هل تريد مني أن أتقدم لمراد الذي يتوّد إلينا؟

- أريدك أن تعاملي مثلنا تعاملين حلال وهو سيفعل.. هل

صبت أم ابني أنكلم مع صدم؟

قاطعت صوت عصا حدي صائحاً:

- يا حياة... أين قهوتنا؟

نظرت أمي باتجاه صوته قائلة:

- لقد أضدك دلال جدك لك ولم يسه.. هيا اذهبي إلى السوق
لتحضري السمك من عم مصري، ثم إلى الطرايشي لتأتي بطربوش
أبيك.

- لم بعد أحد يترددني الطربوش إلى الآن!!

لا تقل لك بهذا.. أمك من تلبية العمل ما ألبية عملك دوا
نقاش.

- أصعب لحدي الشهرة والذهب

بسرعة، أريد تحمي كل شيء قبل عودة أبيك وأخوتك
مشاعدي أجال حول حودتك، كما أن غصام حلق وصول من
الجامعة بالقاهرة، لا صابر في زيارة أريد غداة مجيئا من أجله.
جهزت الغداء في تمام الثانية والنصف عصرا كمادتنا التي لم
تقطع ألباء كحال البلد كلها، لظور باكتر، غداء باكتر ثم قيلولة،
غداء باكتر ونوم باكتر ثم تصحو البلد باكملها من جديك في وقت
باكتر أيضا.

◆ لكن أبي حضر واجئا ولم يكن الحال مختلف مع اخوتي، وصاح
في أمي:

- لقد دعيت مرارا للغداء في هذا المسكن وحيه وبائس.

تهلل وجه أمي لمرحا وقالت وهي تنظر لي:

- خيرا ما فعلت يا سيد أحمد.

على الغداء كان الأمر دوتيا ومملا بعض الشيء، الجميع

يحدثون عن السياحة بلا انقطاع، في حين يحاول جدي التعبير
لكن الدائرة تدور وتقف عند ما يحدث في فلسطين المحتلة الآن.

والحة البخور العربية ملأت الشقة من جديد، نظرت حولي
مُرَتعة، لا شيء غريب، لكن هناك عند مساحة الحائط الخالية تظهر
نجمة داوود التي كان يمكن عندها حانئام، النجمة تظهر وقصبي.
لكنها ظهرت بوضوح الآن ولم تختب وتختب عيني مُتتة عليها
وقفت من تناء إلى الطعام، لم يلتفت أحد لي إلا جدي ومراد. انظر
مراد إلى الحائط وقد فهم أن شيئاً ما وراثياً يحدث الآن.

نظر إلى وأشار إلى الطعام في إشارة إلى أن أحمل غذائي
لكنني لم أستطع أن أقبل. همت الساعدة العتيقة مني فالتفت نحو
الصوت. قال صليبي

- يغمرنا إحساس المرق أحباءنا، لكننا نرى البر عند عمليات
الصاعقة الجريئة. أنا حقاً فخور بكل جدي على هذه البلدة بكل
شهيد، الغدائون يواجهون العدو بشجاعة، المقاومة الشعبية هنا لا
تعرف الخوف.. سوف نرى النصر قريباً وننتف نحي الثورة.. نحي
الحرية.. نحي مصر.

نحات آتال تؤمن بالفكر صابر وتقدس كل ما يقول، تنظر إليه
دائماً وتردد:

- مصروط.. نحي الثورة.
تنظر له عصام تهكمًا يبدو على وجهه الاعتراض، وقبل أن
يصم بكلمة، لاحقه جدي في هدوء:

- أعرف ما ترغب في قوله يا عصام.. عندما تكون جزءًا من حدث ما فإنك لا تراه.. هذه حقيقة الأمر مهما حاولت إقناع نفسك بغير ذلك.. لا تحاول إطلاق الأحكام الآن.

نظر صابر إلى عصام الذي امتلأ بالغضب:

- ما زلت صغيّرًا.. لا تفهم شيئًا من حولك، هل تشعر بالخطر على الجبهة؟ هل تشعر بالخطر وأنت تجلس هنا في بيتك تأمل المصعد وسط عائلتك؟ هل سمعوا بكينيء من الخوف فتكلم؟ تنادون بشعارات.. عرود شعارات، تقرأون الكتب من الكتب دون تطبيقها على الواقع الواقع.. إن هذا الرجل.. (رجيم الألف العربية يواجه الواقع لا الشعارات).. وسوف يكون التاريخ إحلامه.. لم يهتم مائة بطلانهم أو كان يلتفت حوله من حين لآخر، بينما ابتلع مرتضى ما يأكله ونظر إليهم في سخرية:

- أنا لا أبالي بالثورة ولا بالحرية.. أعطني خبرًا اليوم واضمت لي غدًا، هذا كل ما يهمني وأعتقد أنه ما يجب أن يهم الجميع.

كان جمال ابن صابر من الثلاثة أعوام يلعب عند نجمة داود، ولحظة صرخ وهرج لخصن أمه، أخذ يشير إلى الحائط ويتعلم بكلمات غير مفهومة، لكنها طبقت عليه ولم توله اهتمامًا، فهي نصب تركيزها على دعم صابر والثورة حتى ولو في مناقشة عابرة. بينما غضب صابر غضبًا شديدًا من كلام مرتضى وصاح:

- كما محتلين بلا كرامة وأنت تحدثني عن الحزب!

سريعًا أردف مرتضى:

- والآن.. هل أصبحنا أحرارًا؟

- نتائج الثورات لا تأتي على طبق من ذهب، الثورة نجحت في أغلب أهدافها.. لا تنسى أن الدول العظمى لا تريد لمصر أن تقف على قدميها أبدًا لأنها تخاف على إسرائيل من قوتها.

- الدول العظمى ستبقى عظمى والدول المحقة عليها أن تستسلم، في الخليج، طالما أن المحتل سيظل محتلاً.

- ستصبر، لو كان الشعب أمة

قال أبي في حربة

- لو كان الجو يحسب يسي هنا ما انتصر للثورة ولا للخير، والما سيصبر حرية الأرض.. كان سيصبر لمصر.. ففكروا الصورة الكبيرة.. للمرء لا لغيره.. إذا سلكنا الأرض سوف تنتصر الثورة وسيحسن الاقتصاد تدريجياً.

استوقف حديث أبي مراد وحلب اهتمامه فقال:

- هذا ما يحتاج به صديقي منذ أن بدأ هذا الحديث يا عمي، الأرض.. الوحدة العربية هي الحل، لا بُدَّ أن نسرّج الأرض، قلبت دموع جدي عليه فقال:

- رحم الله الشهيد يسري.. لا تكن تدري أن الثورة سوف تفرّق بين أبناء الأسرة الواحدة اتصال كيف للشعب أن يتحد؟

توقف الجميع عن الطعام وقال صابرو:

- رحم الله يسري ورزقنا الشهادة.

على إثر كلماته خرجت أمي عن صحتها المعتاد صالحة.

- كفوا جميعكم عن هذا الحديث رد لن يذهب أحد للحرب،
 كفاهم يسري.. أنا أحترق كل يوم وأيدو قوّة من أجلكم وأنتم لا
 تشعرون.

لم يكت ولم صابر أنا يقول شيئاً فنظروا لي ليلتزم الصمت
 وعزف الجميع عن الطعام، لكنني التابني الذعر لما رأيت جمال
 يتمتع بكلمات غير مقهومة من جديد والحالهم الآن يشبه بحالت
 قلبي يصير ليلاً -



BOOKS

www.egyptianbooks.com

يونيو ١٩٧٠

تحرر لا تعلم ما تحب لنا الأقدار لذلك ترسم خطوات
وخطوط الحزب ما تحب وترسم غير ما صهرته وما عليا عليها
إلا تقبل الأمر والتعامل معه أو تحطبه، لكني لا أستطيع أن أقطع
صداقه أو ألقاه.

هذا الألم الكبير الذي اختبرته به الحياة لم يذهب مني كما
طنت، إنه عالق بداخلي في انتظار الوقت المناسب للظهور من
حديد. لم أكن أعلم أن هذا الحزن قد علقني لم أكن أعلم
أنه يحتلني احتلالاً كاملاً.

وتعلمت في حياته كيف أحزن وحيدة، وكيف أفرح وحيدة رغم
وجود الكثيرين حولي. وتعلمت أن هذا العالم لا يعا كثيراً بما أشعر
به، إني أفقده، أفقد كل شيء في صحتي، هذا الأمان الذي يعم حياتي
وجوده، فقدت المزم أن أتجاوز كل اختلاف من أجله، اليوم تفسي
كل يوم من أجله، موقف الصالحه عندما أراها أعلم أنه يأتي في زيارات
محاطة متباعدة كي لا أراه والأشئ أصبح وأمس على أمل لقائه، لم
يكن يفتني من غشوتي إلا وجود الحانغام اللعين!

في الظهيرة كنت أعدد الطعام مع أمي في المطبخ، وكان أبي
وحدي وعصام وميرتضى ومراد يستمعون إلى الأخبار، قدمت لهم

القهوة وسمعت أبي يقول:

- هل تعتقد يا أبي أن هذا الناصر سيوافق على وقف إطلاق النار؟
- بقصد المبادرة ووجيزة المقدمة من أمريكا؟ لو كنت مكانه
- لمعت، فرصة ليستعد الجيش من جديد.
- الأمر ممكن لا يقترحون شيئاً ليس في مصلحة الصلح..
- جميعهم واحد

بعد استناده يسري أصبحت تهمني الأخبار التي كنت
أقراها لها، كان مراد جُمعلت في الحائط وتدهل لم تفلت حوله
واعتدل في حليته وقام لي شيء، وما لي الخوف في حق أنظر
إليه تستلثت نظري به يلحني مرتضى غاضباً ويظهر إلى جدي
في ضيق وهو يقول الظواهر لا أحد يعلم ما أواجه وجدي،
تأهلي مراد في دهاء وأخذ رشقة من قهونه وقال:

- أسمع جدي.. الجيش يحتاج إلى الاستعداد سوى ما
- محدث..

وعبر شباك المطبخ الذي يقابل مثيله في شقة جلال، سمعت
صوت جلال الذي لا أنظنه وأنة تصرخ باسمه في فرحة، لا بُدَّ
أنه في زيارة، لم أتردد في إتخاذ القرار فالأمر يتطلب بعضاً من الجراحة
أحياناً، أمسكت بالملح واقترعت في صندوق التمامة، وقلت لأبي:

- أين الملح؟
- عندك في البرطمان.

لوحته في وجهها قارعة فقلت وعيناها تدوران في المطبخ كله:

.. هذا عجيب! لقد ملأته البارحة فقط!

سوف أحضر بعض الملح من ابلة أيسة.

- أسرع.

ذهبت إليه وأنا أمسك بقلبي في يدي، أنا أعلم أن والده لا يأتي إلا بعد الظهر في هذا الفترة، طرقت الباب وأعدت صبي، سمعت أن أراة، سمعت لم أقول له كل شيء مرة، سمعت له أقول له كيف أوجعي مراهقة وعطسه، حتى لم تطلب الأمر أن اتبع نفسي بل أن أأخام من صبح عقلي، من وقت تصبح وطويل على قلبي... فتح جلال الباب ووقف ينظر إلي في يده العنكبوتية وكأنه لا يعرفني، نظرت له واستغفرت لصاحبي وأمل وكلمني أراة لأول مرة، كذبت أنني من مراهقة عظمى أو الجاني وقد مرت أشهر لم أراه فيها، لكنه قابلني بوجه خرساء ووجه بظلمة البرودا، مرت لحظات صامتة صامتة بينما نقول كل شيء، يا عينا..

- لقد أوجعني كثيرًا، إنني أحبك ولا أريد سواك، أنت خطي، لو كنت أنني قد أمسك أن يميل قلبي لشخص آخر.. معك حتى في كل ما تقول، فقط أرجع لي.. جلال الذي أحبه

- لم أعد أحبك ولا أهتم إذا ما أحييت مراد.. لم يعد سمعي الأمر منذ لقائنا الأخير

أفاقني كلمات والدته:

- من يا جلال؟

نظر إلي وأخا وترك الباب ودخل! كانت أنني غير مصدقة

لم لا أنا وأنتي أمه فأنشبت للأمر ..

- حياة .. ادخلي يا حبيبتى .

تلجج لساني وقطعت أنثى لست على ما يرام فأمسكت بيدي
وأدخلتني وأغلقت الباب، نظرت إليها وبكيت .. أحضرتني
وبرئت على ظهري في حنان وقالت :

« ماذا حدث ؟ »

دخلنا المطبخ وتحدثت السيطرة على شعوري وبكيت كل ما
أشته في وجه جلال من برودة قالت السيدة للسيدة
- اسمي يا حياة، لتحدثت بصراحة وأخبرتني أني بطل هذا
الحديث يتأسراً لا يعلمه إلا الله، لا تخطيني حاجة، أنا أعلم
حقيقة مشاعركما ، فقل لي ماذا حدث ؟

جفقت دموعي وقد اطعمت كثيرًا الكلامات :

- لم يتحدث جلال بكلمة واحدة معي ، لكنه قال كل شيء في
الحظات الآن .. لم يعد يحبني ..

- هذا كلام فارغ ، جلال ابني وأنا أعلم بما يشعر دون أن

صرح به ، جلال يحبك يا حياة ، ويقار عليك ويخاف عليك من أقل
الأمور التي قد تحدث .

- إذا لماذا لا يريد أن يراني ، ثم نظرة منه يوم ثم السهم إلى الآن

وهو يستعد عني أراه مصادفة مع أحد اخوتي لجلسم باقتضاب ويعتذر
ليحضره ، أنا أحيه لذلك صبرت كثيرًا ، مررت منه ، إلى متى

أتحمل ؟

- صار حيني.. هل تربطك أي علاقة بمراد؟

- حتي أنت يا أبله!

- أنا فقط أنا.. اتركي لي الأمر ولا تبكي.. اصبري..

سمعت صوت أمي غاضباً غير شبك المنور المقابل:

- يا حيا الله..

انتهت السيدة أمة الشباك وقالت:

- وداد.. هذا حتي تراك أمهم.. أراك جئت مَحْجَة الملع

أومأت لها موافقة، فأخذت مني الرطبان الصالحه قالت وهي

تصحبني إلى الباب.

- لا تقلقي سوف أتعذب معك.. لم أنتي أجهت بنا لو

أرضي لها ملة العذراء ^{عَلَّام} على خلق ولا يلعب بنات الناس..

أنا أعلم أنه ولا بُد عاصب فقط.. اتفقتا.. حقني وسو عك جيداً

كي لا تراها أمك.

ذهبت إلى باب الشقة الموارب ودخلت فأغلقتها، وما إن

دخلت المطبخ حتى وجدت أمي تمسك بصندوق القمامة وتُريني

ملح قيدة تفاجأت ولججنت منها ولم أعقب لمات.

- هذه الأعمال لم تصدر من قل في بيت الدن، وإني أحذرك يا

حياة لو أنك فكرت في شيء.. قبل مرة ثانية، سوف أطلع أبوك وإخوانك

على سر الذي أخيب أمي قبك وجعلك كالبيت الوقفا.. هل فهمت؟

تركّت أمي المطبخ غاضبة والطعام يغلي على النار وقلبي يغلي معه.

==

في نفس اليوم

أعلنت منظمة الطعام في مبعادها وأقسمت أمي على حرص أن يتناول طعام مبعاد في توقيت المأخضات من التبريد التي أطمع صبي، وبث على يقين أنه مراد يرأهم مثلي، أراهم على تعبيرات وجهه التي يراقبها جلدي في شكله نظري جلدي إلى الخيرة لم ترحمني وقال:

- لماذا لا أرى جلال به ولاد منذ هيبة عبيدة؟

قال عصم في غير الكلام:

- تعال به صدقة في زيارات سياحة والله يا جلدي، لقد وهبت

نصه للجيش حتى النصر

قال مرتضى:

- ولحق به صابر

عقبت أمي سريعاً بعف وأصح.

- لا أريد حديث في السياحة أثناء الطعام

قال أبي في حلة:

- اهمني يا و داد.. ماذا ياك؟

قال مراد:

- عندك حق يا جلدي، كلنا نعتقد وجود جلال.

ثم نظر إلي نظرة خاطفة وهو يقول:

- ربما يكون اليوم في زيارة.. سوف أمر عليه.

لا أعلم لماذا أشعر أن جدي مثل جلال يغار عليّ من مراد، يخاف أن يأخذ مراد مكان جلال في قلبي وهو الأمر المستحيل، بعد أن انتهى الجميع من الغداء جاء وقت القيلولة المفضلة، وهدما هم مراد المصادفة فاصططعت أنني أتحدث معه وكان ذلك يعجبني من عند الباب مسدداً.

- جلال بالفعل هذا ملاك تصله رسالة
نظر إلي مراد ولأول مرة لم أفهم تعبيرات وجهه الشهمة وقال:
بالطبع لكنني حسبت أنك قد حسبت أمر جلال يوم شم
السيم.

- هل شعرت يوماً أنك على استعداد للمخاطرة بترك كل ما
تألفه لأجل مجهول كمنه؟
لم أفكر يوماً بهذه الطريقة.
- هتأ لا أنك لم تحب بعد.

◆ أعلم مراد كل ما أريد أن أقوله، فأوماً موافقاً بعد أن أفصحت
ملاححة عن حياة أمل لا يوارسها، فقلت:
أبلغه أنني سأنتظره عند مكاننا في الكورنيش قبل المغرب.
أردت أن يكون مراد وسيطاً بيني وبينه لكي يتأكد أننا لا
تربطنا علاقة عاطفية، لكن هل يا ترى سيأتي جلال؟ أصحت لا
أعرف كيف يفكر.. ربما رأي في رسالة مراد نوعاً من التحدي له

فأنا ما زلت أأخذ صديقاً وريراً أشياء أخرى كثيرة فقول الرجال
تحتوي على طلاسم من الصعب معرفتها.

أردت أن أبتهج قليلاً فارتدبت فستاناً أصفر فاقع اللون، هذا
اللون يذكّرني بالشمس وفروشتنا الجميدة كل صباح، لا بد أن أقاوم
كل الحزن والكآبة وخيات الأمل، على أمل أن يأتي جلالتي ويكون
يوماً رائعاً، اختلقت قصة لأمي فاستأذنت في الذهاب إلى بهائي
صديقتي ووافقت بساطة، كان الأمر قريباً بعد ما حدث بيننا.

في مكاننا المعتاد وقمت أنظر إلى قرص الشمس الأبدى وهو
يعرض في البحر ببطء، وغيوطة الذميمة تلقى ببعضها بدلاً من على
صفحة المياه العريضة لطالما أحببت وقته الغروب لكنني أراه كثيراً
يوم ونعم كلما أحوالني في البحر عن الكتابة، رأيت البحر وكأنه
يعلم عن غضبي فحسبي فيطرده كل العاشقين من الشاطئ، وكأنه
يقبضهم من ومهم الكبير إلى الحقيقة الصادمة.

تظرت في الساعة، كما ظنت لو يأتي جلالتي، التفتت عني أعود
لست قاصدة به، نظرت إليه وابسمت ابتسامة واسعة ونعم
من شيء ما كانت قرحتني عارمة.. لاحظت أنه هداً قليلاً.. ربما
تأكد أن مراد مجرد أخ لي وليس يكون أكثر من ذلك، والألم لم يبعث
رسالتني هذه بعد.. قلت:

- أنا سعيدة لجيتك.

انظر إلي عيني نظرة طويلة مليئة بالعتاب ولم يعلق ففعلت أنا:
- لن نتكلم بعد كل هذا الغياب؟ لقد أوحشتني يا جلال..

تقريباً مرت سنة.

- لم استطع أن أرىف مشاعري، يا حياة.

- تزيف مشاعرك؟ ألم تعد تحبني؟

أشار إليّ أن تجلس على القعد الخشبي القريب وقال في طريقته:

- لم أنتِ فذلك كنت غافلاً واختلطت كثير من المشاعر عند

الوصول لهذا المرحلة يتولد الصحة حيناً من قبل الكلام

- والأنا! هل تعلم مشاعرك؟

- نعم... والأناجيت من الأساس

- لقد أوحشني كثيراً.

التفت إليّ ونظرت في ثبات وتعدت حافة صخرة إلى حلال

الذي أعرفه: ONE PIECE

- ماذا فعلت في هذه السنة؟

- لعبت الأفكار برأسي، ودعيت بعقلي في قوقعة من الندم

والآلم والضيق، ثم بكت روجي واشتكيت إليك، ماذا تظن؟ ألا

ترى أنك تحبني وملجئتي وملأذي، وأعلم أنك تعلم ما لي قلبي

من حديث.

- أنا أحبك يا حياة، ولا أريد سراك.

انهمرت دموعي وكنت أظن من الفرح، أخرج منديله القماش

بحقق دموعي... وقال:

- جذك دائماً كان يقول لي أنتعرف ما تحبه وأنت مشغول

بأمور أخرى..

- وهل عرفت؟

- بعد أن تشاجرتا قررت أن أسي الأمر برمته، انتهكت في خدمتي بالجيش وفي العمليات التي كلفت بها، فالأخبار لا تنقطع على الجبهة، والشهداء والجرحى كذلك لا تتوقف أعدادهم، الشك يملأ البعض.. هل متحارب؟ وإذا جازنا هل مستثمر؟ كثير من الأصدقاء والأقارب، لكنني لم أقطع مع هذا من الضحك عليك وفي مستقبل، إن حقاً أريدك ولا أريد سواك - لا أستطيع أن أصف مدى سعادتي.

أخفى القراص التدمي نهائياً وأخضت بحمك معه، وبات البحر المظلم الكئيب الخفيف في عيني وأمع بوجهي وملئي بهموس من قطني نظرت إلى مستقبل مع جلال، كان جلال ينظر إلى في عدوه ثم قال:

- حكمت في أمي عجا دار بيتكم اليوم، وأعجبني جزأك في الدفاع عن حبنا والصبر من أجله، أمر تحبك كثيراً - إنها كأمي تماماً، وهل أعجبتك أنني بعثت مراد برسالة؟ - ليس كثيراً، لكن قبلتها على سبيل الأبناء.

- هل تأكدت أن مراد بمثابة أخ لي وصديق للعائلة فقط. نظر إلى في ضيق ورفرف ثم أضح يوجهه بعيداً للحظات ثم التفت إلى قائلاً:

- أنت تذكره في أسعد لمظائنا! ماذا أسي هذا؟ اسمعي يا حياة، أنا رجل شرقي لا أقبل أن تتحدتي صديقاً، لا أقبل أن تكون

زوجتي على علاقة بطرف ثالث تسميه صديقًا.

- إنه يساعدني على تحطيم أزقة السحر الملعون بالبيت، لقد أصبحت المحاحمات تتجول في البيت ليل ونهار، أراهم مثلما أراك صدقتي... إن المحاحم الأحمر يقف دومًا بجانب جلدي وأنا أخاف عليه كثيرًا.

ما أنت بعمل في الطرافات يا حياة؟ لم تكفك السحرة حتى تنجلي منها؟



- صدقتي، اسك براد إنه يراد مثل
- مر الثاني؟
- يا جلال، أريدك أن تصدقني وأمر عبدك
- حياة، ثمة فصل المدينتين وهذا ما جعلني أحبك... ماذا
ميك؟

- إني أعرض لضغط كبير، أمي تضغط عليّ من أجل الزواج وأبنا انتظرك، السحر الأسود يخفي ويأكل من عقلي ما أراه كل يوم في الشقة ولا أستطيع أن أخرج أحداً وأنت، أقرب إنسان لي، لا صدقتي... جلال... هل حقًا تحبني؟

- أحبك لكني لا أحب العز جلات.
- إذا لا يُدَان تصدقني... حراب.

نظر جلال إلى ساعته، ووقف سريعًا وهو يعلق أزرار بدلاته ويقول:

- لقد تأخرت ولا أظن أن والدك سيعجبها تأخيرك.

- أنت تهرب ثانية.

- خيرًا من أن أتكلم الآن.

- وهل أنتظر سنة أخرى؟

- لا أعلم.

- أنا لا أصدق أننا نتنازع مرة أخرى بسبب مراد الفتاة.

سواء كنت عذراء أو متزوجة، لا تصطيق ظنوك الكاذبة.

- إنما شهوة وليست ظنون، ربما أنني لا أستطيع أن أترك عليك

هذا الآن.



- الصل كما تشاء، ولكن لا تلمني.

- وماذا استعملين؟

- سافونيل (Savonil).

الفتى إلى ودعتني بنظرة غضب لم أرها من قبل، وعشتا سويًا

صامتين ثم اخترقنا في منتصف الطريق دون وداع.

غمر الصمت المكان وشعرت بأبدية الطريق، وكأن من حدد

للطريق بداية ونهاية كان متوجهًا الطريق هو أنا، بداية ومنتصف

ولا نهاية، أنا وحدي، أنا فقط، الطريق كالبحر ظلام لا ينقطع

وإبراب كبير.



أغسطس ١٩٧٠

أنظر كل يوم في المرأة وأرقذاً دائماً بحيرة... الله يعلم كل شيء
وسوف أحصل إلى شيء مما أصبحت أعني يوماً ما إلى شيء
يختلفني الأحرار أو الطريقة، وبما فعلت نفسي تتساوى الأملام
والطريق، تشابه الأنام لكنها لا تعود تصحح ما الخطأ في يومها
ما داخل نفسي أحد الأملام الزائف الذي لم أحلم به قط، لكن الحياة
تحررني على الأسلوب يوماً بغير الأحرار ولا أفرني إلى أين المصير.

عندما آويت إلى الفراش في تلك الليلة العريضة سمعت
أصوات الضحكات تقترب من أذن، وحين خرجت أتبع الأمر
فإن الطريق من العريضة إلى صالة الاستقبال ليس بالأمر الهين،
لكنني أصريت على رؤية ما يحدث في بيتا في الساعة الثانية بعد
منتصف الليل.

عندما وصلت إلى الخارج وجدت جدي يجلس مترقياً مائدة
الطعام، كنت أرى ظهره وأرى وجوه جميع الحاضرات على ضوء
خافت الشموع تنانير حول المائدة، تنال أنوارها مصدر من كل
منها شعاع يتلوى كالمعنى مغيرة تظن إلى، لكنني كنت أنه تجلس
أمام ولبة كبيرة وضعت وسط الشموع، يتحدث بلغتهم التي لا
أعرفها ثم يضحك بصوت قيع، يضحكون بعلة في تنابع، لكن
أين كبحهم؟

أنا لا أحلم - ما أراه حقيقي بلا شك، ماذا حدث لجدي؟
هل يعرف هؤلاء المخاضات من الأساس؟ وإذا كان الأمر كذلك
فلماذا يستعين بي المخاض الأكبر فيما يخصه جدي عنه؟ هل هؤلاء
المخاضات الناس حقيقيون مثلنا لكن في عالم آخر؟ أم هم من
الجن؟ هل مقدراً لأهلنا إذا كانوا من الجن؟

الندفج بحر من جهة تدخل الشقة، وتدفع الرائحة وفاحش
حول مرة واحدة، اقتراب أكثر في الخطوات بطيئة لأرى ماذا يفعل
جدي معهم وماذا يحدث مع، أجواء الظلم والخنور كانت
عابرة مشبعة، لكن غير جدي، وحر في جليته كانت لمحاولة على
رقة تعلل.

اقتربت منهم أكثر وأرى أحدهم وأشار إلي من بجانبه وأخذ
كل منهم يشير إلي من بجانبه حتى رأوني جميعاً عدا جدي، اقتربت
أكثر وكانت ضحكات جدي تدخل في الشقة دون أن يتزعج أحد
من الثائمين على غير عاداتهم، وقال أحدهم:

- لا أرتاح لحكاية وقف إطلاق النار هذه أبداً.

كانت الوليمة المعبدة أمام جدي كبيرة جداً، لأنها علات
المائدة، لكنها تبدو مخيبة من بعيدة اقتربت أكثر مرأيت شقاً لم
أستين ماعيتهم، اقتربت أكثر فوجدت أقدام إسماعيل على المائدة في
مقابل جدي، يا هول ما أرى!!

اقتربت أكثر فأكثر في جراءة وذهول وغضب، فلما وقفت عند
جدي رأيت جسداً في وسط الشموع ودماء في كل مكان، ولما

من بصري لنهاية الجسد وجدت رأس الشهيد يسري! ظلّ جدي
 يضحك والمخاضات يداوكون الوليمة ويتعازمون على بعضهم
 البعض.. كل منهم يمسك يسكين حاد في استعداد تام!.. الأمر
 الذي جعلني أصرخ بلا توقف وأنا أنظر إلى جدي في صلع وذموعي
 تنساب في عذوبة.

ما الذي تدركه منهم هنا؟ استأف من علم أخى الشهيد؟
 لعل جدي إلى ه ضحك قد جلت عليه قد احتسا بالمواء
 معين المخاضات الأكره. عندما فلبوا جميعاً من ألتهم. ألتهم
 بخدمهم جدي. ثم ألتهم إلى الوراء لكن ألتهم شخص
 ورأى. التفت فرجعت المخاضات الأكره مسك بهن وقد تمكّن
 من رقبتي. حركت الأكتاف من قبضته لكن جدي أمسك بيدي
 وأشار للمخاضات بقطع رقبتي!

أقبت أصرخ وأبكي وأمسك بيد جدي أرجوه ألا يفعل!
 ذالت العذوبة أشد حل عقلي من الذبح نفسه. حينها التفت إلى
 المخاضات مرة أخرى فوجدته تحول كأي ويفرقة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. الله أكبر.. لا حول ولا قوة
 إلا بالله

نظرت إلى جدي ص حدة أمامي يبكي ويرد ما يقوله أو في
 أصري. وأبكي تفت ولعذوبة تسيل وتكون بلا توقف. في حين غلت
 أشعة الشمس الخافتة على المكان! أين صوء السموع الخافت؟ حل
 المائدة مجلس ماء وخصام ومرضى حول الطعام في ذمول. نظرت

إلى صورة يسري التي غلقها أن حثا إلى جنب مع صورة عبد
الناصر وهرعت إليها أنكي في حرقه.

اقتراب مني جدي في وهو مختضبي وأنا أحاول أن أبتعد عنه
في خوف وقد خارت قواي، لا أعلم هل أخطأت على الأمور أم
أن هناك سراً في الأمر برمته، لأول مرة أشعر فيها الحزن وأت
مستحيل أن يكون حثا، أحرق أنني كنت للمسيح جدي حثا
سأفعل الآن ولكن عبقلا، انتهت الصلوات على مقبل وأنا
الظر إليه في رية حتى سمعته يصرخ غاضبا.

- والله لا أملك على ما يحدث في هذا البلد مرة أخرى،
مرتضى وخصامه خاويان بسرعة على حليبها إلى حرقها. إنها
تتأوى من بحر حليب.

كانت الساعة الثامنة والربع مائة والسيدة أنيسة تبكي مع أمي وأمال زوجة صابر وهما تواصيهما لا أستطيع أن أحضر تعليمات نظرات أمي بالأفق من هنا إلا عندما تطلبي مني، كنت ولادة جلال في حالة من القلق والحزن لكي جعلت على مقربة مني فسمعت أمي تقول:

- الله ينتقم من الصهاينة القتل، لا تخافي، سيجتمع جلال والد الله بالمشقة يا رب، المسيح، أيسري يا حي.
حاولت السيدة أنيسة أن تتراخى وهي تقول:

- لقد مرت أكثر من ثلاثة أشهر ولم يحصل مرة واحدة يا رب وادد حتى شافلي يتهرب من الإجابة كلما سألته عن جلال ويغلق الهاتف، لم أرها منذ ثلاثة أشهر.

- بشروا ولا تنفروا، ولماذا يتهرب، هو ابنه أيضًا يا أنيسة.
- وهذا من حفي أن أعرف مكانه وكيف حاله.
- معك حق... لا تقلبي سيأتي الله بهم جميعًا، حفظهم الله وصابر ابني وجيش مصر بأكمله.

سمعنا طرقًا قويًا وملاحقًا على الباب فجاء جدي يستند على عكازاته، أمرت أخته فوجدت مراد يدخل ويصيح قينا:
- أنتم لا تستعملون التلفزيون أبدًا؟

قلت:

- وهل حدث شيء؟

دخل مراد ورفع التلفزيون وسمعنا صوت تلاوة القرآن الكريم فقال:

- انهم لا يفهمون أية برامج منذ ساعات.. فقط القرآن الكريم في التلفزيون والتلفزيون.. الساس على المقاهي تسامحنا الأمر الجلل الذي حدث في البلاد؟

قالت السيدة أيسة بأكية:

- لا بد أنها الحروب.

قال مراد وقد أحاطت حصره يديه في حجره:

- لا أحد يحلم الكلمة المرهف بلا شك.

وقد جاء توقف القرآن وتظهر «محمد نور السادات» يدور حزيناً يلقي بيانا.. اتبناها جيداً وعفقت القلوب:

انقضت الجمهورية العربية المتحدة.. وفقدت الأمة العربية..

وقضت الإنسانية كلها.. رجلاً من أغنى الرجال.. رجلاً من أغنى

الرجال.. وأشجع الرجال.. وأخلص الرجال.. هو الرئيس جمال

عبد الناصر.. الذي جاز بالأمم المتحدة في الساعة السادسة والربع

اليوم ٢٧ رجب سنة ١٣٩٠ الموافق ٢٨ صفر سنة ١٩٧٠

هو واقف في ساعة الضلال.. يكافح من أجل وحدة الأمة العربية

ومن أجل يوم انتصارها..

صرخ جدي بقوة..

- لا إله إلا الله.. كيف ومتى ولماذا؟؟؟

تسمرنا في أماكننا.. يميل الذمير والصدمة المكان من حولنا
لنفرق فيهم.. نظرننا إلى بعضنا البعض وكان الحياة تقول لنا كل يوم
اليوم سوف أعطيكم درسا جديدا.. فهل أنتم مستعدون؟؟

تعالوا أصوات بكاء أمي والسيدة أنيسة.. تغطي مراه وجهه
بخطيه وأزالت عمام حارة منها احتقر جدي بالداخل ووجدته
خارجا مشوكا على عتكلاء بعد أن ارتدى ثيابه لمعلم حسرة
التي من الحائط يترجعه إلى الباب وفتحة الباب



- أين تذهب يا جدي؟

- إلى عشية البكري..

- لمن أنت كليلة ONE ?

الحق يا الجميع وقال مواد:

- أهلا يا جدي أرجوك.. سيكون زحاما شديدا بلا شك..

ربما توقفت القطارات..

- سأمثل سيارة..

♦ قالت السيدة أنيسة

- امتحني حسن دقائق وساعات معك..

عندما رأت أبي ومرضى بضعمان السهم باكيرا ظال أبي

- ستنفج جميعا إلى بيت الرئيس..

توكت السيارة أهالي يوم سعيد متشددين في جميع شوارعها
والقها يرفعون صور هذا الناصر ويكون لا أحد يصدق أنه مات

وكانه مخلدء لنا وحدثنا على الطريق السيارات ملأت الطرق إلى
القاهرة، حتى عربات النقل نقلت الأفراد إلى منشة الكرنى حيث
منزل الرئيس.

تركنا بور سعيد الصغيرة اتجهد مصرنا الكبيرة كلها عند أول
تقاطع منشة الكرنى بالقاهرة، الشارع امتلأ من آخره بكل حشود
المصريين من استشرية إلى أموان في مشهد جليل لم يلقى من
الاعرة أبداً

فطينا الليلة نكي في السيارة مع لاء صدي حتى
الصباح، الذي جاء غلباً بالملايين من كل محافظات مصر حتى
لم يعد شبر واحد خالياً من حوالة

ONE PIECE

يوليو ١٩٧١

أنا أفقد مساري في الحياة ولا أستطيع القدرة على التمييز بين الحلم والحقيقة، بين الخيال والواقع، أشعر أسأله بالنفوس من الجميع متى جئني الذي شأن الاستكشاف الوحيد من نعم، ولا أعلم كيف ومتى حدث ذلك. أنظر إليه على فراش المرض كأنما في غيبوبة الكثيرة المتقطعة التي أصابت منذ أوقته بعد الناصرة وأتمنى بيثني ومن تحسني بالتيعة بعدة نوعها، لست أجد الشفاء، لكنني أعوذ لأتذكر ما جئت فأتى بجمع حبة أدوية حتى ويخبرني بها لا أرغب في سماعه.

وكانت اللحظة التي رأيت فيها أمام الوليدة قد غيرت شيئاً كثيراً في نفسي، فلا أصدق أنها مجرد طبق مخادع من الخيال، ولا أستطيع التغلب على شعور الخوف الذي أصابني بسبب جدي! خاصة وأن روحي صارت راعية في معرفة ما يخفيه جدي بحق! فهل يدور بدور الأمر حول هذا الشيء - وحتى إن كان فكيف لا يتطوع ليخلصني من معاناتي.

ولكن هل يكون اعتقاد جلال بأن كل ما أراد ملاوس صحيحاً؟ يا ليت صدقتي، أصبحت روح الميت كنية تروح البلاد، لا أرى النور والأمل من حولي، فقط مراد يشرحها في من أني لأخبر، مراد أصح أمل أمي لزواج يعيد للعائلة بعض البهجة بعد أن

اخفى جلال بشكل دائم من حياتنا أثناء تطوعه بالجيش، ثمًا
تأخفاً صابر الذي تلقى مكالماته كل حين.

بعد الغداء جلس أبي مع مراد، بينما تعد أمي مستلزمات جدي
لأوصلها للمشفى، طرق الباب وسمعت أبي يقول:

- جد حاضري - أوحشنا يا رجل.. القهوة يا حياه

- أوحشتني كذلك يا سيد أحمد.

رأيت يدخل بيده العسكرية مع زوجته ويدنو عليها آثار
كدمات. أنصتها أمي وجلست في طرف غرفة الأجنحة، هامسا
وجلست أبي ومراد معه في طابقة الاستقبال وبدأت جدي حديث

- جنت لسلام عليك.. الله وحده يعلم ما نعلمه الأمام.. أرى

مراد الحبيب هناك

- قل لي إننا سنحاول.

لاحظ علامات حزن على وجهه وقال:

- كان يودني أن أقومها.. لكن حالة الجيش توش لها.. والغدو

والأحسن حالاته.

تعمت عين مراد وهو يقف غاضبا:

- إلى متى ستميش العروبة في هذا الدل المهين؟

- إلى أن يشاء الله يا بني.

خرج مراد غاضبا دافعاً تتبعه نظرات السيد شافلي فقال أبي:

- مسكين مراد.. يحلم بالقومية العربية بعد أن مات زعيمها.

- الرئيس محمد أنور السادات يذل الكثير من الجهد من

أحل السلام.. بسظل الشعوب تعلم وهي حالة تحضي الشاي
في العصري، ثم تصب قطبها على من يضحون بأرواحهم على
الجبهة.

- لم أقصد هذا يا شافلي لكني أتمنى ألا أموت قبل أن أرى

البلد حرة

٥. كلنا أش يا سيد أحمط.. سوف أكتب هذه المرة كتاباً
والوصيك على..

قائمة آية:



- لا تقلق على السعادة المتأخرة وأنا موجود

قام السيف شافلي وتطروا لنا جميعاً

- هذا هو السلام.. اللذيق وشكم طير..

❖ ❖ ❖



يريد الناس أن يرجعوا بالزمن إلى الوراء، لكنني لا أريد أن
أمر بكل ما شهدته في طفولتي لم أشتهاءه، ورافقه لم تولد وشباب
يعاقر فقط من أجل النقاء على قيد الحياة.

أحمل عامود الطعام الأولمبيوم، الملاءم والناشف التي
عدها أمي إلى جلدي يومًا بعد يوم، بمحبي أحيانًا مرتضى إلى
المشي وكثيرًا مرارة ولا أحد من أسائه أنا حتى جلدي لعله يجيبي
فتخبرني يا حبيبي هل يسألني مراد لأنه يجيبي كما تخبرني عيشه كل
يوم؟ هل يجيبي جلال حقًا كما قال؟ وهل يقدر أن يخفي المحب
عن حبه؟ وهل الحب وحده لا يكفي كما تقول أمي؟ ست حائرة
من أمري.

لا يكف مراد أبدًا عن المساعدة، لا يكف عن طلب رويتي
شقه الأسباب، ولا يكف عن التحديث، أنظر إليه بعقلي وقلي
ينظر إلى جلال، أقاوم رقة عارمة في مخاطبته، أو حشني النظر إلى
وجهه الذي يطمئني في حديث أصابع تودد مرارة ومسالمة
بلا توقف، لماذا لم يكن جلال مثله؟ لماذا لا يسلك سوى لسان
مثل رصاصة حرة تنطلق فور أن يضغط على زناد غضبه كالعادة؟
ما يفعله مراد يجعل أي قلب مهما بلغت قسوته يعيل إليه، كما أنه

جلال لم يترك لي ما يستفيع أفعاله، تركني مع اتهام صريح منه بأنه لن
يثنى بي مجدداً، أو ربما قالها تحت تأثير الغضب فحسب! إنني أشعر
صدق جلال رغباً عتي، ولا أريد سواه في الحياة، فقلبي يطمن إليه
ودروحي تسكن إليه، ولكن تكرمتي تشترط أن يُشعرني أنني مُستعاد
الأول لكه لا ضل، وعلمت حينها أنني لن أحب أحقاداً ومهما
حدثت منه، وبقيت في تروية أعوام نفسي لا أحسبه والقر أو صعب
والظم أصعب، لم أنك تسمع صوتي الآن فوثق أن تحدث

- حياة أنت شاردة.

- لا أبداً.

- كنت ألتحدث عن الاحتكام.. لا أجزأ أن من ألقى السر في
اليت جعله في المكان من الضمب الوصول إليه.. لا يُد أن تصل
إليه حتى نسمع الأذى عن البيت.

- نعم، لكن من هو؟

- لا تشغلي بمن.. فليكن أن تعرف أين هو وحينها سنصل إلى

الماغل.

- وماذا أفعل أنا؟

- أنا سأفعل يا عزيزي.. ما قد وصلنا للمشفى.

دخلت غرفة جدي هو جدتها الحايمة نظرت إلى مراد في طلع
وكنت أعتقد توازني، فخرج إلي طاقم التمريض فقالت إحداهن:
- إنه في غرفة العمليات.

- ماذا.. متى وكيف؟ وماذا لم يخبروا أحد؟

- لا أعلم.. المعلومات في الاستقبال.. أنا لست مسؤولة عن حالته.

رأيت الطبيب المعالج تهرعت إليه أسأله عن جدي فقال:
- اهمني.. لا بُدَّ أنها تقصد المريض الجديد.. لقد نقلنا جدي
إلى غرفة فخرى الراحة لئلا.

عندما رأيت جدي كان واعياً مُتصباً بطعنه واحدة بشوكة
من طاقم التمريض، مررت إليه واحضت دون كلمة.. أسألتني
بذراعه وقال:



- ظننتي ميتاً
- بعد الشرب يا جدي..

- لقد أوجعتني جدك كثيراً.. أصدقائي وأخوتي وأقاربى، لم
يكن أحدٌ منهم إلا أنا يا حياقة، إنهم يتعمدون سويّاً بالونس.
نظرت إلى الممرضة أنسأل ماذا حل به فقالت هامة:
- آثار الغشوية.. سوف يتناول دواءه ويتحسن تدريجياً.

أخذت أقبّل يديه ورأسه في لحظة جملة، أنسى كل ما شعرت
من ذبكة في الفترة الأخيرة لكنّها سرعان ما عادت إلى حين
لاحظت أنه ينظر إلى مراد في غضب، كنت أشعر دائماً أن جدي
لا يحبّه وعندما كنت أسأله كان يجيبني «الارواح حرة حرة» ما
تعارف منها التلقف وما تنافر منها اختلف..

سلم مراد ما معه إلى الممرضة لكنه التفت إلى جدي حين تأذاه:
- مراد..

أنتي مراد مهتًا وجلس بالقرب مني.. فقال جدي:

- هل فكرت يومًا كيف تريد أن تنهي حياتك؟

أخضت إنيابة مراد ونظر إليّ في قلق ثم نظر إليه وأجاب:

- لا يا جدي.

- أنا لست جديك وأنت تعلم هذا.

قام مراد وقد احترق أذنه ولم يعقب وقد بات جدي في حالة

ذهنية سيئة فقلت:

- حسنًا، لترتاح يا جدي الآن وسوف أكون حليماً، عذراً.

نظر إليّ وأجلس جدي وقاله لم يكن غاضباً من عظمت

- أريد أن أكل بشبارة.

- حاضر يا جدي، أفطع على خير.

قبلته وأشرت لمراد بالخروج ففعل قبله، وأثناء خروجه قال

جدي مُستاءً:

- حياة.. لا تصطحبه معك مرة ثانية.. اكسبي إلى جلال.

وحده من يجازب في الحياة يستحق.

حاضر يا جدي.. أرجوك لتسرح أنت كي تخرج قريباً من

المشفى.

في أثناء عودتنا سيراً على الأقدام إلى البيت قلت في حرج:

- مراد، لا عليك من جدي.. أنت تعلم تأثير الأدوية عليه.

- أعلم جيداً وأعذرهما لكني كنت أشتعر قمره لي قبل أن

يعرض.

- هذا غير صحيح.

- أبدأ... جددك بحب جلال ويريد زواجكها وأنا أحببتك يا حياة وأريد الزواج بك.

تسمرت قدماي دون أن أشعر من هول الصدمة ولم أستطع أن أحييه، فوقف أمامي ينظر في عيني ويقول في ثبات
- أنا أعلم ما به بطنك بجلال، لكنني قرحت أوكد لك أنه لا
يغيب وجودك في حياتي، على الأقل ليس مثل أنا، والأهم ماذا فعل؟
لم يكن عنده القدرة على خطبك قبل أن يمتلي في الحبس؟ ويتطعم
على أمثالي من ألم سنان الطريق؟ أعلم أن قلبك براء ملاذا، لكنه
إنسان لا يختلف عن الآخرين، لقد رأيت في سمرقني الماخية للقاهرة
يا حياة ولم أره في أخبارك أو في إخبار أي منكم هي لا تظنوا بي
الطوفان، ربما أنه غير مستعد للمقاتل من جديد لكني لا أجد مبررا
لهذا، إن ما يحب حقًا يبقى بالقرب من حبه ولو بكلمة واحدة
لعمل طمانينة العام.

عجبت تغير مصدقة ما يقول:

- جلال لا ياخذ إجازاته.

- بل يفعل... لكنه لا يأتي إلى بورسعيد، يظل في القاهرة ليعيش
كما يريد، فسأله لتأكدني من صدق قولي
- هل رأيت مع أحدا من أم كان وحيدا؟
زاع بصرة وعقل معه فغضب قلبي أشد الغضب لعلمي
بالإجابة الحقيقية... فيما استمر بل مرارة

- صدّقني أنا لا أضع يا حياة، جلال شاب طيبي، أنا أبصرك بما لا يريد عقلك أن يصدق، أنا أقترف الكثير من الأخطاء لكنني لا أدعي المثالية، جلال إنسان على خلق لكنه متناقض وأنا في حب نفسه أكثر من أي شخص آخر.

- يقول الله بحسب وطئه أكثر من أي شيء...

• ربي! لكنني أراك وطني يا حياة، رغم غربي وتسلبي لا تحلم إلا أنني لا أريد أن أحل القلبي إلا بعد أن أعمل بجد في مهلة. خلّني كفلاتك في التفكير، سأصمرك



ONE PIECE

كان عليّ أن أقضي أثر نفسي مرارًا لأجلها تالفة تقاوم ضعفًا لم تحترق من البداية. وبقيت أتلحّز جلال كلّا أرى مراد، معادلة صعبة أن يقلب ما أحسّ حاجزًا في وجه من يصي. وشيئا فشيئا أصبح ما أحسّ كالسرّاب، العالي كي أصل إليه ثم أجدته فراغًا كلّا وصلت، في حين كانت الحقيقة تتمثل في مراد تحبلي حاجزًا يفسر كلّا رآني، كطفل لا يريد مغادرتي، أوقفه كثيرًا وأجود فأجده، اصطعبه فيمتنع بكل شيء، معها كان بسيطًا طفل يعفدي ويكبر معي، كانت مشاعري حزينة ومضاربة، هل أملك بالسرّاب؟ أم أحكم قبضة يدي على قلبي قبل أن يسرب منها؟

أرغمت نفسي على تدريب قاسي، لن أحسّ معه في أحلامي مرة ثانية، فكل ذلك لا يسبب لي إلا الألم، وكان لا بُدّ أن أداوي قلبي الذي لم ينحصر لأحد غيره، قلبي العتيق الذي يعبد إليه رغبًا عني وعن الظروف، عليّ أن أعلم جيدًا أن الحياة ليست مُنصفّة، والاختيارات الصعبة قلأها طوّل الوقت.

في ليلة الجمعة كان جدي نائمًا في غرمتنا أُمّي ووالدة جلال تشاهدان التلفزيون، آمال زوجة صابر تداعب ابنتها حالًا، ومرضى مع أصدقائه وعصام في القاهرة، بينما جلس أبي مع مراد في البلكون يلعبان الكوتشينة، ويشوي مراد «أبو فروّة».

وقعت أنظر إليهما في شروء.. ما أشبه اليوم بالبارحة، أتذكر عندما
جلست مع جلال وجلدي يسرد لنا حكاياته عن الصهانة ونشوي
الكسندر، ما أعرب الأيام وتقلباتها أين جلال الآن؟ أين جلدي؟
إنه لا يدري، كم أعاني في غيابي بعد أن أنعمت بكده وأخذت الوحي في
معظم أوقاته.

استاذ ان من مراد قلنا فقال لي مراد ضاحكاً:

- السيدة أيسة لم تلغث إلى الطير يوم قط.. كأنها تم اقلبك.
- لا عليك، ربي ذهبت لشيخ المنصورة.
- نعم.. وأعطاني هذه السوائل.. نجها شره على كل الأركان.
- سرعة يا حيلة حتى ينتهي هذا الكاوس
- سوف أفعل! ONE

أخرج من جيبه قارورتيين وأحاجيتان صغيرتين بهما سائل أحمر،
أحفظهما في جيبه، ثم لا تلمحني أمي، أنني أريد اللعب مع
مراده، وفجأة ظهر الحاحام في غرفة الاستقبال عند صورة يسري،
التفت إلي في توجع، وأقرب من الحائط، وبعد خطوات رأته يضرب
رأسه فيه، يضرب رأسه عدة مرات بانتظام، نظرت إلى أمي والدة
جلال فرأيتها ينظر إلى في ذهشة، وسألت أمي:

- ماذا بك يا حيلة؟

- لا شيء..

- كيف وأنت تحملين في الحائط؟

- لا شيء يا أمي..

لم أستطع أن أزيح عيني إلى شيء آخر، نظرت الصغير جمال حيث
 انظر وصرخ باكياً، ظلت ضربات رأس الحاحام في الحائط تنظم
 وتسارع، وأصبح صوتها أقوى، وأنا أشفق وببدو علي الحرق..
 قامت أمي والسيدة أليسة باتجاهي ومن وراءهما أبي ومراد.. التفت
 إلى الحاحام وقد لسدت عيناه من حديد وقد سال الدم من رأسه
 وبدأ يساقط على الأرض، فحككت وأقترب مني ماسحاً
 - الحبره أن يراد ما يجنيه.. ساقطه إن لم يفعل..

صرقت وحينها سمعت صوت جدي يصرخ في استغاث
 صرعا إلى داخل العرقة قبل أن يسألني أحد لماذا أصرخ، فدخلنا
 العرقة فראيت حدي سقط أمام الحائط، لمعت إلى الدماء تسيل
 من جبهته عمائلاً كالاحاحام، ثم تهاوى على الأرض، انسرع إلي مراد
 وأبي يحملانه إلى فراشه.. تمتمت أمي:
 - لا إله إلا الله.. الله أكبر.. الله أكبر..

وقالت السيدة أليسة وهي تشير إلى حائط العرقة:
 - انظروا إلى آثار الدماء على الحائط! لقد كان يضرب رأسه



يوليو ١٩٧٢

من الأفضل أن أقتل حبي الذي لم يُقدر له الاستمرار، من
الأفضل أن أستمع لعقلي الآن، لم أجن من وراء قلبي إلا العناء
والشقاء، لأن قلبي الدرس لا يتعلم ولا يحضر ولا يحل من الحزن
أبداً.

هذه ما كنت أردته داخل نفسي وقد ابتدأت فحشاً، مريراً
أيضاً صمته والذلة على صديقتي، تأملت المشطوط جيداً، فوجدتني
أحلى بعائب مراد وقد وضع ذبلة من الذهب في أحجى اليمين،
وبلأت الزخاريد حرفة الاستقبال، بينما أرسل والد جلال الكثير
من البرود التي رُصت حولي، وكأنها أشواك تحاوطني وتذكرني
بجلال، ملاصوت المطرية «شادية» المكان «يا ذبلة الخطوبة عقبالنا
كلنا».

مبروكة تساهم في توزيع أطباق العشاء وهي تردّد كماداتها
معيد يا لبي.. اللهم صل على حضرة النبي،
ونغم مظاهر البهجة كنت أرى الحضور كأنهم يوساء في ماتهم
جدي ينكي حالساً على كرسيه أمتحرك بلا حول ولا قوة، تذكرته
في صحته وقوته وذكريات طفولتي في غرفتنا، كانت الغرفة تخرج
بأسرارنا، وتمايل أنوارها مع ضحكنا التي لا تمل، فكذا كان
حالتنا في جميع فصول السنة فلا يضجرنا حر الصيف ولا تشكو

برود الشتاء، الآن وقد ومن العظم منه لم يعد يبالي به أحداً اعتقاداً
أنه وصل لحرف الشيخوخة، لكثرت في أعماقي أدرك أن وراء سراً
يخفيه كما يقول الحاخام، يا لها من حياة قاسية.

استطاع صابر الحضور، كان يعلم في قرارة نفسه علاقتي
بجلال، تلك طمس بخائب زوجته يحاول أن يصطحب النساء
للأقارب، يرتقي بضحك مع زوجته وقد بدت عليه الحركة
فمراد عريس بعثك من المال ما يكفي لأعيش حياة هينة، وعصم
لا يبالي كثيراً بما أشعره لأن البت لا بُد أن تصل في أقوال الأعراف
والثقافة والمجتمع، أحوال البنات في ملهامة كثيرة مع أرواحهن
وإسألهن ولم تحد أي حزن تهنم بالمشاعر
جلست قسيدة اليعة العيذا تنظر إلي في يوم واضح، حتى جاء
زوجها فاستقبله أب مهلاًلاً.

كنت سأغضب لعدم حضورك... أين ابتأ البطل جلال؟
خفت قلبي وارتجفت لما سمعت اسمه قال والده بصوت
غلب الموسيقى.

♦ صدر قرار بتسريح الكثير من المجندين... ربما يأتي جلال...
ثم جلساً سوياً بهامان، أردت أن أحكي لها عن جلال
الملاك الذي يرافقت الكثيرت في القاهرة لكثرت تراجعت، فلم يعد
أمره يعني... ترى هل يأتي جلال؟ وهل سأشعر بالندم حينها؟
يا إلهي ماذا حل لي؟ إن مراد هو العريس الأمثل والإنسان الذي
أحبتي بصق، ويرى على حبه وتحمل الكثير من أجل إرضائي،

أَيَكُونُ هَذَا جِزَاءَهُ؟

الكثير من المشاعر المتناقضة مع أجواء الفرحة التي يدلّ أبي وأمي عموماً كثيراً لإحيائها داخل البيت، جلس أبي ووالد جلال في مكانهما المفضل وكان حديثهما طويلاً كمعادتهما.

أريدت أن أصرخ حينها، ربما أتركهم جميعاً لأذهب لجلال أينما يكون، ثم التي نظرت على الجميع قبل أن أقول: لا أصر عما سأعانيه ربما ليلة حياقي.

مررت بسيرة عطيتي سريعاً ولم أشعر بالظلمة الوقت، كان عليّ قد طُلس وقلبي قد انسابه المحرّب أما زوجي فتجسّج هناك حول جلال على أحيائه ابتداءً عريقته لم تعارف وجهه مراراً ولم أر عينيه بريقاً مطلقاً اليوم... والدك أنتدم... لماذا أضعت أمي؟ ما الذي فعلته بتفسي؟ وما ذنب مراد؟

بقي أخواني ومجموعة يرتب البيت وينظفونه قدر الإمكان، تسدد أمي على مبروكة ضرورة يارنها بأكثر الإعادة البيت إلى حالته الأول، يسهر عصام مع أصدقائه في الحارة، صابر يعود للجهة، وجلس أبي مع والد جلال في السلكون وحدهما بعد أن وضع جدي الحزين بقراشه. يدعى أبي سجارته شراقة لم أعتدها أثناء حديثهما، تتحدث أمي إلى مراد سعيدة كما لم أرها منذ أن استشهد يسري! وتقرب مني والد جلال لتسألني - لماذا يا حياة؟ أنا أعلم حيك لجلال!

كادت دموعي تفر مني قبل أن أقدر نفسي النعمة عني:

- لسالي جلال عن مقهى «ريشة» في القاهرة.

- أنا لا أفهم؟

- جلال سيفهم.. لكن من لا تفهم لماذا؟ هي أنا.

جاءت لمي تنظر إلثاقى توجس ويقول:

«أمر العفود.. الحمد لله يا حبيبي.. عقبال الليلة الحيرة».

نظرت إلى السيدة أنسة بعين قلهاها الحيرة وتمنت رفاً على

لمي:

- مبارك يا بنت وفاد.

وغادرت إلى منزلها سمعها نظرات لمي الواجعة للحيا زوجها

فاستأذن أبي الحق إليها فلما المراد بنظر لي سعيداً ويقول:

- اليوم بدأ حلمي يتحقق على يلك يا حياة.

نظرت له أمي وقال:

- لن نجد حياة شخصاً مثلك أبداً يا مراد.. الله يسعدكم يا

لمي..

اتمت صامتة فاستأذن مراد أبي في المغادرة وقد انتهى الحفل

وانتهت رويحي معه.

•••

ديسمبر ١٩٧٢

الشمس ترسل أشعة طيبة عبر نافذة الغرفة بعد أن أمطرت السماء طردها البارحة. أشعة قاتنا سلام إلى حدي الحبيب الذي يستلقي على فراشه في وناعة. وأميًا هادئة لا ينبغي كعاسته، كنت بحبته أمانه. كل تناول إسطارة وأتأكد أنه لم يلق بالدواء في سلة المهملات. لاحظ الجميع أن حالته الصحية ازدادت سوءًا بعد خطبته. كما علم الجميع أيضًا أنه لا يتركها. ينظر جلال مع النصر والفرحة بزواجي منهم.

لا أحد يشعر بحدي لكنني أفعل: جمعت أعيننا نظرة طويلة، ملائم بالطيبة والجمال عبرها سألته:

- هل تشعر بتحسن اليوم يا حدي؟

- نعم... كثيرًا.

نظراته لم تغلب لومًا واضحًا فتعربت منه لكنه يا غصي بسؤاله:

- قول أنت، هل تشعرين بحسن في الحياة يا حياة؟

- أفهم مقصدك يا حدي جيدًا وأشعر بك، لكنني في أحسن

حالي، ولن أتركك من يجيبني لأجعل من تركتي وحيدة دون اهتمام.

- هناك خطوة واحدة في الحب إذا قمت بها لا طريق لوجعك

عنها، ومراد لا يستحقها جلال يحبك وأنا أعلم ذلك. وأنت في

قمة ذرة نفسك تعلمين، لكنه نبيل لا يريد هذا الحب أن يثبت في ذلك،

بل في نصر وعزة وحرية.

- أنت تتحدث مثله تمامًا. ولماذا يتزوج الناس كل يوم إذا؟
- لأنهم يتزوجون بأناس عاصيين، جلال يحمل هم الوطن على كتفيه في شجاعة، أتمنى ألا يقوت إلا وإن قبل أن تقيفي من سيطرة هذا الثعبان.

ولماذا يراعد الأتحيات في القاهرة؟

- لا بد أن تتحقي من التي كانت يصحبه أولاً ثم تصدري حكمك.. لا بد أنه الثعبان أوقع بيتهما..
- مراد ليس بثمان يا جدي.. يكفي أنه عبيد..
- لله الأمر من قبل ومن بعد، انتقل إلى القسم أجل تحالتك.
- أعلم أن وداقكم لا زالت كل هذا داخل رأسك لكني لن أياس ما دمنا حيًا لأهلك منه.

- تحبني من خطبي يا جدي؟

- دعينا من هذا الأمر المحزون الآن.. أين أبوك؟

- لا يوجد بالبيت معانا.

أخرج من تحت وسادته ظرفاً أبيض وقال:

- إذن.. فلتعطي هذا المظروف ثيابة عتي.. لا أريد أن يراه أحد إلا ابني.. فهمت؟ هذه أساتة.
- ولماذا لا تعطي أنت المظروف؟ لقد اقترب موعد رجوع أبي.
- ربما أنام وأنسى، ليكن معك أسنة للمرة الثانية لا أريد لأحد أن يراه.. لا أمك ولا أحد من إخوتك ولا الثعبان.

كان جدي لا يذكر مراد إلا كئيباً، وكنت أتضيق من هذا
لكنني لا أستطيع أن أضيقه أبداً وافقته في اسلام فقال:
- اقربني مني..

اقربت فنظر إلى وأمسك يدي وقال:

- انني لم أحمول قد علمتك في سنوات عمري الصغيرة ما
يعينك على الحياة وإن ادعوا الله أن يغير صديقك يا حسبي..
سوف أوتاح الآن.

قلت رأسه بيده ودفعه ثم دبست المروحة في دولابي
وقرعت أن أغلق النافذة لكنه أراد أن يري من الصبح إلى الليل
خرجت من الغرفة فحطلة بمشاعري متناقضة وعربية، كيف
أجعل جدي يحب المراد؟ ليس بوسعنا أن نقرض الحبيب الحب
بأنى بعنة أو لا يأتي مطلقاً.

أغلقت الباب وفي طريقي إلى غرفة الاستقبال ساد الظلام وخيم
على البيت، لكنني أطمئن لضوء النهار المنبعث من الخارج، بعد انظرقة
طمرت هالة يضاء غريبة على أحد الكراسي، اقربت أكثر لأرى
هالتي ما رأيته.. صرخت، جدي يجلس بجلبابه الأبيض ومن
حول الهالة البيضاء. لكن الحاخام يمسك شعراً، نظرت خلفي
مرة ثانية، كلما حدث شيء هنا بال جدي منه أفنى وصر على لسانه.
لمرعت أن أعود جدي لكن الحاخام قال في صوت عال:

- لقد وصلنا لمرحلة لم أشأ أن نصل لها من البداية.. التجربة
الآن أن يدلني على ما يخفيه.

كُنْتُ عَلَى ذَرَاةٍ أَنَّنِي أَتَكَلَّمُ مَعَ وَهْمٍ .. أَتَسْبَحُ .. لَكِنِ حَقَّقِي
عَلَى جَدِّي جَعَلَنِي أَفْعَلُ :

- أَرْجُوكَ يَا جَدِّي أَعْطِهِ مَا يَرِيدُهُ ، مَوْفٍ بِقَتْلِكَ .

قَالَ الْخَاخَامُ وَقَدْ أَطْبَقَ السَّكِينُ عَلَى رُقِيَةِ جَدِّي وَجَحَظَتْ

عَيْنَاهُ وَاحِدٌ وَجْهَهُ :

« أَسَمِعْتُ ؟ أَيْنَ مَا عَقِبْتِهِ ؟ »

- أَلَمْ تَحْلُقْكَ يَا جَدِّي .. أَعْطَاهُ مَا يَرِيدُهُ الْفَدَى حَوْلَ حَيَاتِنَا

لِحَبِيبِهِ .. أَيْنَ مَذْبَحُ الْأَشْيَاءِ ؟

أَشَارَ جَدِّي إِلَى الْمَطْبُخِ ثُمَّ إِلَى الْبَيْتِكُونِ ثُمَّ إِلَى الْخُرْقَةِ ثُمَّ أَشَارَ بِأَصْبَعِهِ
فِي دَائِرَةٍ وَنَظَرَ إِلَى الْخَاخَامِ فِي عَيْنِهِ .. جُنَّ جَدِّي وَالْخَاخَامُ مَرَّةً وَاحِدَةً عَمَرَسَ
السَّكِينُ فِي رُقِيَةِ قَطْرٍ لَمْ تَلْمِزْ وَجَحَظَتْ عَيْنَاهُ ، مَرَعَتْ إِلَيْهِ فَاحْتَضَى وَاعْتَصَى
الْخَاخَامُ لَجَرَعَتْ إِلَى خُرْقَةِ جَدِّي ، وَخَيْتُهَا انْتَهَارَتْ قَوَائِي فَقَدْ كَانَ جَانِحًا
الْعَيْنِ وَعَلَى رُقِيَةِ عِلَامَةِ زُرْقَاءَ فِي مَكَانٍ سَكِينٍ الْخَاخَامُ الْمَعِينُ تَامًا لِأَوَّلِ
مَرَّةٍ ، يُسَلِّكُ بَرَقَتَهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْكَ كَأَنَّهُ يَسْتَفِيتُ ، لَمْ أَتَوَّيْ مَاذَا أَفْعَلُ .. لَكِنِّي
تَرَكْتُهُ وَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي أَسْتَفِيتُ بِهِ ، لَكِنِّي فَلَنْتُ أَنَّهُ لَنْ يَصْدُقَنِي كَمَا يَقُولُ
لَنَا وَلِهَذَا قَرَّرْتُ أَنْ أَذْهَبَ لِأَحْضَرُ مَرَاتِمَهُمُ الْوَحِيدَ الْعَالَمَ بِمَا يَلْمُورُ حَوْلِي ،
وَمَا جَاءَ مَعِي وَدَخَلْنَا الْغُرْفَةَ .. نَظَرَ لِي جَدِّي مَصْعُوقًا وَصَقَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ
أَصْلَكَ بِيَدِي بِغُرْفَةٍ هَائِلَةٍ حَتَّى شَعُرْتُ أَنَّ عِظَامِي مَسْكُورَةٌ ثُمَّ بَدَأَ هَلَا
رَوِيْدًا رَوِيْدًا وَيَنْظُرُ إِلَى أَمْنَةِ الشَّمْسِ فِي رِضَا وَاسْتِلَامٍ لِلْمَعْظَمَاتِ ..
وَسَمِعْتُ يَتَمَتَّعُ بِالشَّهَادَةِ وَأَسْلَمَ رُوحَهُ ۞ .

يناير ١٩٧٣

لم يجر لي من مباحث الدنيا شيئاً برحيل جدي وصديقي
الرجل الذي كان أستاذي في علم اللاهوت. لسأري الحبيب، رغم
أعزول البيت حتى أصبحت أراه ألتقي بكثرة ما هو عليه، لكن لم
رأه براحة نساء، وانظر أن طبق الشاي على مائدة الأكل
حالي الحبيب في يوم من الأيام، وهكذا كنت ألتقي
رأيت جلال في بدلة العسكرية في عزاء يخلق ليكي بشدة،
يكني أكثر من العمومي، فكان بمثابة جده الحقيقي. تلاحقت نوايا
للحظات وهم أن يواسيني، خفي قلبي لكنني تذكرت كل شيء
لمشيت بعيداً عنه، كان أبي قد اتفق مع مراد ليكون ميعاد زفافنا
في مارس المقبل، أصبح الأمر مستحيلًا بالنسبة لي فطلبت من أبي
أنجيله لموافق

جلست وحيدة على فراش جدي الذي لم أفارقه منذ وفاته،
أتمسك مكانه وأبكي وأسترجع آخر مرة رأيته، لم يشغل جدي عن
جلال أبداً ولم يحب مراد أبداً، جلال أيضاً لم يحبه مذاق القرفة
منذ اللحظة الأولى، ثم عيني احتمالية أن يكون للمعاملة دخل في
موت جدي، أقسم أنني لو رأيته مرة ثانية سأزق أحشائه، ولو
رأيت جدي مرة ثانية لسأله وفهمت منه وتوصلت إليه كي يخبرني

الحقيقة! تذكرت فجأة الظرف الأبيض الذي خص به أبي، وهرعت إلى دولاب كائني سأري جدي أمامي، أمسكت الظرف وبكيت من حديد بحرقه، هل أقراء أم أحترم الأمانة؟ ظلمت في تلك الحيرة حتى قررت في النهاية أن أحترم رغبة جدي رغم فضولي، فذهبت إلى أبي في المتكى، ليخطمب أبي لما رأي عنده، لأن تعطينه الثمن إلا يدفعه له في المتكى إلا عند الطوارئ فقط، نسائي مصطفي ناز - هل أمك بخير؟



- نعم يا أبي لا تقلق، لكنها لا تعلم برأسي معك الآن
لقد طلب جدي ألا يقطع على الأمر حتى لا
جدي!

أحرقته بأمر الظرف إلى مخالف ما حقه في مهلة وجلس - لماذا لم تقولي من قبل؟

- صدقتي يا أبي، سبت من غرط حزني وصدمني.

فتح أبي الظرف وقراء:

أيسر كنت أتفحص البيت قبل أن يصل أولادك في أواخر

١٩٥٠، فإذا بي أحد أغلى ما نملك في عمل ما نملك، فخرى الدقة

يا بني، لا أستطيع أن أوضح الحقائق، الخاف أن تقع كلمتي في يد

العدو

- ماذا تريد أن تقول يا أبي؟ أنا لا أفهم شيئاً.. هل كان هذا

الخطاب أثراً من آثار الغيبوبة؟

- حسناً.. هذا أن رجل الذي كنت أعاف عليه.. سأقص

عليك يا ابن أشياء لكن تصدقها.

وبدأت في سرد قصتي المريبة مع الملاحظات فحفظت عين
ابن ولاحت عليه الدهشة والخوف، وقال وكأنه يتحدث من عالم
آخر:

- لا أريد أحدًا أن يعلم بالأمور يا حياة - ولا تخفي عني شيئًا
أهذا لا تطلقني يا ابني سائقه الأمر.



BOOKS



www.Books

يوليو ١٩٧٣

جلس السيد شافلي وزوجته مع أبي وأمي ومراك للصيدة
 اية لا يعرف لغز الا تظن مراد في الزحف شديدة ثم تم مقفي في
 يوم وعتاب، وحك الله يا حدي. (لها تذكرني به، لا اعلم لماذا لا
 لم يكون حلال ابنا! اليس هو المسؤول عن كل هذا حدث؟
 قال والد حلال مراد!



- أنت برحيم أنت سحاب يا مراد
 - لا ازعجهم بما ألقى لابلات اشك في ضياع الحلم الذي وعدنا
 • بالاصر.

- لقد تسلم الرئيس محمد أنور السادات البلد في وقت صعب
 وظروف أصعب، لا بد أن يأخذ قرصه، لم يمض على فترة حكمه
 ثلاث سنوات كاملة.. ليكن نفسك طويل أحوال قادمة.

- سنوات!

- للأسف.. أحاول أن أبقي متفائلا رغم تردد الأداة في اتخاذ

قرار المقرب.

- ولماذا التردد في محاربة الصهيانة؟

- لا تنس أنهم يقوقونا في تكنولوجيا المعلومات ونوعية
 الأسلحة والإمكانات، كما أنهم أكثر تنظيماً. الجيش أعلن حالة

التأهب في المطارات والقواعد الجوية أكثر من مرة، ثم أعلنوا أنها مجرد تدريب روتيني، الكثير من التدريبات والمناورات دون فائدة، لم يستطع أن يكمل ما بدأه للأسف.. كانت الخطة أن نحارب في مايو، وانقضى مايو وانقضى يونيو، والآن يوليو ولا تقدم بلدك.

- نعم في رسم حقوقنا لكننا نفوقهم في حماسنا.

عليك السيد شافلي وقال:

- الحياض وحده لا يكفي للحرب يا بني. هناك عناصر أخرى للأسف فكرة الحرب بعيدة الآن والشواهد على ذلك،
تفهم؟

- ألا تعلم يا مراد أنه تم تسجيل أسماء الضحايا الراحلين في
تأوية مناسك الحج لا تعلم لأورات رياضية عسكرية، وغيرها من
الشواهد الغريبة قل لي بالله عليك.. هل هذا جيش يتوي الحرب؟
- وإلى متى هذه الغرضي يا عمي؟

تملكك الكتابة من أبي وقال للسيد شافلي:

- حديثك يتخلل عن دم الشهداء.. وأنا ككل المصريين لن
نحل عن دم أبي الشهيد يا سيد شافلي.. لو أنهم يقبلونني فخذوا
لدميت وحاربت وانتصرت.

اعتزل السيد شافلي في جلسته، وتعمرت ملاحه وبيرة صوته قائلا:
- رحم الله الشهيد بسري وكل شهدائنا.. كنت فقط أترسل في
قول ما أراه، لم أقصد حرج مشاعرك يا سيد أحمد. لتكون مثبته الله.

فجر ١ أكتوبر ١٩٧٣

منذ أن هلل رمضان انقطع ظير الملاحظات جميعاً وكبيرهم الملمون. وراقت أنا على قيام الليل عندما تفتت من إمكانية اتصالي عليهم، أصبح البيت شبه خالي، ولما صار عصام في السنة الأخيرة بكلية الطب.

جلست في انتظار الصبح أصبح وأفكر، هل يكون كل ما أراه وما صمعه عقلي لا أكثر في كل الأحوال، أم أقفا أخاف منهم، قصت أخاف على قدم رجل، وارتاح من نظام حنطة، لم أعد أبالي بتي، أو بأحد، حتى جلال لا أذكره كثيراً إلا عندما أذكر كلمات جدي الأخيرة قبل أن يعذبه الماعنام ويلقي حنطة، هل حقاً عذبه؟ عقلي يفكر كل يوم فيما كتبه جدي لأي لي خطاب لم ينجو إلا بضعة كلمات، أنا على يقين أنها رسالة هامة، وليست هذياناً غيوبة كما تقول أمي.

«أغل ما نملك في أغل ما نملك»، ماذا تقصد يا جدي؟ استيقظ والدائي لتناول السحور، وبعد أن أذن الصبح صليت وقرأت أنا خالصة أفكر في الطكون بعد أن خلعتا للتوم، وفجأة تذكرت كلمات جدي وهو يقرؤها أثناء حكاياته لي أنا وجلال. «الوقت هو أغل ما نملك...» كان يؤكد على هذا وكأنه يحاول أن يمنعنا من النسيان أو احتمالية وجوده، كان تلك الجملة هي

محتاجه في الحديث وكثيراً ما رددناها وراءه أنا وجلال كنوع من
أنواع المزاح، ولكن ما هو أغل ما بعلمك؟ وكيف تصعه في الوقت
إذا صح ظني؟

بقيت أفكر ولا شيء يخطر ببالي حتى بدأت أشاءب في إرهاق،
وبدأ لي أن أذهب للقراش بعد أن لفحتني نسبات يدهم قهقهة، أثناء
ذهابي لغرفتي دق الساعة العنيفة، وقتت نصبة الوقت
الصالح، لقد تكون السعة، أظلمت أيت عندها تخني لم أهر الأهم
أهمية قط، طرعت إلى الساعة ووقت أمامي أهر بلنها في ذهبت
إلى أن توقفت دقائقها الست، قصمت بابها الزجاجي الكبير وبدأت
أستكشف لأبدا مرة ما بداخلها، حدود سرعة الخب لم حل بيدي فلا
أجد شيئاً، بدأت أملك في الخطأ اعتقادي، أغلقت بابها فتحرك شيئاً
بداخلها، بسرعة أعدت محاولتي وإذا بي أسلك بشيء مخبي وقع
طرفه بدأت أحركه يميناً ويساراً حتى أخرجه من الساعة، إنه
ممدون خشي!

جلست وقتحته لي لحظة فوجدت الكثير من الخطأيات
قديمة، الخرائط، خريطة تقسيم فلسطين! ما كل هذا؟ الوثائق
باللغة العبرية والإنجليزية، مذكرات يومية، صور قديمة لشابين
سحب عليها ابدخل سمعراتنا اليهودية في فلسطين، صور أخرى
في غريمها، صور أطفال وشباب، أقلب أكثر فأجد كلمات بخط
جدي ملصقة بخطاب بينهم يقول:

في ١٩٥٧ جلست على الكرسي الباص في اليلكون قبل

الحجر أتوقب حركة المارة القلائل، وأتوقب الزمن يزحف في سرعة
 ونبات لأنتم عامي السمين، لا أستطيع أن أرجوه لينمهل قليلاً أو
 أمرعه فينقضي زمني في هدوء، كل ما أمتلكه الآن هو القرب
 والانتظار، استغرقت عمراً كاملاً لاستوعب ألحاح الحياة.. ومع
 ذلك لا زالت تمدعني! سمعت صوت الفرج في العجوة، قلبت
 البذرة، ثم قرأت ما سر في من الثمرات! سمعت الساعة، العتيقة
 الطرية تدق دقيقتين فقط، وقد أصبحت في الرابعة لعمري، ولم تكن
 أول مرة فعزمت على إصلاحها، وعندما فككت البندول رأيت
 وراءه طرقاً خشبياً مثلاً، حسبه جزءاً من الساعة في البداية، وكادت
 أطلقها، لكنه تحرك إلى الأسفل عند فكك البندول مرة ثانية،
 أردت أن أجعله مكلفاً فوجدته يتحركاً غير ثابت، تحسسته فعلست
 له زيباً صندوقاً فأخرجته يحدوه، أغلقت باب الساعة الزجاجي،
 وحلست وحدي في البلكون أنفحص الصندوق الذي احتوى على
 رسائل لم تكن أنتظر بهال أحد..

عزيزي حليم

كلما تذكرت أفكاري حينما كنا سويًا في الطيات الاستعمارية
 في فلسطين، أجرت حلم سداحي، لقد أمضيت في مصر ما
 يقرب من الخمس عشرة سنة، ومع ذلك لم أستطع تحقيق حلمي
 إلا بالحيلة.. والسحر، لقد نفذت نصيحتك وذهبت إلى الأحكام في
 القاهرة، وألقيت ما أعطاه لي في مطبخ عمارة، ذلك الصانع الذي

يدعى عزيز المصري، لكنني ما زلت أشفق على هذا المسكين صاحب
 العمارة بالأساس وأولاده الصغار، كانت امرأته تملك حذمتنا
 قريباً تجاهي لكنه لم يصدقها، لقد أحرقت بالحيلة والحبث في الديوان
 حتى اقتصر الكثير بضمها العمارة ومحل الذهب وأصبح لا حيلة
 له الآن إلا أن يهرع إلىي، لقد استوليت على العمارة كما خططت، لقد
 بلغ هارون الرابعة عشرة من عمره، ماذا كان عساي ابن العمل حياك
 مستقبلك؟ سطر أرادت حمايته فلا أحد يعلم ما تحب الأيام

التي تترك المخلص

داود عمرا - الأول من مايو ١٩٣٣

عزيزي طهوف ONE

أكتب إليك وأنا في حيرة كبيرة، لم تكن أبداً على وفاق فيما
 يخص أحلامنا في الحياة، لكن دعني أولاً أبارك لك امتلاكك
 العمارة آل داود السنة الماضية، امتلكتها بالحيلة التي انتقدتها
 أنت في يوم من الأيام لا تشعر بالخروج، لقد حققت حلمك
 لا استقرار كما أرى وأنا سعيد من أحلك، أما أنا فلا زالت على أول
 طريق الحلم، لقد مات إدموند وتطلبت بعد أن عملت معه أربعة
 عشر عاماً وتعلمت الكثير أصبحت لا أعلم إلا أن أكمل طريق
 الحلم الطويل مع عائلته، وأتمنى أن ألتقيك في الدولة اليهودية مقيماً
 لا زائراً أو أنني أنا إلى أرض الميعاد يوماً ما مقيماً لا زائراً، أحلام
 سوف تتحقق بالمشاورة صدقني.

سوف أطلعك على أحد خيوط الخلم يا داوود، الأمر هام
 وخطير وأنا لا أتمن غيرك في الحياة، ولا حتى ليعي، تعلم أنه في
 الساعة عشرة الآن وأنه طائش، لذلك أرفقت إليك كل الوثائق
 والخرائط الخاصة بخطط الصهيونية العظيمة، حافظ عليها كما
 تحافظ على حياتك، لأن بقاها معي أصبح خطراً على حياتي، نحن
 بعد لتقسيم فلسطين لعدم إمكانية الاستحواذ عليها مرة واحدة،
 لكننا حتماً سنفعل، تقسيم فلسطين وإضعاف شوكة العرب على
 طريق مصر أمرٌ ضروري لإقامة الدولة اليهودية، فتدلة بني
 إسرائيل، تذكر دائماً يا أخي الحبيب أنه من مصلحة عزرا المؤتمنة
 البقية الذي يخرج من مصر مع موسى النبي.

سوف أوافيك بعزيد من الأخبار والوثائق.

أخوك المحب،

حاييم عزرا - الثاني من نوفمبر ١٩٢٤

العم حاييم العزيز

«لم أشعر بحرارة أقدامها فلعلت، حينما قهرني أبي الحبيب داوود
 في مصر، عزرائي أنها أرضنا المقدسة، «عزارة آل داوود» أصبحت
 مصدرًا للكتابة، إنني أراه في كل شبر منها، لكنني لا أملك إلا أن
 أحفظ إرث أبي كما تعلم، أكتب إليك وقد مسحت الفرجة على

قلبي من جديد بولادة «إسرائيل» اليوم، كانت الولادة صغيرة
تُحلم اليهود ولكنها حدثت، أردت أن تشاركنا الفرح أنا وجايل.
ابن أخيك المحب

هارون فاوود عزرا - السادس من يونيو ١٩٤٩

الحمد لله الذي القديسة كتب عليها ميري للعامة...

«البروتوكول الأول».

صنكون صرحاء، ونناقش دلالة على كل تأمل، ونصل لشروع
ومية بالمقارنة والانتباط، وعلى هذا المنهج نمر من فكرة ميامينا
وميامنة الجرم.

يجب أن نلاحظ أن ذوي الطوائع الفاسدة من الناس أكثر
عدداً من ذوي الطوائع النيرة، وإذا فخير النتائج في العالم ما يُستوع
بالعنف والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية...

«البروتوكول الثاني».

..... إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي
القوة العظيمة التي بها منحصل على توجيه الناس، فالصحافة
تبين المطالب الحيوية للمجتمعة، وتعلن شكوى الشاكين، وتولد
الصبر أحياناً بين العرفاء، وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد في
الصحافة، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة
بالطريقة الصحيحة، فسقطت في أيدينا، ومن خلال الصحافة
أحرزنا تفوقاً، وبقينا نحن وراء الستار، وبفضل الصحافة كدنا

الذهب، ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم، فقد كلفنا التضحية
كثير من جنسنا، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافاً من
الأمين أمام الله.

..... لم يعد الأمين قادرين على التفكير في مسائل العلم

دون مسائل

..... لقد أقدمنا الأمين بأن مذهب التحررية سيؤدي بهم
إلى تحطكة العقلي.

استكشف ما بالفصلوق، هارال الكتيب من الوثائق.

البروتوكول الرابع عشر

حيثما يمكن لا نقتل مستحكون ساحة الأرض على بيع قيام أي
فمن الأديانة التي الدين المعترف بوحداية الله الذي ارتبط خطنا
بالحجارة إيانا كما ارتبط به مصير العالم.

ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذا
تكون النتيجة المرفقة لهذا هي إثارة ملحدتين طعن يدخل هذا في
موضوعنا، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي
تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا - بعقيدته الصارفة -
واجب إخضاع كل الأمم تحت أقداننا.

صور قديمة أيضاً، ها هذا يا إلهي، إنه الطفل الذي ظهر لي
من قبل! وهذه العاقلة التي رأيتها في صور الطفل! إنها والدة مراد
مع هذا الطفل! لقد أراي صورة لأمة بعد خطيتنا لكنني لم أكنه
بالطبع! إذا لا بُدَّ أنها صور مراد في طفولته مع عائلته! كان ظهرها

مكتوب عليه «إسرائيل هارون داوود عزرا ووالدته جاري!!»
 انهمرت دموعي من هول الصدمة! ثم وجدت أجنحة صغيرة دون
 فيها جدي مذكراته بعنوان «الحقيقة لا يمكن إخفاؤها»، جاء في
 إحدى صفحاتها:

اليوم يرون ما إذا إسرائيل في الاستارية يصنع ككثيره
 الواقعة في حادي الجبل على تناوله ما نفس تحت أن المربية
 صبا، لنهي صعد الرية، لكه هادي عقل حبا إذا أقتب سر
 حقيقته، وأد أعطيه وثائق حاييم وخطاباته الحية حاييم، ورغم
 أن يصنع السحر الأسود في البيت تترى فكلهم على أثره إلا أنه
 صامدة، هذه أرضنا وأملنا

ONE PIECE

•••

BOOKS

www.egyptianbooks.com

عصر ١ أكتوبر ١٩٧٣

بعد أن علم أبي يا اكتشافه، أمسك بالصندوق وبكل ما يحتويه
وحلص زكاه تلقى مصرية فورية على رأسه وماله

١ - على الحديث أحد الخوفا

لا..

٢ - لا تفعل. لا بُدَّ أن الخبر شاقلي

٣ - هل أذهب لاسال عنه؟

٤ - لا.. لا أريد أن أراه الآن بك.. فمذ أن تمت خطبكما قلت

تعاملاتك مع عائلة جلال، لا بُدَّ أنه يراقبنا، حاصل لشاقي
نظر يقني، يجب أن أتصرف بسرعة سوف يأتي للإفطار كما دعولاه
اذهي أنت الآن ولا تخبري أمك بشي.. سوف أتصرف.

ذهب أبي وعاد بعد ساعتين واحداً وقد شعرت أمي أننا على

٥ - عادتنا، فألحت في السؤال دون قائلة، وقبيل المغرب أتى مراد

أو إسرائيل، محملاً بالفاكهة والخلوى. يصطنع الجوع والعطش،
أقاوم رغبة في قتله لكنني لمهم وأنصع قها أوصاني أبي.

على نائمة الطعام جلست أمي بجانب أبي وجلست بجانب

مراد وعما عني في انتظار أذان المغرب، كان هناك شيء شريب بلا

لك شعري، إذ نظر لنا واتسم في خث قائلاً:

- حياة وعمي .. هل أنتما بخير؟

قالت أُمِّي بتلقائية عجيبة:

- لا أظنهما يا بني .. يبدو أن عجبين هذا النهار!

- لعلّه خير يا عمي؟

- لا عليك يا مراد .. وذاك بارعة في تضخيم الأمور

أذن المغرب وبدأت أُمِّي توزع الطعام ملثاء، تشدّ آبي بارعة في اصطلاح الجوع فأكلنا بهم .. حاصلة بعد كلمات أُمِّي التي أثارت فضول إسرائيل، طرق الباب طوقاً عبقاً .. نظرت أُمِّي نظيرة فمها إسرائيل فنظر لي وترك ما بيده مترقباً .. ثمّ قلت إن افتح الباب لكونه حالاً

- اكملني حفظك يا كلباً .. سأفتح الباب

تأملت مع آبي نظرات أثارت ذهشة أُمِّي، فتح إسرائيل الباب فوجد السيد شافلي في مواجهة يتشمّ وسجماً

- السلام عليكم

- أهلاً يا عمي

- أهلاً بدون استضافة؟

- لم أتوقع قدومك الآن .. عطف

- دعني أتأكد أنها ثقة السيد أحمد المسور .. إنها بالفعل هي

كما أنها صارت أيضاً

دخل إسرائيل بعينين زائغتين وأذن حراء، دخل وراء السيد شافلي بمشي يتأخر في بدلة العسكرية لكنه ترك الباب مؤزناً

وغمز لأبي يعينه، فتملك الفضول من أمي وقالت:
- أهلاً وسهلاً يا سيد شاذلي.. سأحضر لك طبقاً..

- لا داعي يا أم يسري..

نظرت أمي وإسرائيل له في تعجب وفضول، إذ أنها المرة الأولى
التي يناديها فيها باسم الشهيد... دفعت عيني أمي وقرحت الطعام،
وفجأة سمعنا جلبة بالخارج ورأيت من وراء الشراعية الزجاجية
أناشاً تتحرك، جلس السيد شاذلي وقال لأبي في مدونة:

- أتذكر يا سيد أحمد ذلك اليوم الذي أحضرتهم من في يوتوب
للداعي، وتناقشنا في أمور الحرب؟

- نعم..

- لم أقل الحقيقة، حينها المصري في الحزن حاله وأعلم أنها
مخاربه..

نظر له إسرائيل في ريب وقالت:

- ولماذا أخفيت الحقيقة؟

ضحك الرجل وقال:

- وهل تعلم أن رجال المخابرات المصرية بهذه السذاجة يا
إسرائيل؟

تسمر إسرائيل مكانه وتسمرت كل حركاته وعيانه على السيد
شاذلي، ولحمرت وكان الشلل قد أصابه، لكنه تدارك أمره وتصنع
اندهاشه:

- هل تحدثني أنا؟

أكمل السيد شاذلي وهو يضحك:

- بعد أن تولى الفريق سعد الدين الشاذلي منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة في مايو ١٩٧١، بدأ مهام عمله بدراسة الإمكانيات الفعلية للقوات المسلحة المصرية ومقارنتها بالمعلومات المتاحة عن قدرات الجيش الإسرائيلي. لكن هناك تكلمة للشعب، أقولها بحسب: إن بقية القصة مشوقة جداً لكنني لا أحكيها للمواطني الصهاينة، سأترك ذلك لبعضها بعضك الفترة القادمة وتذهب بفسطاط حمرات، وبعد المجلس أنت من روحك إن شاء الله.

كانت أمي أن تذهب في إخماء لبعض المسكن بها في ترقى حصة من حمة، وتحوّل الطرقات الدهشة في عين إسرائيل إلى حق والحضب، وتحوّل ملاحه لشخص لم أعرفه من قبل، أكمل السيد شاذلي وهو ينظر إلى أبي في احترام.

- المخابرات المصرية تراقبه منذ أن اشترى المفهى من جاك وميشو، الذي أحبه ليحي عم إسرائيل على بيع المفهى وكل مملكة وترك مصر من أجل إفتاح الطريق لإسرائيل هارون داوود عزراء الذي عاش بمصر حتى عامه الثامن، هاجر مع والدته حاي إلى فرنسا عام ١٩٥٧، وبعد أن ماتت في ١٩٥٩ تم لاء عمه ليحي، ليقيم مع ابن عمه إسحق في فلسطين المحتلة، ويلتحق بتدريب الموساد في سن مبكرة، ليدخل مصر تحت اسم «مراد نظمي» الفلسطيني في أواخر العام ١٩٦٦، المناضل الذي يريد جمع المال لنصرة المقاومة الفلسطينية، لذلك كنت آتي إلى بيتك أغلب

الأوقات في وجوده.. لأقابلة وأعطيه معلومات مُضللة، سأحتي
يا سيد أحمد لأنني شككت بك في يوم من الأيام، إلى أن أثبتت أنت
ولاءك بتسليمك الوثائق السرية كلها.

عندها صرخ إسرائيل ناظرًا لأبي:

- ماذا؟ هل سلمت الوثائق السرية؟ لقد أتفقت من حمري
الكثير لأمرهم مع ابتك البلهاء.

مرت حينها مواقفهم وقابها شريط سينمائي وصرخت في وجهه
- بلهاء لأنني صدقتك وأنت نشر سلال السحر في أرجاء

الشفقة وكنيت أحسن الشفاء.. رحمتك الله يا إلهي الحبيب لم يخطئ
حين لقبك بالتمثال

لم يبال يا صاحبه ONE
- أنا أحلوكم.. هذا أدني، ولدت قل يهودي.. ثم إن هذه العمارة

ليست ملكًا لكم.. لقد ولدت هنا.. إنها عمارة آل داوود.. ستدمون
جميعًا عندما تتحكم من الأرض، سيكون النصر حليفًا لإسرائيل.

قاطعه السيد شافلي في حزم:
- لن يحدث يا إسرائيل.

- أنتم واهمون.. إنها أرض الميعاد، نحن بني إسرائيل.. الجرق
اليهودي لا يعلوه الغدر أمثالكم، نحن شعب الله المختار، ونحن

نتأول عن أرضنا.
حينها دخل جنود كثيرة بسرعة بملابس مختلفة يحملون أسلحتهم،

ولي ثوانٍ معلومة كانوا حول إسرائيل يحسكون به في مشهد جعلنا
نحمر بعض الراحة، بعد أن خرج الجنود بالجلوس، أدى السيد شافلي

التحية العسكرية أمام أبي وانصرفوا، نظر أبي بصورة يسري وقال:
- لقد بدأ الانتقام يا شهيد.

وقبل أن يكمل تفاجلنا بأخي نصر وزوجته وابنته وداد
يدخلون البيت مدعورين بعد أن رأوا كل هذا الكم من العساكر
والضباط، همكهم بامرأته، صرخت أمي:

«نصر! لا أصدق، ظننت أنني سامت قبل أن أراك».

- بعد الشر يا ست الكل، الحمد لله الذي يرسل هذه الزبارة
أردت أن أراكم جميعاً لقد هانتني صابر منذ أيام لظنني لم أقصع
عن عيني لأجعلها مفتاحة، وتحدثت مع عصام وسائق عذا من
القاهرة، أصبح طبيباً طيراً بعد شهور قليلة، اختفى لكم جميعاً،
والعقد توأمي صابراً يا أمي، أريد أن أراه.

- صابر على الجبهة، لكنه يتحدث إلينا بين الحين والآخر.
أصبحت الأحضان والدموع المنهمكة هي اللغة الوحيدة حين
تجرت الكلمات، جفف نصر دموعه لكنه ما زال متأثراً بما رآه عند
دخوله البيت فقال مشيراً نحو الباب:

♦ - أليس هذا مراد خطيب حياة؟ أنا أتذكره جيداً من الصور
التي أرسلها مرتضى، ماذا يحدث يا أبي؟
لم يعلق أحد ويكبت في أحضان أمي وأبي وهما يتكلمان هذه
صورة الشهيد يسري وسط ذهول نصر وأسرته.



الاثنين ٦ أكتوبر ١٩٧٣

- العاشر من رمضان - الثانية ظهرًا

انطلق صوت أحد الرجال من الحارة يجلجل في الصمت..
.. الحرب قامت.. مصر وسوريا بخاريان الصهاينة.. يا تامر..
الحرب قامت..

حبلها من جرس الشقة في تتابع، يخرج جدي أمي من المطبخ
ثم رول حتى فتحته فسمعت أبي يقول:
- اقبحوا الرافضين، اقبحوا التليقيريون، اقبحوا أي شيء الآن..
وفي تتابع خرج عصام من مخرفته وبعده نصر وزوجته وابنتها،
فتحنا الرافضين:

هنا القاهرة.. جاءنا الآن البيان التالي من القيادة العامة
للقوات المسلحة.. قام العدو في الساعة الواحدة والنصف من بعد
الظهر اليوم بمهاجمة قواتنا بمنطقة الرعفانة والسخنة في خليج
السويس بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية عندما كانت
بعض من زوارقة البحرية تقرب من الساحل الغربي من الخليج،
وتقوم قواتنا حاليًا بالتصدي للقوات المعيرة.. هنا القاهرة..
جلست أمي وظلت تضرب رأسها وتبكي وتقول:
- أريد ابني يا سيد أحد.. أريد صابر.

- اهملني يا وداد.. صابر مثل كل جنود مصر يتظر الحرب..
سيرجع سالمًا إن شاء الله.

دخلت السيدة أيسة متوترة وأغلقت باب الشقة قائلة:
- سعيبة.. الباب كان مواربًا.. يقولون الحرب قامت.

قال لها:

«الحمد لله على مجيئكِ يا مت أنيعة.. وداد يركب من الآن..
جاءت بجانب أمي عجلتها انتبهنا من جديد لصوت الراديو
هنا القاهرة.. جاءت الآن من القيادة العامة القوات المسلحة
البيان التالي.. بيان رقم ٢٠ وفقًا على العدوان العنصري الذي قام به
العدو ضد قواتنا تقوم حاليًا بعض من تشكيلاتنا الجوية بقصف
ماعد العدو وأهله في المناطق في الأراضي المحتلة.. هنا القاهرة..
قال نصر وهو يبكي:

- لقد فقت مرارة الغربة بعيدًا عن أهلي ليأسي من رجوع البلد
لأصحابها.. ليأسي من النصر.. أترأى أن يقول الحقائق كما فعلوا في

٢١٩٦٧

«هنا القاهرة.. جاءت الآن من القيادة العامة للقوات المسلحة
البيان التالي.. إلحاقًا للبيان رقم ٢ فقدت قواتنا الجوية مهامها بنجاح
وأصاب مواقع العدو وأصابته بدمار وعاثت جميع طائراتنا إلى
مواقعها سالمة عدا طائرة واحدة.. هنا القاهرة..»

صرخت أمي:

- صابر.. ابني..

قال أبي في ضيق:

- يقول طائفة وليس دابة.. لا بد أن تهدي.. لا تقترى البلاء

قبل وقوعه.

هنا القاهرة.. جاءتنا الآن من القيادة العامة للقوات المسلحة
البيان التالي: البيان رقم ٤.. حاولت قوات معادية للإسلام على
جزيرة من أراضي غرب القناة وقد تصفحت ما شاعت البرية وقامت
بهجوم مصائد ناجح صدها بعد قصفات مركزة من مدفعياتنا
على النقاط القوية المعادية، ثم قامت بعض من قواتنا باقحام قناة
السويس مطاردة العدو إلى الضفة الشرقية في مصر ما عتقها ولا
الاشتباك مستمرًا على الضفة الشرقية لقناة السويس.. هنا
القاهرة

تم نصراً

- يا رب نصرك..

بسم الله.. الله أكبر بسم الله بسم الله.. بسم الله.. أهدى وكبر..

بسم الله بسم الله

هنا القاهرة.. جاءتنا الآن البيان التالي من القيادة العامة
للقوات المسلحة.. نجحت قواتنا في اقتحام قناة السويس في
قطاعات عديدة، واستولت على لقط العدو القوية بها، وزرع طم
مصر على الضفة الشرقية للقناة.. هنا القاهرة.

قالت السيدة أنيسة:

- الله معكم يا ولادتي.. الله يتقم من الصهاينة.

صاح الجميع «الله أكبر.. الله أكبر» ورجت الأصوات البلد كلها.. صاح أبو وقد غرق في دموعه:

- لا تنكي يا واد.. لقد ثار الأبطال ليسري وأخي.. اليوم يحتفلون معنا في السماء، اليوم يسجل التاريخ اسم «صابر أحد الدنون» من الأبطال.

ثم سجد شاكراً، وارتفع صوت مكانه لأول مرة في حياته..
مع الله الشهاد.



BOOKS

٢٥ أكتوبر ١٩٧٣

في مصطفاه مهيب ترابيه امي وميرتضي وعصام ونصره
المسيد شافلي وحلال والواج الخواتم، كتبت في الهم مع امي وبشر
وعالمة ومحاسن وهناء وزوجات اخواتي، وليست اذالك في وجهه صابر
وايت جمال ذو السعة احرام، لا اقارب ولا اصحاب ولا محارقات واحلى
بر سعيد قلبي ولا احلى الشهد صابر احلى الدنيا، تودعه الى
مقواه الاخيره لم يتوقف حديثه تصر الى التعش امانه..

- جئت لار الشهد ان وعدتك.. لماذا لم تصر يا صابر.. يا
تو امي وصديقي..

حاوله زملاء صابر تهذبة تصر بلا فائدة، قال الجنود المحاربين
انه كان ممن عبروا قناة السويس في السادس من أكتوبر، والبعض
راة في العمليات الحربية في صباح الثامن من أكتوبر في القطرة
عندما شنت إسرائيل هجوماً مضاداً، فتصدت القوات المصرية
للهجمات بنجاح، يقولون انه قاتل بعزيمة وحاس واصرار وحسب
لم يروه من قبله، وفي ١٤ أكتوبر افتدى زميله في احد الهجمات

الحرية، قاتل حتى نهايته ونهاية الحرب في ذلك اليوم، حارب صابر بشجاعة حتى انتصر.

انقلب قلب أمي أمام الحزن بفقد صابر وانكسر ظهر أمي، وأصبحتا بين جنة ونار، هل نفرح بالنصر واسترجاع الأرض؟ أم نحزن لفقد الأبناء؟ الأبطال الذين ضحوا بأرواحهم من أجلنا، يقول أمي أن الشهداء لو عاد بهم الزمن إلى الوراء لاستشهدوا ألف مرة، لينصوا برفقة الأنبياء وأولياء الله الصالحين. ردد صابر في آخر أيامه على الأرض: «الحرب لا تعطى على جراحات... إما أن تكون حراً أو لا تكون...» وقد أصبح حراً الآن بعد أن جعلنا أحراراً، بل أعاد النصر حريتها.

الآن أجلس في حنق وغضب ودموع لا تحف، هل لا بد لهذا العالم أن يشقى على يد الإنسان؟ هل تقيد إراقة الدماء بكل حال من الأحرار أي من الشعوب؟ أفكر في جلال... هل تحدث الحب فرقاً في هذه الحياة؟ هل تجتمع أرواحنا من جديد بعد كل هذا العذاب لتصلح ما خربت الحرب؟ أم أن حنا قد ضل طريقه إلى الأبد وسط الدماء؟

هل كان لا بد أن تراق كل هذه الدماء؟ أن يستشهد أخي في حرب ١٩٤٨؟ ويستشهد أخي يسري في ١٩٦٧؟ ويستشهد أخي صابر في ١٩٧٣ لتعيش نحن في أمان؟ أنا أنال كيف لشعب عذب، كثيراً أن يعذب شعوباً أخرى؟ ماذا لا يستمتع الإنسان

يكل يوم وكأنه آخر يوم له؟ لماذا لا يقدر حياة الحياة على الأرض؟
 كان جدي دائماً يردد «المشكلة الأساسية في هذا العالم هي
 عقول البشر، فهم يعلمون جيداً الفرق بين الخطأ والصواب،
 لكنهم يحبون الخطأ على الدوام وأنا لا أفهم لماذا؟ فمن يقدر أن
 يفهم جوهر الحب البشري؟.. لا أحد».



BOOKS

الأول من يناير ١٩٧٤ م

جاءت النظر إلى صورة الشهيد صابر، وقد أصبح جانب
صورة الشهيد يبري وصورة جدي الحبيب، إسمائهم تُحسب كل
يوم، وكان أحبهم تحافيتي في كل الأوقات، لا تغفل أي مكانها
في مقابلة الصور إلا للتو.

لا زال التلخيص يوم بعيد خطاب الرئيس محمد البور السادات
الذي ألقاه في مجلس الشعب في أكتوبر ١٩٧٣، ولا زالت نبرة
صوته المميزة تأخذني وغماً عني بعيداً عن واقعي..

- وسوف أركز على نقطتين.. الحرب والسلام..

أولاً: الحرب

لست أظنكم تتوقعون مني إلى أقف أمامكم لكي نتفاخر معاً
بشأهي بما حققناه في أحد عشر يوماً من أهم وأخطر.. بل أعظم
وأحد أيام التاريخ.

صفتي الجميع في حرارة وجاء إلى نهدياً وكأله يستمع إلى
الخطاب للمرة الأولى..

- أوريا جاء يوم نجلس فيه معاً، لا لكي نتفاخر ونشأهي،
لكن لكي نتذكر وتعلم أولادنا وأحفادنا جيل بعد جيل،

قصة الكفاح ومشاقه، مرارة الهزيمة وآلامها، وحلاوة النصر وآماله»

سمعت عين أبي وهو ينظر إلى صور أخته، أما أمي فقد انهمرت دموعها قائلة، وأنا أشعر بالعجز أمامها ولا أستطيع أن أنجز أي من الأعمال وتعلقت عيالي من جديد بجدي والشهيدين. كثر الحديث إلى صوت أبي بعد صلاة وقد بدأ يكتم حديثه..

«يا بني أوحشي، فقد أوشك جلاحي على القدوم صار عيسى برايدور يدانك... لن أعصيك على شيء... كل يوم لو قرأتنا نحتكم اليوم لكني فضلت أن يزورنا بعد نعلم بحدود ميعادنا نكولنا قراءاتنا والمطلة للخطر على العائلتين فقط...»

«خيراً فعلت يا أبي...» نظرت إليه فوجدت الأمل يعلل غيبه: أما أمي فكانت تنظر إلى بعيتان قارعتان، نظرت إليها وسألتها: هل ترون في جلاله العريس الذي حملت به لي يا أمي؟ تنهدت وقالت بصوت هادي..

«لا أمك إلا أن أطلب من الله الخير، لطالما أحبه يسري وتمناه لك زوجاً تماماً مثل جدك، أنت لا تعلمين أن صابر شاري في أميته، لكنك غير مطالبة بتحقيق أمنيتهم الآباء أنت صاحبة القرار»

لكنني أطلب مشورتك..

- بعد كل ما حدث يا حياة.. لا تخدعي نفسك، أنتِ تحيين جلال.. لو تغيرت بداخلك لاعترضتِ من البداية على مجيئه.. نظرت في توتر إلى أبي وقد نظر بدوره إلى أمي مُتعجباً، فأكملت حديثها..

- هذا أبيلك يحبك ويحب أن يراكِ بخير.. توكلِ على الله.. ساد الصمت لبرهة صغيرة قطعتها وأنا أنظر إلى أبي في رجاء.. - أعلم تقاليد العائلة جيداً يا أبي، لكنني أطلب منك أن أنفرد بجلال قبل أن أعطيك رأيي.. نظر إلى أمي في ذهول فأومأت برأسها تحته على الموافقة، نظر إلى مُتَحيراً بعد أن فهم ما كُنت أخفيه لسنوات، لكنه كان مُدرك أن حالتي النفسية لا تسمح بكثير من المناوشات، نظر إلى في صرامة.. - حسناً يا حياة.. لأجل جدك ويسرى وصابر أعطيك عشر دقائق على الأكثر..

دق جرس الباب فهرعت مبروكة لتفتحه، كان جلال وبيده كثير من الورود الحمراء، علا صوتها كعادتها.. - يا أهلاً وسهلاً.. ده احنا زارنا النبي..

دخل جلال في حالة من التوتر لم أره عليها من قبل، في حين ملأني الثبات خاصة لما بدر من ردة فعل أبي غير المتوقعة وتفهمه، تبادلنا التحية وجلس جلال صامتاً وكأنه تلميذ في إمتحان آخر السنة، أتت مبروكة بالشربات وتود لو تبتسم وترغد لولا خوفها من أمي، لطالما تمننت هذه السيدة أن تحضر فرحي وتراني سعيدة..

قالها أبى على استحياء ولم ينظر إلى جلال..
- حياة تود أن تنفرد بك قليلاً لأمر هام.. سنترككما، لكن
مبروكة ستبقى بالجوار في حال احتجتما أي شيء..
قاما إلى الداخل وإبتسمت لأبي مُمتنة لأنه لم يفعلها من قبل
أبداً، ولأنى أعلم مبادئه وتقاليده جيداً.

بتنا وحدنا ونظر إلى جلال نظرة لم أقرأها وقال..
- حاولت كثيراً أن أنتظر أكثر من شهرين لكننى لم أستطع
الانتظار و..

قاطعته بشئ من الحدة..
- لن نستطيع، لأنك لم تختبر ألم الانتظار من قبل، أنا أعلم
الكثير عنه، فقد عانيت منه لأكثر من سبع سنوات..
قاطعني بلطف..

- حياة.. أعلم جيداً كل ما يدور برأسك، وعلمت من أمك
كل شيء..

- أمي!

◆ - نعم.. أخبرتنى أنها أرغمتك على خطبة هذا المدعو مراد
الajasos، وأنها أرادت الإطمئنان على مستقبلك خاصة مع غيابي
وعدم طلب خطبتك، أعلم كل الظروف المحيطة والموروث الذى
نعيش فيه، وكم الضغوط عليك، أعترف أننى لم أقدر هذا الأمر..
لكننى وفيت بوعدى..

نظرت إلى عينيه فلم أجد إلا صدق كلماته، أكمل هو..

- وقلبي يخبرني أنني لازلت الحبيب الأوحده، صدقيني لم أكن أستطيع تكوين أسرة قبل أن نتتصر، أريد أن نتنفس الحرية ونعيشها، كُنت على يقين من النصر رغم إنتظاره لسنوات، أنا أيضاً انتظرت يا حياة، أخبرتك أنني أريد لأولادنا أن يخططوا لمستقبلهم بعزة وكرامة، الكرامة التي دفعنا ثمنها يسري وصابر، جلدك أيضاً..

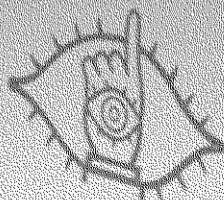
- ودفعتها أنا أيضاً من عمري..
- دوماً تستحق الحرية ثمنها العالي وإن كان من أعمارنا، لنبدأ من جديد.. لازالت أماننا الفرصة لنعوض كل ما فاتنا.. أعدك.
ابتسمت لأول مرة منذ استشهد صابر، ونظرت مرة أخرى إلى صورهم المعلقة أمامي، ثلاثتهم ينظرون إلي وكأنهم ينتظرون موافقتي على طلب جلال، ابتسمت لهم ملء فمي وانسابت دموعي رغماً عني وأنا أجيبه..

- لنعوض ما فاتنا يا جلال..
على الفور علا صوت مبروكة فرحة وكأنها كانت تجلس بيننا..
- سعيد يا نبي.. مبارك يا حياة يا بنتي.. مبروك يا أستاذ جلال..

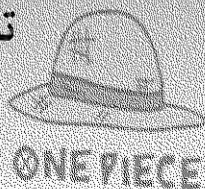
عندها دخلا أبي وأمي مهئين، وشعرت بالفرحة تنساب إلى نفوسنا جميعاً من جديد، فقال أبي..

- لا داعي للتأجيل إذن، لتكن الخطبة اليوم، أحضر السيد شاذلي ووالدتك يا جلال..

نظرت أُمي إلى صور أبنائها ودموعها تسيل قائلة..
- سيفرحون جميعاً من أجلك يا حياة.. لطالما انتظروا هذا
اليوم.. مبروك يا يسري.. مبروك يا صابر.
بعد برهة صغيرة كانتا العائلتين تقرأان الفاتحة على روح
جدى وشهدائهم ثم قرأنا الفاتحة وألبسني جلال أخيراً دبلته التي
لن تفارقني مدى حياتي.



تمت



BOOKS

